

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وشؤون الثقافة والفكر

* تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

العدد التاسع - السنة العشرون - شوال 1399 / شتنبر 1979



شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

دعوة الحق

السنة العشرون - العدد التاسع
شوال 1399 - شتنبر 1979

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

فهرس

الصفحة

بيانات إدارية

- تبعث المقالات الى العنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » - مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب : 375 ـ الرباط ـ المغرب
الهاتف : 10 ـ 632
- الاشتراك العادي عن سنة 45 درهماً للداخل و 50 درهماً للخارج. والشرفي 100 درهم فأكثر.
- السنة عشرة أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .
- تدفع قيمة الإشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

- **لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر**

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الإعلام الإسلامي

●● يتوقف نشر الدعوة الاسلامية ومواجهة تحديات الغزو والاستلاب ومقاومة الهجوم التغريبي والاستشراقي والشيوعي على مدى فعالية الاعلام الاسلامي اطرا واجهزة وفلسفة واسلوبا واداء ، اعتبارا لما للاعلام من دور نافذ التأثير في التغيير والتوجيه والاشعاع ، وبالنظر الى طبيعة العصر الذي بلغت فيه وسائل الاعلام منزلة السلطة والنفوذ وامتد مفعولها الى مختلف المجالات واكثرها حساسية وخطورة ودقة .

ان اهمال الجانب الاعلامي في الساحة الاسلامية يحرم الدعوة اداة فعالة ومجالا حيويا وامكانيات واسعة . وليس الاهمال دائما تجاهلا واعراضا ، ولكنه يكون في احايين كثيرة انحرافا عن الخط السليم ، وتقديرا سيئا للوسيلة والغاية ، وتفريطا في الاعداد والتكوين ، وتقاعسا عن مسايرة التطور ومواكبة ملحقاته تقنيا ومهنيا وادبيا .

ومن النقد الذاتي ان نسجل على الاعلام الاسلامي المعاصر بعض مظاهر التخلف ، سواء في ميدان العمل والممارسة والمتابعة والتنفيذ ، او على مستوى التخطيط والتنسيق والبرمجة . ولعل في مقدمة عوامل واسباب ذلك الخلط الحاصل في مفهوم الاحتراف وحدوده ، مما يتجلى في ضآلة الكفاءات وقلة الامكانيات وضعف المستويات في جوانبها المادية والمعنوية على السواء . فلا يزال الاعلام الاسلامي عندنا يمارس هواية او تطوعا او اندفاعا بروح فدائية ، طيبة ومخلصة ، ولكنها بعيدة عن كل نوع من انواع التخطيط العلمي ، والتكوين المهني ، والاعداد الثقافي ، بوجوهه المتعددة ، واشكاله المتنوعة ، وصوره المتغيرة المتلاحقة والمواكبة لايقاع العصر . وذلك في الوقت الذي اصبح الاعلام علما وفنا ، وصناعة وتجارة ، بما يتطلب ذلك من تفرغ واستغراق ، واتقان وخبرة ، وثقافة واطلاع ، وتجربة في الحياة العلمية .

● لقد بدا الاعلام الاسلامي في أواخر القرن الماضي فى شكل مبادرات فردية ، وجهود شخصية ، اعتمادا على الايمان والحماس والغيرة والوعي بضرورة المواجهة مع ظروف مرحلة تصاعد المد الاستعماري فى البلاد العربية والاسلامية . ونحن نذكر على سبيل المثال مجلة ((العروة الوثقى)) التي انشاها بباريس جمال الدين الافغاني ومحمد عبده لتكون رائدة المجلات الاسلامية بلا منازع . ويمكن لنا ان نقيس على ذلك مجلات مثل ((المنار)) لرشيد رضا ، و ((الفتح)) لمحب الدين الخطيب و ((الازهر)) و ((التمدن الاسلامي)) و ((الهداية الاسلامية)) التي تمثلت فيها الانطلاقة الاولى للصحافة الاسلامية فى العصر الحديث، واعتبرت بحق الاساس العملي والقاعدة الفكرية للاعلام الاسلامي الذي اخذ فى الظهور تدريجيا ، ولا يزال الى اليوم لم يستكمل أداته كقوة دفع للحضارة الاسلامية ومؤشر على الصحوة الدينية المتنامية .

واذا كانت التجربة الاولى للصحافة الاسلامية قد عبدت الطريق ، ومهدت الجو ، وأعطت عطاءها المجزي فى فترات عصيبة من تاريخنا الحديث ، فان الاستمرار على نفس الاسلوب ، وانتهاج تلك الطرق ، فى وقتنا الراهن ، ليس من شانه ان يحقق الغاية ويصيب الهدف ، لاختلاف طبيعة المعارك التي يخوضها الفكر الاسلامي ، ولتباين حجم التحديات التي تواجه امتنا ، وللتغيير الطارىء على نوع المؤامرات التي تحاك ضدنا، وصنف الدسائس التي تعترض طريقنا .

لقد برزت الصحافة الاسلامية فى جو التعبئة للرد على غارة المبشرين ، والتصدي لهجوم المستعمرين ، ومقاومة بدع الغلاة والمنحرفين . وكان الخطر ياتي من جوانب محددة ، ومواقع معينة ، حيث كان يقع التركيز على موضوعات ونقط دون أخرى . بينما نحن اليوم نواجه بضراوة وشراسة وعنف لا نظير له . وجهود الخصوم ـ وهم كثر وذوو اشكال وانواع ـ تستهدف محو الاسلام محوا شاملا لا يبقى له على اثر ، وترمي الى القضاء على الشخصية الاسلامية لشعوبنا قضاء يفقدنا هويتنا الحضارية ، ويحرمنا سلاح المقاومة والصمود والبقاء .

●● حتمية التحدي تتطلب اعلاما فى مستوى المعركة ، ياخذ بالاسلام فلسفة ومنهاجا وقاعدة وايديولوجية،وينهج احدث الاساليب،ويعتمد أقوى الادوات ، وينهض على اساس متطور من التكنولوجيا والعلم ، ووفق الابتكارات الجديدة ، التي تجاوزت الاسلوب الانشائي التقريري ، وارتفعت على مستوى الصراخ والضجيج والتشنج والانفعال .

ان طبيعة المعركة الضارية التي تطوقنا من كل جانب تقتضي اعلاما اسلاميا ينطلق من القاعدة القرآنية الخالدة : ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن)) .

ثلاثة اركان اساسية فى منهجية الاعلام الاسلامي :

- الحكمـــــة .
- الموعظة الحسنة .
- المجادلة بالتي هي أحسن .

وينبغي الوقوف قليلا عند الركن الثالث . ذلك ان المطلوب ليس فحسب المجادلة باسلوب حسن ، او بطريقة عادية ، ولكـــن المطلـــوب وبالحاح شديد ، وكما هو وارد فى السياق القرآني المعجز الارتقاء الى مستوى غير عادي . وبعبارة أخرى فان المطلوب : ((اعلام فوق العادة)) ، بما يعني ذلك من شرف الانتماء الى العقيدة ، والترفع عن الصغائـــر وسفاسف الامور وتوافهها ، واللجوء الى الحكمة والعقل والعلم والمعرفة والفطنة والذكاء ، والاعراض عن الابتذال والاسفاف والسفه ، وكل ما من شانه ان ينال من مكانة المجتمع الاسلامي ، ويشوه صورة الاسلام المشرقة فى الاذهان ، ويلحق الاذى والضرر بالقائمين على الاعـــلام بدرجـــة أو باخـــــرى .

والحكمة الواردة فى هذا الشان تعني أيضا الاخذ بأسباب العلـــم والتزود بالمعرفة الحق مع الاتقان والاجادة والحذق والتفوق الذي يعز به الاسلام وتعلو كلمة الله .

وان المعادلة الصعبة التي تواجه الاعلام الاسلامي المعاصر تكمن اساسا فى ايجاد صيغة للتوفيق والجمع بين ايمان وحماس الصحافـــة الاسلامية فى عهدها الاول ، وبين التطور الاعلامي الحديث والخروج من مرحلة الهواية وعدم التفرغ والكتابة ((حسب المزاج)) ، الى مرحلة من الاحتراف والتخصص والانقطاع الكامل للنهوض بأعباء الرسالة الاعلامية المقدســــــة .

ولطالما وقع التاكيد على ان الاعلام لغة العصر واداة تبليـــغ مـــن الخطورة بمكان . وما لم نتقن هذه اللغة اتقانا ، ونحذقها حذقا ، ونستوعب معانيها ومضامينها ، ونتشرب روحها ، فان العجز سيظل لصيقا بنـــا ، والتخلف سيستمر عائقا لمسيرتنـــا .

(دعوة الحـــق)

الرسالة الملكية السامية إلى الحجاج المغاربة

● وجه أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله رسالة سامية الى الحجاج المغاربة الميامين القاها السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور أحمد رمزي بمناسبة سفر الفوج الاول يوم الجمعة 28 دسمبر من مطار الرباط ـ سلا .

وقد انطوت الرسالة الملكية على توجيهات قيمة ونصائح مهمة حثت الحجاج على تمثيل بلادهم والتعريف بالمعركة المقدسة التي نخوضها جميعا دفاعا عن السيادة والعزة والكرامة ، وجهادا فى سبيل استرجاع أولى القبلتين وثالث الحرمين .

وركزت الرسالة الملكية على تقييم المسؤولية التاريخية التي يتحملها المغرب باعتباره قاعدة للاسلام ومنطلقا للدعوة والفكر والحضارة.

كما تناولت الرسالة الملكية واقع العالم الاسلامي وعرضت للتحديات التي تواجه المسلمين اليوم .

وقد اعتبرت الرسالة الملكية توجيها اسلاميا رفيعا ودعوة الى الاخذ بالحيطة والحذر لمواجهة صنوف المؤامرات التي تعترض طريق الصحوة الاسلامية المعاصرة .

وفيما يلي النص الكامل لرسالة جلالة الملك حفظه الله الى حجاجنا الكرام :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حجاجنا الميامين :

قضت العادة المرعية والسنة المتبعة ، منذ أن اعتلى أجدادنا الكرام رضوان الله عليهم سدة الحكم فى هذا البلد الامين ، أن يتوجه أمير المؤمنين وملك البلاد بالخطاب الى من يوفقهم الله تعالى لاداء فريضة الحج من المواطنين والمواطنات ، توجيها لهم ، وتزويدا لنفوسهم بالنصح الثمين ، والدعاء الخالص أن يكتب لهم المولى جل وعلا حجا مبرورا وسعيا مشكورا ، وعودا ميمونا الى الوطن والاهل .

وان من تمام الرسالة التي قيض الله لها ملوك المغرب رعاية مصالح العباد والبلاد ، والذود عن حوزة الوطن وسيادته ، وحفظ جلال الدين وحرمته. وقد جعل الله شعيرة الحج اهم مظهر من مظاهر العناية برسالته الربانية ، حفاظا على تماسك المجتمع الاسلامي ، وابرازا للتكافل والتضامن والتآخي ، وتأكيدا على احقية القيادة ، وصلاحية التسيير ، وذلك لما فى اداء الفريضة الخامسة من معنى شريف من معاني الوحدة الاسلامية ، ورمز الى وجوب النهوض بأعباء الامانة التي حملها الانسان طائعا مختارا بحكم خلافته عن الله فى الارض . اذ بتحمله لهذه الامانة يتحقق موعود الله فى الارض .

وان استحضارنا لهذه المعاني ، وتمثلنا لها ، واستيعابنا لمضامينها الفردية والجماعية ، ليحفزنا دائما الى ان نوجه الى حجاجنا الميامين النصح مخلصين ، يحدونا الرجاء فى حسن تجاوبهم مع رسالتنا ليكونوا فى مستوى ما لبلادهم من سمو المكانة ، وعلو المنزلة ، وعظيم المجد ، وليرقوا الى مقام ما نحن بصدده من بناء وتشييد ، وجهاد وتحرير ، ومقاومة ومواجهة لضروب من الفتن ، واصناف من المؤامرات ، وانواع من الدسائس ، ترمي جميعها الى اضعاف قوتنا وخضد شوكتنا ، واعاقة مسيرتنا ، وتحويلنا عن هدفنا المقصود ، وأملنا المنشود .

فاذا وعى حجاجنا الابرار طبيعة التحديات التي تواجه الدين والوطن اكتسبوا لانفسهم حصانة معنوية وطاقة روحية وزادا من التقوى الدينية والفكرية ، وامكنهم تقدير ثقل مسؤوليتهم ، كأبناء لهذا المغرب العظيم الذي اختارته العناية الالهية ليتحمل امانة التبليغ والمرابطة والجهاد فى سبيل الاسلام ، ومن اجل الحرية والسلام وكرامة الانسان.

معشر حجاجنا الكرام :

انكم مقبلون على موسم الطاعات ، ومهبط الوحي والبركات ، يعظم فيه الأجر والحسنات ، وان أهم صفة من صفات فريضة الحج انها عبادة جماعية، وسلوك تضامني ، وسعي وحدوي ، فلا تجعلوا غريزة الاثرة تطغى عليكم ، ولا تبخسوا ذويكم ووطنكم حقوقهم ، ولا تحرمونا من صالح الدعاء فى تلك المشاهد العظيمة أن يشد الله أزرنا بالحق ، ويكلأنا بعينه التي لا تنام ، ويمد لنا فى العمر حتى نتابع المسيرة القرآنية المظفرة ، التي أتانا الله بها الفتح المبين ، والنصر الذي كنا نامل ونرجو . وان بلادكم فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخها الحديث لتقف فى رباط الله حماية للاسلام ودفاعا عن السلام وتصديا للعدوان .

وان لنا دورا على صعيد العالم الاسلامي يثقل كاهلنا ويضاعف جهودنا وسعينا ، فانتم تعلمون أن المؤتمر الاسلامي حملنا مسؤولية رئاسة لجنة تحرير القدس الشريف ، فاحسنا تقديرها وتقييمها ، وعقدنا العزم على منحها ما تستحق من بالغ الاهتمام وواسع العناية وعظيم الجهد ، حتى نكون فى مستوى التحدي الاستعماري الشرس الذي يتعرض له الاسلام فى ظروفنا الراهنة ، ويكتب الله لنا تحرير اولى القبلتين وثالث الحرمين .

فلتبلغوا عنا اخوانكم حجيج بيت الله الحرام وضيوف الرحمن انا ماضون فى طريق الحق والجهاد لا نحيد ولا نزيغ ، ننشد الخلاص ، ونسعى الى التحرير ، ونبذل الجهد الخالص لوجه الله رب السماوات والارض غير هيابين ولا خائفين ولا ملقين بالا لتحرشات الاعداء ومناوشات الخصوم .

حجاجنا الميامين :

أن رسالتنا الاسلامية حق مشاع بين المسلمين، وانا ولله الحمد واعون كل الوعي صعوبة المسلك

ووعورة الطريق . وان املنا فى الله لن يخيب فقـــد وعد عباده المتقين الفوز والنصـــر والعـــزة فى الداريـــن .

فلنمض سويا فى طريق الاسلام . ولتهنـــاوا معشر حجاج بيت الله بما خصكم به المولى مـــن سابغ النعم ، ووافر الفضل ، وواسع الرحمـــة ،

وليجعل الله حجكم مبرورا وسعيكـــم مشكـــورا ، ودعاءكم مقبولا ، واعادكم الى بلدكم واهليكم غانمين ظافرين فائزين برضا الله وقبوله ، مطمئنين آمنين ان شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

اننا ماضون فى طريق الحق والجهاد ، لا نحيد ولا نزيغ، ننشد الخلاص، ونسعى الى التحرير ، ونبذل الجهد الخالص لوجه الله رب السماوات والارض غير هيابين ولا خائفين ولا ملقيـــن بـــالا لتحرشات الاعـــداء ومناوشات الخصوم .

جلالة الملك الحسن الثاني

وثيقة بيعة سكان وادي الذهب لجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

●● كانت مناسبة تقديم سكان وادي الذهب بيعتهم لجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله فى شهر رمضان المعظم عيدا وطنيا تجلى فيه اهم مظهر من مظاهر الشخصية المغربية المتميزة بالايمان بالله والولاء للوطن والطاعة للعرش الذي تحمل مسؤولية الدفاع عن القيم والمقدسات منذ ثلاثة عشر قرنا .

و « دعوة الحق » اذ تنشر نص بيعة مواطنينا باقليم وادي الذهب تسجل وثيقة تاريخية هامة تعكس جانبا من السيادة الوطنية على منطقة تعرضت للاحتلال والتآمر على يد الاستعمار واعوانه والدائرين فى فلكه .

وأن المغرب الذي استرجع مدينة الداخلة عاصمة اقليم وادي الذهب بحكمة ملكه القائد وشجاعة قواته المسلحة الملكية العتيدة لا يمكن ان يفرط فى رسالته الاسلامية او يتنازل عن دوره الحضاري والفكري فى القارة الافريقية .

ومن المؤكد أن استكمال تحرير الصحراء المغربية باقليميها : الساقية الحمراء ووادي الذهب بداية عهد جديد على الصعيد الوطني والقاري ، اعتبارا لما يمليه علينا موقعنا من دور فى سبيل الحفاظ على السلم ، وحماية الأصالة ، وصيانة القيم والمثل ، التي تتنازعها المذاهب الإلحادية الهدامة ، والايديولوجيات السياسية المتطلعة الى العودة بافريقيا المسلمة القهقرى قرونا من الزمن ●

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم أكمل تسليم

الحمد لله الذي نظم بالخلافة شمل الدين والدنيا وجعلها للدرجة
العليا وصان بها الدماء والأموال والأعراض وغل بها أيدي الجبا
برة عن معاسر الأغراض نحمده تعالى حمد معترف بذنبه راجع إلى ربه
ونشكره جل وعلا شكر مستزيد من نعمه مستعيذ به من فتنته ونقمه
ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو له الملك التام والحكمة والإنشاء
وله التصرف النافذ يؤتي الملك من يشاء يرفع ويضع
ويحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ونشهد أن سيدنا ونبينا
ومولانا محمدا عبده ورسوله جاءنا بالسنة والفرض وقال إذا
مررتم بأرض ليس فيها سلطان فلا تدخلوها إنما السلطان
ظل الله ورمحه في الأرض وقال من مات وليس في عنقه بيعة
مات ميتة الجاهلية صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى
آله الذين نور الله بهم هذا العالم تنويرا وآتاهم جل جلا
له ملكا كبيرا وعلى الصحابة أئمة الهدى ومن بأقوالهم وأفعا
لهم يؤتم ويهتدى ما قيمت للخلافة قواعد وبانت لجماعة
المسلمين مشاهد ومعالم .
أما بعد فمن المعلوم لدى الخصوص والعموم أن الله تعالى له الحكمة
البالغة والنعمة السابغة ومن حكمته جل جلاله وعز كماله
أن جعل هذا العالم منوطا بالسلاطين والملوك محوطا بالخلفاء
الذين بهم يهتدى وينفذ الأمر والناهية في الممالك والسلوك
وبهم تؤمن الطرقات فلا يخشى عليها من كمين العدوان
وبهم تحفظ الأبدان وتؤدى الأمانات وتحرس الجهات
من فساد اللصوص والسراق وبهم تحترم المحارم وترفع
الجرائم وترفع المظالم وتعلو بكلمة الله للدين مشا
هد ومعالم قال عليه الصلاة والسلام

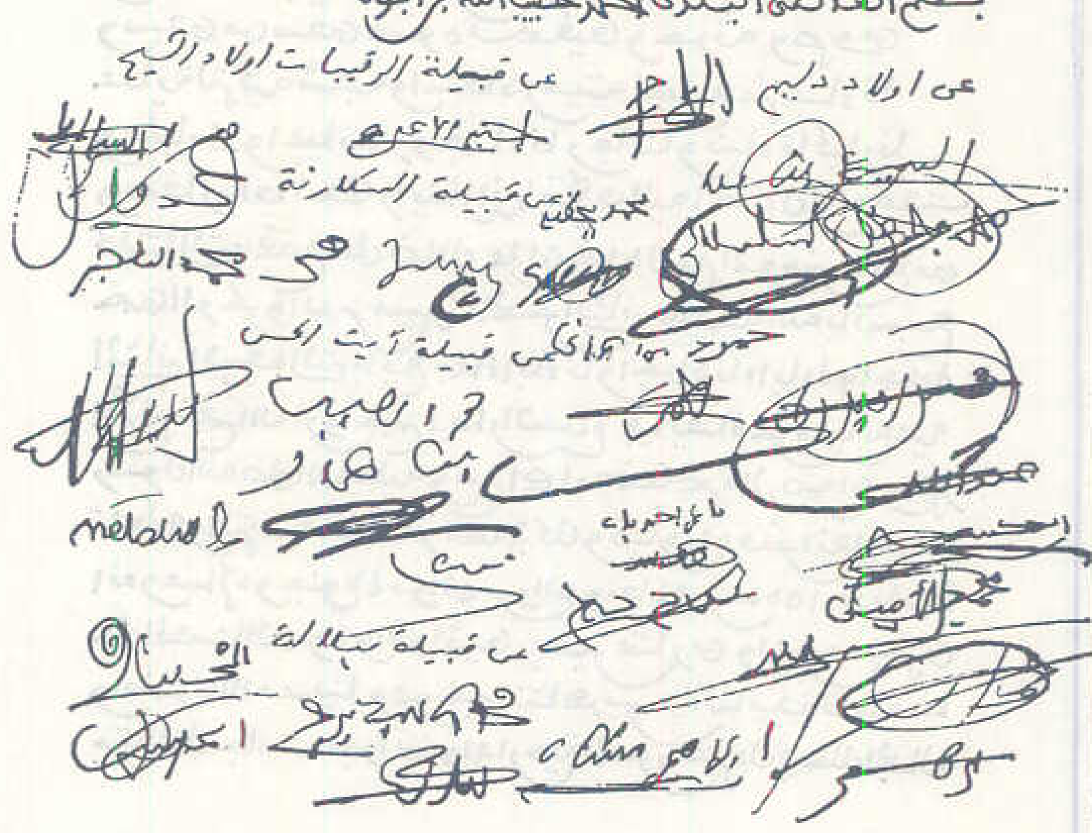
السلطان ظل الله ورمحه في الارض يأوي اليه الضعيف
وبه ينتصر المظلوم وفي رواية السلطان ظل الله في الارض
فمن غشه ضل ومن نصحه اهتدى .
ولما وفق الله باجتماع شمل الامة المغربية وانعم عليها
بعودة وحدتها الوطنية تحت علم حامي حوزة البلاد
وهادي شعبه الى سبل الرشاد محقق الامال والاماني
امير المومنين سيدنا ومولانا الحسن الثاني وكنا نحن قبائل
اولاد دليم وال فيلات وايت لحسن والعكارنه ولعروصيين
والركيبات وال الشيخ ماء العينين واولاد تيدرارين ويكوت
وايت باعمران وال محمد سالم وال بارك الله واولاد بوسبع
وتنرغ والابيكات وايمراكن سكان واد الذهب من اشرف
القبائل معروفة بخلالها الشريفة ومآثرها الجليلة المنيفة
واكثرها تقديرا لما بذل من جهود في سبيل تحرير وطنه
وسعى من سعي محمود لتحقيق وحدته ومن وفير
عناية لترقية شعبه واسعاد رعيته اجتمع شرفاؤنا
وعلماؤنا واعياننا ووجهاؤنا رجالنا ونساؤنا كبارنا
وصغارنا فاتفق راينا الذي لا يتطرق اليه اختلال واجتمعت
كلمتنا التي لا تجتمع على ضلال على ان نجدد لامير المومنين وحامي
حمى الوطن والدين سيدنا الحسن الثاني حفظه الله بالبيعة
الثانية البيعة التي بايع بها اباؤنا واجدادنا اباءه واجداده
الكرام نضر الله ارواحهم في دار السلام فبايعناه على ما بايع عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه تحت شجرة الرضوان واقررنا
بحكمه والتزمنا طاعته ونصحه في كل وقت وان نعادي اعداءه واعو
انه وعساكره وجنوده نوالي من والاه ونعادي من عاداه اخذنا بذلك
على انفسنا العهود والمواثيق راضين مختارين وغير مستكرهين
واشهدنا الله علينا وهو خير الشاهدين فالبيعة كاملة غا
ية الكمال جاءت عفوا تطوعا بارادتنا الحرة ترفل في حلل الجمال

محبوكة على عادة ايمان البيعة وحدودها المحدودة ومشدو
بحبلها الموكدة واقسامها المعهودة .

نسال الله تعالى ان يبارك لمولانا امير المومنين الحسن الثاني
فيما وهبه ويوضح في جانب الخير مذهبه ويجعل
مفاتيح السعادة في يمينه كما امسح في دار له بيمينه المقد
سة على جبينه ويجعل النصر والظفر مصاحبين لاعلامه
والفتح والنصر مكتوبين باقلامه ويبقي بجلالته
المبارك الميمون عز الاسلام بجاه جده مولانا محمد عليه
افضل الصلاة وازكى السلام

وكتب بالداخلة يوم الاثنين 18 رمضان المعظم سنة 1399 هـ
الموافق 13 اغشت ——— 1979 م على صاحبهما الصلاة والسلام

بفصل القاضي البلدي احمد حبيب الله بابوه



عن قبيلة آيت باعمران

عن قبيلة العروسيين

عن قبيلة اولاد تيدرارين

عن قبيلة الزرقيين

عن آل الشيخ ماء العينين

عن قبيلة آل محمد سالم

عن قبيلة الرقيبات السواعد

عن قبيلة تندغة

عن قبيلة آل بارك الله

عن قبيلة اولاد اللب

عن قبيلة يكوت

عن قبيلة اد يقب

عن قبيلة اليراكن

عن قبيلة الناصير

عن قبيلة الرقيبات
اولاد داود

مسيرة قرآنية دائمة...

●● اذا كان الايمان يصنع ارادة التحدي والاستمرار فى الدفاع عن النفس والقيم والمقدسات ، فان تصاعد المؤامرات ضد السيادة والكرامة، يخلق ديناميكية الصمود ، ويكسب الشعوب قوة المواجهة واصرارا على التمسك بالحــق .

وبقدر ما تفجرت طاقات شعبنا المؤمن استجابة لنداء قائد المسيرة، ومبدعها ، جلالة الملك الحسن الثاني ، تتواصل اليوم معركة الثبات ومقاومة العدوان ، انتصارا للمشروعية ، وصيانة للسلام ، وذودا عن حقنا فى الوجود والريادة والزعامة ، باعتبارنا جبهة اسلامية قيض لها منــذ القدم أن تخوض المعارك تلو المعارك ، دفاعــا عــن الاسلام ، واعــلاء لكلمــة اللــه .

وما نقموا منا الا لتشبثنا بالاسلام عقيدة وهوية وسبيلا الى التحرير والبنــاء .

● لقد كانت المسيرة الخضراء ، بمقياس الايمــان ، وبتحليــل اليقين ، تأكيدا قاطعا لا رجعة فيه لارتباط شعبنا وقيادتنــا بالاسلام ، مما افزع خصوم وحدتنا الترابية ، واعــداء الانسان فى كل مكــان ، فتوالت الغارات ، وتكاثرت جهات المكر والعداء والتآمــر ، وتعــددت جبهات المواجهة ، مع الاتفاق فى الهدف والوجهة والقصد ، وهو النيل من اسلام المغرب وايمان المغاربة ، بالتمكيــن للالحــاد الماركســي والليبرالي ، وفتح المجال واسعا أمام العمالة والخيانة والردة .

●● بيد أن وعي القيادة ، ويقظة الشعب ، كفيلان باحباط كل عدوان، وافساد خطة الاستعمار وتلامذته فىمنطقتنا العربية الاسلامية الافريقية.

ان الذكرى الرابعة للمسيرة الخضراء المظفرة تملأنا اعتزازا وثقة ويقينا وأملا ، فهي تحل فى ظرف تصاعد فيه المد الشعبي وراء قائــد البلاد تعزيزا للجهاد المقدس ، ودعما لمعركــة الوحــدة والتحرير ، وترسيخا لأسس التضامن والتكافل والتعايش تحت مظلة العرش العلوي المجيـــد .

● لقد أثبت شعبنا هويته الاسلامية كأقوى ما يكون الاثبــات فى اليوم السادس من نوفمبر سنة 1975 . ولن يعرفنا التاريخ الا بهــذه الهوية التي تدمغ كل باطل ، وتبطل كل زعم ، وتهزم كل عدوان ..
وانها لمسيرة قرآنيــة دائمــة ...

عبد القادر الادريسي

شاب تقدمي

لأستاذ عبد الله كنون

قال صديقي وهو يبتسم ابتسامة ذات معنى : أقدم اليك الشاب التقدمي عزيز ادريس . فقلت : اهلا وسهلا ، تشرفنا . وقال الشاب انني مسرور بمعرفتك يا استاذ ، وقد طالما تقت الى ذلك حتى تفضل صديقي وصديقك السيد عبد الرحمن بتقديمي اليك . فقلت شكرا على مسعاه الحميد . وقال الصديق بتخابث : ما اظن انه مسعى حميد ، ولكن عسى وعسى (1) . واستغربت هذا الكلام من صديقي وان كنت اعرفه كثير المزاح . واما الشاب فانه لم يلتفت الى كلامه وقال لي : علمت انك تميل الى الدين ؟ فقلت ما ذا ؟ وتدخل الصديق فقال : ان السيد عبد العزيز درس الصحافة وهو يشتغل بالتمثيل ولكنه قليل الدين كما نقول باللغة الدارجة فهو يسألك هل انت متدين ؟ وقال الشاب : اف منك . لا تدع السخرية حتى فى المواقف الجادة .

واردت أن اغير مجرى الحديث ، فقلت لصديقي : هو اسمه عزيز او عبد العزيز ؟ فضحك الصديق ضحكة مدوية وقال : ان والده السيد ادريس سماه عبد العزيز . ولكنه يقول : انه حر لا يرضى ان يكون عبدا لأحد فهو يسمي نفسه عزيزا . وكم من معركة قامت بينه وبين والده على هذه القضية ، فهو يصر على أن لا يدعى الا بعزيز ، ووالده لا يدعوه الا عبد العزيز فلا يستجيب له . ولما رآه يسمي نفسه عزيز ادريس قال له : ان ادريس هو اسمي انا واما انت فابن ادريس ، الا ترضى أن تكون ابني ؟ وكان ما اجابه به هو أننا ذات واحدة ، فاسمك هو اسم لي ايضا . وقال له والده : واسمك الا يكون اسما لي ؟ قال : طبعا . قال : فانا اذن ادريس عبد العزيز . قال : لا انت ادريس ، لأن جدي اسمه ادريس فيجوز أن تتخذ اسمه تعريفا لك . فقال والده : يعني أنا ادريس مرتين . قال نعم . قال : افلا اقول ادريس الثاني ؟ قال : لا ، هذه خاصة بالملوك ، ولكن يمكن أن تقول : ادريس (ب) . .

ثم قال الصديق : ووالده رجل طيب كلما خاض معه فى حديث واجابه بهذه الصفاقة طوى على ما به وبقي هو على تعنته .

فقال الشاب : دعنا من خرافة الوالد ، فان عقليتك وعقليته واحدة ، أجاب الصديق : وهذا من التقدمية يا سيدي عزيز ؟ .

وقلت وانا اقصد الى تلطيف الجو : يظهر ان الحجاب بينكما مرفوع . فقال الشاب من غير اكتراث : اننا فى صراع دائم من هذا القبيل . ان السيد عبد الرحمن وان كان ما يزال شابا يحمل مع الأسف افكارا رجعية تكاد لا تجعل فارقا بينه وبين اكبر الناس جمودا على القديم . وقال الاخير موجها الكلام الى الشاب : لعل ما ينقصني لاكون شابا تقدميا

---

(1) تلميح الى الآية الكريمة وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو تعبير يكثر وروده فى لغة العامة .

مثلك هو ان امر على سوق « قلب شقلب » (2) فاتزين ببدلة قضفاضة من هناك واضع لفة من ورق التواليت في دورة المياه ، واقول عن والدي انه خرافة ...

وظننت أن الشر سيثور بينهما بعد ان وصلا الى هذا الحد من التنابز ، ولكني دهشت لرؤية الصديق يبتسم ابتسامته المعهودة ، والشاب ينتزع منه الكلمة ليقول في غير مبالاة بما سمع .

ان هذا ، بالاستاذ ومن على شاكلته ، يعتقدون أن الوالدين شيء مقدس ، وان كلامهما يجب ان لا يخالف ، وهم يسبغون عليهما وعلى كل شيء في الحياة صفة دينية تستلزم الطاعة والخضوع . فلا يمكن ان نتناقش في امر ولا يقحم حكم الدين فيه . العلم ، الصناعة ، المال ، الحكم ، المراة ، الزواج ، الموسيقى ، حتى ارتياد شاطىء البحر للفسحة عنده له حكم ديني ، وقد كره الينا هو وامثاله الدين وكل ما يمت اليه بسبب . ولذلك اردت ان اعرف رايك في الدين عند ما خاطبتك اولا بما علمت من ميلك اليه ، ولكنه شغلنا بهذه السفسطة خشية أن تنتهي من المذاكرة في الموضوع الى نتيجة لا تروقه .

وقهقه الصديق وقال : اتظن الاستاذ ممن يعبد الله على حرف ، فهو بمجرد مهاترتك ولا اقول مذاكرتك سينقاد في حبلك ويوافقك على عجرك وبجرك ؟ واخذت الكلمة فقلت للشاب ان الناس قبل جيلنا هذا كان الدين هو فلسفتهم الحياتية ، فكانوا يحكمونه في كل شأن من شؤونهم ، وكانوا لذلك سعداء ، لانه الف بين قلوبهم وجعل منهم مجتمعا ذا طابع خاص لا تنافر بين أفراده ولا تخالف .. ونحن اليوم نعيش بلا فلسفة ، او على فتات الموائد الفلسفية المعاصرة ، ولذلك كثر بيننا النزاع الذي يفضي الى التقاطع والبغضاء والعداء ، واصبحت وحدتنا الوطنية مهددة ، شأن المجتمعات المفككة التي تدفعها الفوضى واللا مسؤولية .

قال الشاب : علينا اذن ان نضع لنا فلسفة جديدة تقوم مقام الدين في العهد البائد او نتبنى فلسفة كاملة من الفلسفات العصرية التي سمت باصحابها الى أوج التقدم والازدهار .

وقال الصديق : ان عدوك رقم واحد هو الدين فما بالك وقد انسلخت منه تريد للناس كلهم أن ينسلخوا منه ولا تكتفي بنفسك ؟ اتظن أن العالم كله على مثل عداك للدين ؟

ونظر اليه الشاب نظرة اشمئزاز ثم توجه الي فقلت له :

اما ان نتبنى احدى الفلسفات المعاصرة فما اظن ذلك ينافعنا شيئا، ان لم يزد في شقائنا ومحنتنا، لان هذه الفلسفات قد فصلت على قد أصحابها وهم قد عاشوا اطوارها المختلفة من نشوء ونمو الى نضج واستواء ، فلم يشعروا بنشاز فيما بينها وبين حياتهم اليومية ... وانت اذا أردت أن تطبق القانون الفرنسي على الشعب الايطالي مثلا تكون قد ظلمته ، لأن القوانين تنتزع من صميم حياة الشعوب وعناصر تكوينها المادي والمعنوي ، هذا وفرنسا وايطاليا شعبان لاتينيان اوربيان ، دينهما واحد واحوالهما الاجتماعية والاقتصادية متشابهة ، فكيف بشعب مثل المغرب تختلف مقوماته كل الاختلاف عن فرنسا اذا اردت ان تحكمه بالقانون الفرنسي او باي قانون أجنبي آخر ؟ وما قيل في القانون يقال في باقي شعب الفلسفة الحياتية المستوردة .

واما ان نضع لنا فلسفة حياتية جديدة فلا من ينازع في ذلك ، ولكن لا نقول انها تقوم مقام الدين ، لأن الدين له دور في الحياة لا تغنى عنه الفلسفة ، كما ان الفلسفة لا تغنى عن العلم والواجب أن تتساند هذه القوى الخلاقة ليتهيأ للشعب عيش راغد وحياة افضل .

قال الشاب : اننا لا نريد أن تعود للدين السيطرة الكاملة على جميع مظاهر حياتنا حتى كيف نقص شعرنا وما نلبسه من انواع الثياب . فقلت له : ان للدين عزائم ورغائب ، وهو اذا كان لا يتسامح في الاولى فانه يكل الثانية الى ما يصطلح عليه الناس ويتفق وميولهم الشخصية فلا تفرضوا آراءكم على غيركم ، فان لكل واحد مذهبه ومشربه . ومسالة

(2) هو سوق الملابس المستعملة الواردة من امريكا ، اطلق عليه العموم هذا الاسم لان المشتري يقلب البدلة بعضها على بعض وهو يختار منها .

قص الشعر ألا ترى هؤلاء الافواج من الشباب الذين اخذوا يوفرون ذقونهم اعلانا عن انهم من أتباع فلسفة ما ، والذين يقلدونهم اعتباطا حتى كاد اطلاق الذقن يصبح علامة على ثقافة الشاب ومثاليته ، انهم قبل الآن لو أتيتهم بكل ما قاله الانبياء والفقهاء في اعفاء اللحى لما قبلوا منك ولا استمعوا اليك ، ولكنهم لما اصطلحوا على ذلك صاروا يتباهون به فيمـــا بيـــن اقرانهم ، فلماذا لا تحملون غيركم على هذا المحمـل وتحترمون ذوقهم على الاقل ؟

وحاولت ان اداور الشاب عن رأيه فسألته : ان صديقنا ذكر أنك تشتغل بالتمثيل فهل مثلت يوما ما دور أحد رجال الدين ؟

اجاب : نعم مثلت تارتوف وراسبوتين .

قلت : الم تقم بدور آخر يساند الدين وينشر فضيلته بين الناس ؟

اجاب : لا ، ان التمثيل فن تقدمـــي يحـارب الرجعية ولا يتقمص الدعاية الدينية .

قلت : كيف وهذه محطات الاذاعة ما تفتأ تقدم في كل مناسبة تمثيليات دينية مؤثرة ؟

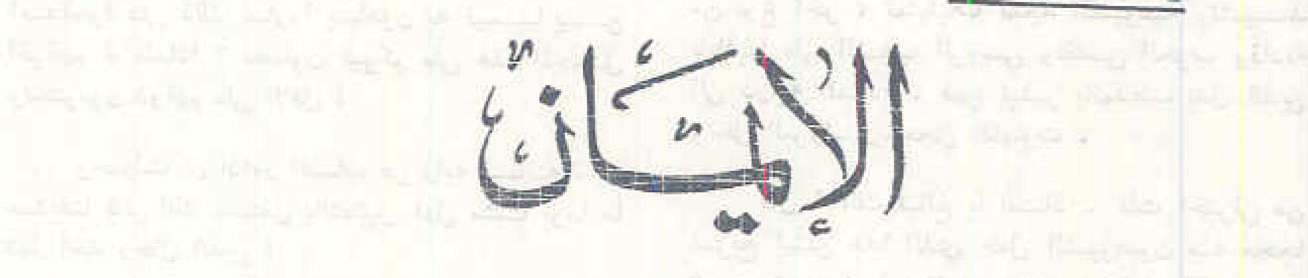
قال : تعني ذلك الهراء يسمونه قصة نـــوح وابراهيم وموسى وما اشبهها ، فهل استمعـــت الى مثله قط في الاذاعات التقدمية كاذاعـــة موسكـــو وبلغــــــراد ؟ .

قلت : ان محطة موسكو تذيع تمثيليات دينية من نوع آخر ، تمثيليات تمجد الشيوعية وتشيــد بأياديها على الشعب الروسي وتقدس الحزب وقادته الى درجة العبادة . فهي تبشر بالمذهب بدل الدين وتحل البروليتاريا محل الكهنوت .

قال : انك تبالغ يا استاذ . قلت اخبرني عن ضريح لينين هذا الذي جعل الشيوعيون منه محجا للعموم ، وصاروا يتباهون بعدد من يؤمه يوميا مـــن آلاف الزوار اليس هو مظهر من مظاهر تقديس الفكرة الشيوعية وعبادة الاشخاص التي تعد بحق رجعيـــة وتعلقا بالاوهام ؟ فأين هي المبالغة ؟

وهنا قال الصديق واخذ بيد الشاب يخاطبه : لعمري ما تريدون الا أن تنقلوا الشعب المسكين من عبادة الله الى عبادة أحد زعانفتكم كما فعل اشياعكم هـــؤلاء .

طنجة : عبد الله كنـــون



للأستاذ محمد العربي الخطابي

بصبح الصباح فينبثق النور من الظلمة وتنطلق الحركة من السكون وتسري الحياة دافقة فى أعطاف الموجودات الظاهرة والخفية ، الناطقة والعجماء ، المتحركة والساكنة – وكل يسبح بحمده – فيسعى الانسان فى هذا الكون معتدا بعقله وتفوقه : تراه يفرح بالعافية ويبسم فى السراء ويصبر حين الباس ويضاعف الحمد فى كل حال ، او تراه يبطر بالنعمة ويطغى ان رآه استغنى ويجزع لما يصيبه .

وتتعاقب الفصول والايام فتتغير الوان الزهور والاوراق ، وتتباين اصناف الاعشاب والحشرات واحوال الطقس واهواء البشر وطبائع الحيوان ، وفى هذا العالم المتحرك المتغير دوما يحلق الطير بحثا عن الحرية والقوت ، ويسعى الوحش طلبا للفريسة والبقاء ، وتسري حياة جديدة فى عروق النبات فيرى الناس كل ذلك أو يحسونه أو يلمسونه فمنهم من تهتز نفسه عجبا واعجابا ، ويمتلىء قلبه جذلا وانشراحا ، ويعتريه شعور مبهم حائر يدفعه الى اطالة التامل وادمان التدبر فيما حوله ، ومنهم من يمر على ذلك غير بصير فلا يحس بشيء الا ان يكون البرد فى ايام الشتاء أو الحر فى زمن الصيف ، يجوع ويشبع ، يعطش ويرتوى ، ينشرح او يضجر ويسعى فى الحياة فلا يلتفت حوله ولا يتدبر فى شيء .

فاي الحالين يدل على الايمان يا ترى ؟

* * *

اعرف ان الايمان هو مفتاح المعرفة وعين اليقين وانه الطريق الموصل الى الحق المطلق ، فانى لي أن المس ذلك ، ابالبصر والسمع والذوق والشم ، ام بالعقل والفؤاد والوجدان ، ام بمعادلة حسابية :

الايمان = س + الحقيقة .

والذي يحيرني هو هذا السين ، ما ذا يكون ؟

* * *

القلب مضغة يصلح الجسد بصلاحها ويفسد بفسادها .

فالقلب اذن هو المتحكم ، هو مكمن الايمان والشك معا ، فانى لي ان اعرف موضع هذه المضغة من الجسد ؟ فلو كنت اعرف لوضح الامر وتجلت الحقيقة .

* * *

رجعت الى العبادات : القيام والقعود ، والركوع والسجود ، والطواف والوقوف ، والصوم والتطهر ، فتبين لي أن العبادات فى مظهرها أعمال تدل على الطاعة ان كانت مسبوقة بالايمان الذي هو عين البر وبرهان التقوى .

وقد وجدت أن أقبح ما يشين العبادات فتور العادة الذي يحيلها الى مجرد حركات يأتيها المرء ووجدانه غائب وفكره مشتغل ونفسه ساهية .

فروح العبادات اذن : الطاعة بالعمل ، وقوامها صحة الايمان باليقين .

* * *

جاء فى التنزيل العزيز : « واذ قال ابراهيم : رب أرني كيف تحيي الموتى ؛ قال : أو لم تومن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي » .

فهل طمانينة القلب هذه هي علامة الايمان ومظهره ، أما أنها الايمان نفسه ؟

وهل المشاهدة بالعين وملامسة الفوارق شرطان لازمان لاطمئنان القلب وصحة الايمان ؟

والسكينة التي ينزلها الله على قلوب المؤمنين ... أهي البرهان على استقرار الايمان وتغلغله وتمكنه ؟ هل هي بداية الايمان أم مظهره ام غايته ؟ وهل السكينة هبة من الله ينزلها على من يشاء من خلقه وعباده بما يبثه فى قلوبهم من شجاعة وصبر ورضا ؟

* * *

قال ابن مسعود ، فيما رواه البخاري : اليقين الايمان كله .

فاليقين ، هو التصديق المطلق المقرون بالقول والعمل ، وهو الاعتقاد الجازم . لما اخبر به الوحي .

نقرأ فى كتاب الله العزيز : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ... »

وفى حديث شريف : « الايمان ان تؤمن بالله وملائكته ، وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث ... »

أو ليس اليقين ، كالمعرفة ، نور يقذفه الله فى قلب السالك قبل ان يدرك مرتبة الوصول ؟

* * *

ندرك ، بالتأمل أن للايمان اوجها ثلاثة :

صحة الاعتقاد ، وأخلاص العمل ، واستقامة الخلق .

فصحة الاعتقاد هي قوام الايمان ودعامته ، وجوهر الاعتقاد هو الاحسان : « أن تعبد الله كانك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وعلامة الاحسان وغايته معرفة الله بالقلب ، وخشيته بالتقوى ، وسلوك طريق المحبة : محبة الله ورسوله . فى حديث شريف : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله » .

أما اخلاص العمل فقوامه الطاعة اي العمل بما امر به الله ورسوله واجتناب ما نهيا عنه فى العبادات والمعاملات والسلوك ؛ وآية الاخلاص توحيد الله والخضوع له والتوجه اليه وحده بالعبادة والدعاء وطلب الهداية والعون ؛ ففى ذلك قوة المؤمن وكمال حريته وضمان خلاصه .

واستقامة الخلق هي الدلالة على صحة الاعتقاد واخلاص العمل معا ، فالشرع لم يأمر بالعبادات وحدها وهو لم يقتصر على بيان مناهج المعاملات فحسب بل انه امر كذلك بالعدل والاحسان والوفاء بالعهد والصبر فى البأساء والضراء مع محاسبة النفس ، كما حث على الحياء ـ ومن معانيه المروءة والتواضع وتغليب الوازع الخلقي ـ ودعا الى الامانة والاستقامة والتعاون والبرور والايثار والنصح ـ ومعناه الصدق والاخلاص فى المعاملة ـ فهذه كلها واجبات خلقية لا يجوز للمؤمن ان يفرط فيها .

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: « لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وقوله : « ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان : الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار » . وقوله : « الايمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الايمان » .

ويمكن للناظر فى كتاب الله وسنة رسوله وافعال السلف الصالح ان يستنبط مختلف شعب الايمان ، وجلها يدل على ما يجب أن يتحلى به الانسان من مكارم الاخلاق التي تستقيم بها أمور الفرد والجماعة ، وادناها اماطة الأذى عن الطريق .

* * *

يقول الامام أبو حامد الغزالي فى رسالة (**الاقتصاد فى الاعتقاد**) : « ليس يجب على كافة الخلق الا التصديق الجازم وتطهير القلب عن الريب والشك فى الايمان ، وانما تصير ازالة الشك فرض عين فى حق من اعتراه الشك » .

فاللهم انا الى التصديق الجازم اقرب وأميل ، فطهر قلوبنا من الريب والشك فى الايمان .

اللهم ان برهاننا فى انفسنا وفيما خلقته من حولنا من كائنات وعوالم — وكل يسبح بحمدك — وليست عقولنا القاصرة الا بعض البرهان ؛ فامنحنا، يا رب ، الأمن والايمان بايماننا ، واجعلنا ممن قلت فيهم : « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم» ووصفتهم بقولك الحكيم : « وما زادهم الا ايمانا وتسليما » .

محمد العربي الخطابي

شوال 1399 — سبتمبر 1979

ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان : الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار .

(حديث شريف)

أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه

أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي

للأستاذ سعيد أعراب

بعد ان قدمنا بطاقة تعريف بابن سبع ، والقينا نظرة عابرة عن مؤلفاته ، نقف وقفة خاصة مع كتابه « شفاء الصدور » ، نتناول فيها الجوانب التالية :

ا ـ منهجه .

ب ـ اسلوبه .

ج ـ اهميته .

د ـ المآخذ التي اخذت عليه .

ه ـ بين شفاء ابن سبع وشفاء عياض .

اما عن منهج ابن سبع فى « شفاء الصدور » ، فقد اشرت فى صدر هذا البحث الى ان المقدمة التي يمكن ان يكون تحدث فيها عن منهجه فى هذا الكتاب ، قد ضاعت فى جملة ما ضاع من أجزاله ؛ ولكن حديث الناس عنه ، والقطع التي وصلتنا منه ، قد تعطي بعض الضوء فى هذا الصدد .

والعنوان الكامل للكتاب ـ كما يذكر المؤلف فى مختصره « الخصائص » (1) ـ : « شفاء الصدور فى ايضاح البيان ، عن كشف حقائق البرهان ، فى اعلام نبوة الرسول محمد بن عبد الله ... وخصائصه » .

ويذكر الامام الواعظ ابو العباس احمد بن محمد ابن النحاس الدمشقي فى مقدمة كتابه الذي الفه فى الجهاد ـ وهو يتحدث عن المصادر التي عاد اليها فى الموضوع : (وزوائد أخرى كثيرة ، معزوة الى مواطنها ... ومنها جملة من كتاب مسمى « شفاء الصدور » للخطيب ابى الربيع سليمان بن سبع السبتي ، ذكر أنه جمعه فى قريب من ثلاثين سنة ، فى خمسة عشر مجلدا ؛ يشتمل على أحاديث فى فضائل الاعمال ، ودلائل النبوة ، وغير ذلك ؛ قد وضع فيه مؤلفه من عجائب الغرائب اصولا وفروعا ، وجمع فيه آدابا ودرج فأوعب وأوعى ؛ لكن احاديثه عرية عن الاسناد ، خلية من التصحيح والتضعيف عما يراد ؛ اخترت منها جملة ، اتبعت (طريقة) خاصة فى نقلها ، وخرجت من عهدتها بعزوها الى اصلها ...) (2) .

وهو نص على جانب من الاهمية ، ولذا اوردته بطوله ، يمدنا بخطوط عريضة عن منهج ابن سبع فى « شفاء الصدور » ، وعن جوانب من محتوياته ؛ فهو موسوعة فى الحديث والسير ، قضى مؤلفها فى جمعها وتحريرها قرابة ثلاثين عاما ، واخرجها فى خمسة عشر مجلدا .

(1) انظر الكشاف فى مخطوطات الأوقاف ـ لأسعد طلس ص 54 .
(2) انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 21 ق .

والمنهج الذي اتبعه في هذا الكتاب، ان يورد الاحاديث مجردة عن الاسناد، خالية من كل تصحيح او تضعيف، شانه في ذلك، شأن كثير ممن صنفوا في هذا الباب.

وابن سبع — في اكثر ابحاثه وموضوعاته — لا يقتضب القول اقتضابا، بل يعطي الموضوع حقه، ويستوفيه من جميع جوانبه؛ فلا يترك صغيرة ولا كبيرة، ويصل احيانا الى حد الاغراب في الاصول والفروع — على حد تعبير ابن النحاس (3).

وهو — الى ذلك — يتصيد النكت الادبية، ويورد انماطا من خطب البلغاء، وقصائد الشعراء، لمناسبة او اخرى.

والموضوعات التي تناولها ابن سبع في كتاب « شفاء الصدور »، يمكن اجمالها فيما يلي:

1 — احاديث في فضائل الاعمال.

2 — اعلام نبوته — ص —.

3 — خصائصه — عليه السلام.

4 — مناقب الصحابة.

وليس لدينا ما نعتمد عليه في الموضوع الاول، الا ما ذكره ابن النحاس — الآنف الذكر؛ ومن حسن الحظ انه احتفظ لنا بجملة من هذه الاحاديث، ذكر منها:

— قوله — صلى الله عليه وسلم —: من خدم قوما في سبيل الله، كان له من اجر كل واحد منهم قيراط من الاجر، ولا ينقص من أجرهم شيء.

— افضل الغزاة خادمهم، ثم راعي دوابهم، ثم مؤذنهم — (4) الحديث.

— قال: وبلغني عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه مر برجل — وهو يعالج — يعني طعاما — وقد عرق والهبه وهج الحر، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —: لن يصيبه حر جهنم بعدها (5).

— وذكر عن عبد الله بن سليمان أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: من (احتبس) فرسا في سبيل الله؛ فان شبعه وريه وبوله وشعره، حسنات في ميزانه يوم القيامة (6).

— وذكر عن محمد بن المنكدر عن أبيه ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: من راح يكبر ويهلل في سبيل الله، غابت الشمس بذنوبه(7) الحديث.

— وذكر ايضا عن ابن عباس، ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: من بث علما في سبيل الله، اعطي بكل حديث منه مثل رمل عالج حسنات، وكان له اجر من عمل به الى يوم القيامة (8).

— وعن أبي صدقة قال: قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —: ليبعثن يوم القيامة اقوام يمرون على الصراط كهيئة الريح حتى يلجوا الجنة، قيل: ومن هم يا رسول الله، قال: قوم أدركهم الموت — وهم في الرباط (9).

— وعن انس بن مالك قال: يخرج يوم القيامة على المنابر رجال لا يشغلهم حساب، حتى يأتوا الى أبواب الجنة فيقرعونها ملبين مدلين، فيقول رضوان: من انتم ؟ فيقولون: احباء الله، قوم مرابطون؛ فيقول لهم رضوان: انكم لتدلون على الله، كأنكم غبرتم اقدامكم على ساحل البحر (10).

---

(3) نفس المصدر.
(4) المرجع السابق ص 128.
(5) نفس المصدر.
(6) المصدر السابق ص 133.
(7) نفس المصدر ص 155.
(8) نفس المصدر.
(9) المصدر السابق ص 164.
(10) نفس المصدر.

ـــ وذكر عن الزهري قال : قال رسول اللهـ صلى الله عليه وسلم ـ : يأتي زمان على النـــاس ، افضل جهادهم فيه الرباط ـ والرباط أصل الجهاد وفروعه (11) .

ـــ وذكر عن الحكم بن عتيبـــة قال : قـــال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلـــم ـ : همـــوا بالرباط ، فان من هم بالرباط ، كتبت له بين عينيه براءة من النار ، فان أوفى بالرباط ، لم تصبه خطيئة ولا ذنـــــب (12) .

ـــ وذكر عن الحسن أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : رباط ليلة في سبيل الله ، افضل من عبادة احدكم في بيته ستين سنة (13) .

ـــ وذكر عن علي ـ موقوفا ـ قال : كـــل خطوة يخطوها المرابط ، تعدل عند الله الف عـــام : صيام نهارها ، وقيام ليلها (14) .

ـــ وعن اسماعيل بن حبيب ـ برفعـــه الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ـ ما من مسلم الا له نظرة من الله كل يوم ، ورحمة يتقلـــب فيها ؛ الا المرابط والمجاهد ، فان لهما في كل يوم من الله مائة رحمة ، ومائة نظرة يتقلبان فيهـــا ، ولا يسئلان ولا يحاسبان عن النعيم يوم القيامة (15) .

وهذه الاحاديث ـ في جملتها (16) ـ تبـــدو عليها لوائح الغرابة ، وسنعود اليها مرة اخـــرى ـ عندما نتحدث عن المآخذ التي اخذت على ابن سبع في شفاء الصدور .

والموضوعان الرئيسيان في الكتاب ، هما :

2 ـ دلائـــل نبوتـــه ـ ص .

3 ـ خصائصه ـ عليه السلام .

ولذا استغرقا اكثر اجزائه ، وينبغي ان نشير الى ان المجلد الاول الذي تضمنته مخطوطة الخزانة العامة رقم (1383 ك) ـ يحوي احد عشر جزءا من الاجزاء الصغار ، المعروفة بالاجزاء الحديثية ـ كما اسلفنا ، تحدث في الجزء الاول منهـــا عن معجـــزة القرءان ، وقد ضمنه بابين ، أوضح في الباب الاول معنى اعجاز القرءان ، ووجوه اعجازه ، وخـــواص نظمـــــه ..

وابان في الباب الثاني عن فصاحة القـــرءان وبلاغته وجزالته ، واسمائه ، وما فيه من علـــوم ، واسرار ، وحكم ... ثم أورد الوانا مـــن فصاحـــة القرءان وبلاغته ، وذكر أن الكلمة الواحدة تتصرف الى عشرين وجها ، والى اكثر والى اقل ... وطبق ذلك على عدة آيات ، وبذلك انهى الجزء الاول ـ وقد شغل 45 صفحة من القطع الكبير (17) .

وتحدث في الجزء الثاني عن ابتداء خلقـــه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وقد مهد لذلك بقوله : ان الله ـ تعالى ـ خلق الخلق بعلمه ، ثم اختار منهـــم صفوته لغيبه ، واختار من كل خيار صفوة امناء على وحيه .. استودعهم خير مستودع ، واقرهم في خير مستقر .. نسختهم مكارم الاصلاب الى مطهـــرات

---

(11) المصـــــدر السابـــــق ص 173 .
(12) نـــفس المصـــــدر .
(13) نـــفس المصـــــدر .
(14) نـــفس المصـــــدر .
(15) المرجـــــع السابـــــق ص 175 .
(16) قلنا في جملتها ، لأن منها ما اخرج في الصحاح مثل حديث من احتبس فرسا في سبيل الله .. اخرجه البخاري والنسائي وغيرهما .
ومنها ما نجد ما يشهد له ، مثل حديـــث الحسن : رباط ليلة في سبيل الله ، افضل مـــن عبادة احدكم في بيته ستين سنة .
وحديث علي : كل خطوة يخطوها المرابط تعدل عند الله الف عام : صيام نهارها ، وقيام ليلها .
وحديث محمد بن المنكدر : من راح يكبر ويهلل في سبيل الله ، غابت الشمس بذنوبـــه ـ الى غيـــر ذلـــك .
(17) انظر مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم (1383 ك) ص 40 ـ 85 .

الارحام ، كلما مضى سلف ، اتبعت لأمره منهم خلف، حتى انتهت نبوءة الله ، وافضت كرامته الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (18) .

ثم اعقب ذلك بفصل اورد فيه عن كعب الاحبار اثرا يقول : ان الله خلق نور محمد قبل أن يعرف آدم ، ووضع فى ظهره نطفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — . وسنعود الى هذا الاثر فى موضع آخر من هذا البحث .

ثم ذكر قصة احبار الشام الذين تواطئوا على قتل عبد الله بن عبد المطلب — والد الرسول عليه السلام ، ثم ابى طالب وبصحبته ابن أخيه محمد بن عبد الله ، والحوار الذي دار بينهم وبين بحيرا الراهب .

ثم يذكر قصة زواجه — صلى الله عليه وسلم — بخديجة ، وبذلك ينتهي الجزء الرابع .

ويلاحظ ان الناسخ لم يشر الى نهاية الجزء الثاني ، ولم يذكر بداية الرابع ، كما اسقط — بالمرة — الجزء الثالث .

ويواصل فى الجزء الخامس حديثه عن حياته — صلى الله عليه وسلم — قبل البعثة ، ويورد بعض اخبار قس بن ساعدة الايادي ، وجملا من خطبه ، وقصائد شعره المطولة ، مما لا نجده فى كتاب سواه.

ثم يذكر قصة اسلام ابي بكر وعمر ، وفى الجزء السادس يتحدث عن اسلام عثمان بن عفان ، ثم اسلام نفر من الخزرج ، ثم عن اجتماع قريش بدار الندوة وتآمرهم على قتل الرسول — عليه السلام ، واختفاؤه بغار ثور .

وفى الجزء السابع يتحدث عن صلح الحديبية، ثم عن البعثات التي وجهها — صلى الله عليه وسلم — الى ملوك العرب والعجم يدعوهم الى الاسلام دين الفطرة . « وذلك دين القيمة » .

ثم يعقد بابا لما اخبرت به الجن والكهان وهواتف الاصنام ، من أعلام نبوته — صلى الله عليه وسلم — فيذكر حديث الكهانة ، ثم قصة سواد بن قارب ، وحديث الجعد بن قيس ، وعباس بن مرداس ، وخبر عدي بن حاتم ، ثم قصة اسلام الخثعمي ، وبذلك ينتهي الجزء السابع .

ويبتدىء حديثه فى الجزء الثامن بقصة تميم الداري ، ثم حديث عمرو ابن مرة الجهني ورؤياه .. ويسير فى هذا الاتجاه فى الجزء التاسع ، فيذكر الذين شاهدوا أو سمعوا من هواتف جن ، واحجار ، وجمادات ، واصنام ... وأورد اشعارا كثيرة فى هذا الباب ، واكثرها منحول .

وفى الجزء العاشر يتحدث عن مولده — صلى الله عليه وسلم — وما اظهره الله عنده من الكرامات ، والمعجزات الخارقات للعادات ؛ ومنها ما روته أمه آمنة من بشائر وارهاصات ... قال ابن سبع : ووجه الاعجاز فيهم ، انهم اعداؤه ، فعصمه الله منهم، ومنعهم من قتله ، وربى بين اظهرهم ؛ كما فعل بكليمه موسى — عليه السلام — ، رباه فى حجر عدوه ، حتى بلغ اشده واستوى .

وفى الجزء الحادي عشر والاخير — يعقد بابا لما اظهره الله من بركته ، واعلام معجزته ، فى رضاعه وفصاله فى شبيبته ؛ ويذكر ان الله — جل جلاله — لما اراد برسوله — صلى الله عليه وسلم — أن يرضع فى بني سعد ، مست الناس شدة عظيمة، فاتجهت المراضع من كل جهة ومكان — تبحث عن المواليد لارضاعهم ، فنزلت طائفة منهن بمكة ، فكان — صلى الله عليه وسلم — من نصيب حليمة السعدية، فاسعدها الله به ، واقر عينها برؤيته ، ورات من بركاته ما جعلها تغبط به ، وتحسد عليه ...

وينهي هذا الجزء بحديث شيخ بني عامر ، جاء يتوكأ على عصاه — وهو قدوة قومه وسيدهم ، فتمثل بين يدي النبي — صلى الله عليه وسلم — ونسبه الى جده فقال : يا بن عبد المطلب ، اني نبئت انك تزعم انك رسول الله الى الناس بما ارسل به موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء ، وانك تفوه بعظيم .. قال الشيخ : فانبئني عن أشياء أسائلك عنها ، فقال :

---

(18) نفس المصدر ص 86 .

سل عنك ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول قبل ذلك ـ سل عما شئت وعما بدا لك ، فقال للعامري يومئذ : (سل عنك) لانها لغة بني عامر ، فكلمه بما علم ... الى ان قال : أخبرني الام تدعو ؟ قال : ادعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وان تخلع الانداد ، وتكفر باللات والعزى ، وتعرف ما جاء عن الله من كتاب ورسول ، وتصلي الصلوات الخمس محقا بحقهن ...

قال : وانشد العامري :

قل للبليغ ـ وما عساك تقول ـ
فيمن اتى فى مدحه التنزيل

ـ اعني رسول الله ـ ذاك المصطفى
من جاءه من ربه جبريل

خير البرية كلها وبذاك قد ..
شهدت له التوراة والانجيل

يا خير من وطى الحصا من مرسل
انت المنى لقلوبنا والسول

يا خير مبعوث لخير امة
فشعارها التكبير والتهليل

اكرم به وبصحبه من معشر
طابت فروع منهم واصول (19)

وهكذا ينتهي المجلد الاول من كتاب « شفاء الصدور » وقد رأينا كيف انه تحدث عن معجزة القرآن ، واعلام نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند مولده ، وفى فصاله ورضاعه ... ثم يختفي باقي المجلدات ـ من الثاني الى الرابع عشر ـ التي تحدث فيها عن بقية اعلام نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومنها قصة الاسراء والمعراج ، وقد اغرب فيها كل الاغراب ، وأورد حديث الحجب السبعين الفا ، الذي لمح اليه صاحب المواهب اللدنية (20) ، ووجه اليه محمد بن يوسف الشامي نقده اللاذع (21) ؛ كما تحدث فيها عن خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي القسم الثالث من الكتاب ، وقد نقل طائفة منها صاحب كتاب « المواهب اللدنية » (22) .

ومن حسن الحظ ان المؤلف اختصرها فى مجلد لطيف ، ضمنه عشرة ابواب ، وتوجد نسخة منه فى مكتبة الاوقاف ببغداد ، تحت رقم (2842) .

ثم تشاء الاقدار ان نلتقي بالمجلد الاخير من كتاب « شفاء الصدور » ـ وهو « الخامس عشر » ـ فى الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم (5733) ، وقد اشرنا ـ سابقا الى ان الناسخ اخطأ فى نسبته الى ابى مهدي عيسى بن سبع ، كما اخطأ ـ حيث جعله النصف الثاني من الكتاب ، ومر بنا وصف المخطوطة واعطاء صورة عن محتوياتها ...

ونشير هنا الى ان الابواب الرئيسية التي رتب عليها المجلد ، هي كما يلي :

1 ـ باب فضل الامة .

2 ـ كتاب الصحابة .

3 ـ باب فى عقوبة من سب النبي ـ ص ـ او انتقصه .

وقد تحدث فى الباب الاول عن فضل امة سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ، وأورد فى ذلك احاديث وآثارا ، من ذلك ماروي ان آدم ـ عليه السلام ـ قال : ان الله اعطى امة محمد اربع كرامات ما اعطانيها ، احداها ان قبول توبتي كان بمكة ، وامة محمد يتوبون فى كل مكان فتقبل توبتهم ...

اما الباب الثاني ـ وهو كتاب الصحابة ـ فقد ادرج فيها عدة أبواب :

---

(19) انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (1383 ك) ص 334 .
(20) انظر ج 6 ص 93 .
(21) انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج 6 ص 93 .
(22) انظر ج 144/1 ، و ج 26/5 ، و ص 244 .

ــ باب فضل العرب : أورد فيــه الاثــر المشهور عن ابن عباس : أحب العرب لثلاث .. ثم ماروراه سلمان الفارسي فى هذا المعنى .

ــ باب فضل الصحابة ، قال المؤلف : من مذهب ائمة المسلمين المقتدى بهم من اهل السنة ، ان خير القرون ، القرن الذين راوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم .

ــ باب فضل المهاجرين ومناقبهم .

ثم يورد مناقب الصديــق ، ثــم يتحــدث عن مناقب عمر ؛ قال ابن سبع : مما ذهب اليه ائمة المسلمين واهل السنة : ان افضل الناس ــ بعــد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبعد ابي بكر الصديق ، الفاروق ، ثم ذكر جملة من مناقبــه ؛ واعقب ذلك بمناقبهما جميعا بعد ان ذكرها افرادا ؛ ثم تحدث عن مناقب عثمان . قال المؤلف : مــن مذهب السنة ، ان افضل الناس ــ بعد رسول الله ــ ابو بكر وعمر ، وبعد عمر عثمان ؛ ثم أورد جملة من مناقبــــه .

ثم عقد بابا لمناقب الخلفاء الثلاثة : ابي بكــر وعمر وعثمان ، ثم ذكر من مناقب عثمان وعلي ؛ ثـم افرد بابا لمناقب الرضى ابى الحسن علي بن أبــي طالب ، وربما كان أوسع باب فى مناقب الصحابة .

ثم يعقد المؤلف ترجمة يجمع فيهــا مناقــب الخلفاء الراشدين الاربعة : ابي بكر وعمر وعثمــان وعلــــي .

ثم يذكر مناقب العشرة المشهود لهم بالجنة ، ثم مناقب السبطين : الحسن والحسين ، ثم مناقب امهما فاطمة بنت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم مناقب ازواجه امهات المومنين ، ثم مناقب جماعة من الصحابة ــ وقد اوردت طائفة منهم فى صدر هذا البحث ، ثم مناقب الانصار ...

3 ــ باب فى عقوبة من سب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ او انتقصه ..

وقد عاد المؤلف فى هذا الباب الى كثير مــن كتب الفقه .. ويجب ان نشير ــ هنا ــ الى ان ابن سبع لم يتقيد فى هذا المجلد بالمنهج الــذي سار عليه فى المجلد الاول من تقسيمه الى اجزاء ، ثم الى ابواب وفصول ... كما انه لم يسر فى نفس الخط من حيث العمق والاستيعاب ، والبحث المستفيض الى حد الاغراب ــ كما اومانا الى ذلك سابقا ؛ ولعل حديثه عن فضل الامة ، ومناقب الصحابة ، ــ لم يكن من صميم الموضوع الذي الف من اجله الكتاب ــ وهو اعلام نبوته ــ ص ــ وخصائصه ، ولذا اوجز القول فيه ولم يوعــب .

ب ــ أسلوبــــــه :

واسلوب ابن سبع فى كتابه « شفاء الصدور » اسلوب علمي رصين ، وربما تأنق فى بعض الاحيان وقد يكون الموضوع يقتضي ذلــك فيخــرج عن الاسلوب المرسل ، الى النمط المسجوع ؛ وهــو سجع غير متكلف ، ينم عن عفو الخاطر ، وصفــاء الطبــــع .

ومن امثلة ذلك قوله ــ وهــو يتحدث عــن معجزة القرءان ــ :

(... فمن ذلك القرءان المبين ، الذي خص به نبينا محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجعلــه معجزته ، ونزل به الروح الامين ، (وحضــه) على تبليغه ، وتعبد به خلقه ؛ وأقام به الحجة ، وقطع به الاعذار ؛ وهو من اجل آيات الارضين والسماوات ؛ الدالة على خالقها ، وابدعها وأبهرهــا للعقــول ، واعجبها واظهرها ؛ آية باقية لا تتغير ، لا يقدر على معارضتها من تقدم ولا من تأخر؛ وهو قوله ــ تعالى ــ : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ــ يريد لا يزاد فيه ولا ينقص بمعارضته ، وقــد قطع الله ــ سبحانه ــ على الثقلين بعجزهم عنه ، قبــل ان يمتحنوا بظهور عجزهم عنه ، وامر نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان يعلمهم انهم لا يأتون بسورة مثله ، فضلا عن ان يأتوا بمثله ــ ولو كان بعضهم لبعــض ظهيرا ؛ ولو لم يــأت ــ صلى الله عليه وسلــم ــ بمعجزة غير القرءان ، لكان من أعظــم المعجزات ، الخارقات للعادات؛اذ هو كلام الحكيم الحميد) (23).

(23) انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (1383 ك) ص 85 .

2 ـ وقال في حديثه عن ابتداء خلقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(... ثم ان الله ـ تعالى ـ خلق الخلق بعلمه ، ثم اختار منهم صفوته لغيبه ، واختار من كل خيار صفوة امناء على وحيه ؛ استودعهم خير مستودع ، واقرهم في خير مستقر ... نسختهم مكارم الاصلاب ، الى مطهرات الارحام ؛ كلما مضى منهم سلف ، ابتعث لامره خلف ؛ حتى انتهت نبوة الله الى نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ، فاخرجه من افضل المعادن محتدا ، واكرم المغارس منبتا ، وابنعها ذروة ، واطيبها ارومة ، واعزها جرثومة ، واوصلها مكرومة ؛ من الشجرة التي صاغ منها امناءه ، وانتخب منها انبياءه ؛ شجرة مشرقة الضياء لامعة البهاء ، « أصلها ثابت ، وفرعها في السماء » ؛ شجرة نضرة العود ، طويلة العمود ؛ معتدلة القامة ، محمودة السلامة ؛ باسقة الفروع ، عذبة الينبوع ؛ مخضرة الاغصان ، مشرفة القنوان ؛ يانعة الثمار ، عالية النجار ؛ كريمة المجتنى ، شريفة المقتنى ؛ من اكرم منبت نبتت ، وفيه بسقت واثمرت ، وعزت وارتقت ؛ سبق بالخليل عودها ، وانشق باسماعيل عمودها ، وتم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صعودها ؛ الحق زهرتها ، والصدق ثمرتها ؛ والتقى افنانها ، والهدى قنوانها ، معلقة بالعرش اغصانها ، متهدلة بالايمان ثمارها ...) (24) .

3 ـ وقال ـ وهو يتحدث عن مناقب علي بن طالب ـ :

(... رابع الخلفاء ، وسيد الحنفاء ، امام الدين وعاصمه ، وقاضي الشرع وحاكمه ؛ والمتصدق ... بخاتمه ، ومنصف كل مظلوم من ظالمه ؛ فارس بدر وحنين ، ابي السبطين ، الحسن والحسين ؛ صاحب القبلتين ، والذي انزل في فضله من القرءان آيتين ، ولم يشرك بالله طرفة عين ؛ حائز الشرفين ، والفائز بخير الدارين ؛ موضح المشكلات ، ومعفر العزى واللات ؛ ممزق شمل الكتائب ، ومروي صم البيض المصائب ؛ الهمام البطل المحارب ، الشهاب الثاقب ؛ اكسير المناقب ، البريء من النقائص والمعايب ؛ والمؤثر على نفسه في كل المكاسب ، امير المؤمنين علي بن ابي طالب ...) (25) .

ج ـ اهميتــــه :

لعل اهمية كتاب « شفاء الصدور » تتجلى في كونه اوسع كتاب في موضوع السيرة النبوية ، وقد قال المؤلف في مقدمة الكتاب : بانه قضي في جمعه قرابة ثلاثين عاما ، واخرجه في خمسة عشر مجلدا ... ـ كما اسلفنا ، وهو ليس كتاب سيرة فقط ، بل هو كذلك كتاب حديث ، وعلوم القرءان ؛ ولم ينس ان يضيف الى الكتاب ادبيات لها اهميتها...

وكان لابن سبع اثره فيمن بعده ، وقد افاد من كتابه « شفاء الصدور » كثيرون ، نذكر منهم :

أ ـ في السيــــرة :

1 ـ القاضي عياض في كتابه « الشفاء » ، وسنتحدث عنه بعد .

2 ـ ابو العباس العزفي في كتابه « الدر المنظم في المولد المعظم » (26) .

3 ـ شهاب الدين القسطلاني في مؤلفه الكبير : « المواهب اللدنية ، في الشمائل المحمدية » ، وقد استقى كثيرا من كتاب « شفاء الصدور » كما يقول شارحه الزرقاني (27) .

4 ـ ابو عبد الله محمد بن يوسف الشامي في سيرته المعروفة بالسيرة الشامية ، وقد ناقش رواية ابن سبع في حديث الحجب

---

(24) نفس المصدر ص 86 .
(25) انظر مخطوط الخزانة الملكية رقم (5733) .
(26) انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج 1 ص 44 .
(27) انظر ج 93/6 ، وارجع الى كتاب المواهب ـ ان شئت ـ ج 1 /42 ، وص 148 ، و ج 5 ص 62، 244 ، و ج 93/6 ، 95 .

السبعين الفا ، الوارد فى الاسراء والمعراج ، وقال : انها كذب ولا شك (28) .

5 ـ ابو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني فى شرحه على المواهب اللدنية (29) .

6 ـ زيني دحلان فى مختصره فى السيرة النبوية (30) .

ب ـ فى الحديث :

1 ـ ابو عبد الله محمد بن ابي جمرة فى كتابه « بهجة النفوس » (31) .

2 ـ ابو الحسن علي بن غالب فى شرحه (32) على حديث الحجب السبعين الفا الآنف الذكر .

3 ـ ابو العباس احمد بن محمد بن النحاس فى كتابه فى فضائل الجهاد (33) ، وقد عاد الى كتاب شفاء الصدور فى كثير من احاديث فضائل الاعمال كما اشرنا الى ذلك سابقا .

4 ـ الذهبي ـ حيث انتقد على عياض بعض الاحاديث ، وقال : انه تبع فيها ابن سبع فى « شفاء الصدور » (34) وذلك يدل على اطلاع واسع بهذا الكتاب ، وما يحويه من احاديث وآثار .

5 ـ النعماني ـ تلميذ ابن حجر ، فقد نقل ـ كما يقول الزرقاني فى شرحه على المواهب اللدنية ـ رواية ابن سبع فى حديث الحجب السبعين الفا ، الوارد فى ليلة الاسراء والمعراج ، وقال : انه لا يستبعد وقوع هذا كله فى بعض ليلة (35) .

ج ـ فى علوم القرآن :

ـ بدر الدين الزركشي فى كتابه « البرهان فى علوم القرءان » ، فقد ذكر عن ابن سبع فى كتابه « شفاء الصدور » ـ انه علق على قول ابي الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرءان وجوها . وقول ابن مسعود : من اراد علم الاولين والآخرين ، فليثور القرءان ـ (يعني ينقر عنه ، ويفكر فى معانيه) ـ قال ابن سبع : هذا لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر ، وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون الف فهم ، وما بقي من فهمه اكثر .

وقال آخرون : القرءان يحتوي على سبعة وسبعين الف علم ، اذ لكل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك اربعا ؛ اذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، وحد ومطلع) (36) .

هكذا أورد هذا النص فى معرض الاستدلال ، الامام أبو عبد الله الزركشي (ت 794 هـ) ـ وهو احد الاعلام الاثبات فى التفسير والحديث ، وتلك تزكية أخرى لابن سبع وكتابه « شفاء الصدور » فى علوم القرءان ، نضيفها الى الاهمية الكبرى التي يحظى بها عند علماء السيرة كما اسلفنا .

اما عن المآخذ التي اخذت عليه ، وأثره فى « شفاء » عياض ، فذلك ما سنتحدث عنه فى عدد قادم بحول الله .

تطوان : سعيد أعراب

---

(28) انظر الزرقاني على المواهب اللدنية ج 95/6.
(29) انظر ج 44/1 ، 93/6 ، 95 .
(30) انظر 7/1 ـ هامش السيرة الحلبية .
(31) انظر المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ج 42/1 .
(32) انظر المرجع السابق ج 93/6 ، 95 .
(33) انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 21 ق .
(34) انظر الرسالة المستطرفة للكتاني ص 106 .
(35) انظر الزرقاني على المواهب اللدنية ج 6 ص 95 .
(36) انظر البرهان ج 1 ص 454 .

نظرات فى كتاب

مناهج البحث فى اللغة

تأليف الدكتور تمام حسان * عرض وتقديم الأستاذ محمد ابن تاويت

هذا الكتاب مستطرف محير ، فهو مستطرف حيث فيه « من كل فن طرف » وهو محير لكونه يجعل قارئه يعود فى الفينة بعد الاخرى الى عنوان الكتاب ، ليتأكد ان محتواه الذي اراده صاحبه هو « مناهج البحث فى اللغة » ...

فالاستطراف اذن ، بذلك المعنى الذي قيل ، كان من بواعثه هذه الحيرة التي وقعنا فيها وتخبطنا فى مجاهلها ، اذ مرة نتخيل انفسنا اننا نقرأ بحثا من علم التشريح البشري ، وآونة نشعر أننا نخوض فى وظائف الاعضاء وانشطتها المختلفة ، واخرى تواجه فيها بحوثا فى الفيزياء ، الى جانب غيرها ، كالانغام وما تؤديه الاوتار ، وان كنا لا ننكر استفادة الدروس اللغوية من هذه كلها ، الا ان طاقة فيها ، جعلتنا نتيه فى مهامه المعلومات ، ونصل عن انفسنا ، فتنبهم علينا « مناهج البحث » ونحن نريدها واضحة مستقيمة .

لقد كتب هذا المؤلف ونشر فى فجر الثورة التي اطاحت بفاروق مصر ، ولهذا نجد المؤلف قلقا جدا ، حيث يجعل هذا العهد « عهد النفخ فى الصور» ونفض الغبار عن الموتى ، فجيل هذا العهد كما قال « قد هدم نظاما كان ثابتا كالطود ، واقام مكانه نظاما، اثبت واقوى واصلح ، وجيلنا هذا هو الذي هاجم الجدب فى الصحراء والفساد فى المجتمع ، والرشوة فى الحكم ، والكسل فى العمل ، والبلادة فى الضمائر» الى غير هذه الاوصاف المشرقة ، التي نأمل ان تكون فى عهدنا هذا ، حقيقة ثابتة ، ونضرع الى الله ان لا يكون هذا الدكتور قد خاب ظنه ، وانتكس اعتقاده ، فحل التشاؤم محل التفاؤل والعياذ بالله من كل نكسة ووكسة وركسة ...

والنسخة التي بأيدينا ، وعليها تعليقنا ، طبعت حديثا عندنا بالبيضاء ، ومع هذا فان المؤلف احتفظ فيها بكل ما سلف منه ، حتى ما كان منها فى احالة القارىء على قائمة بتصحيح الاخطاء ، فهو مرجو ان يطلع عليها ، وان يثبت كل تصويب منها فى موضعه قبل البدء فى القراءة ...

هكذا يحيل المؤلف الكريم قارئه ويرجوه ، ولكن لا وجود لهذه القائمة فى هذه النسخة التي بأيدينا وما أكثر اخطاءها واغلاطها ...

والدكتور تمام ان كان من خريجي مدرسة دار العلوم ، ولم تكن كلية آنذاك ، فهو ولا شك على قدم من دراسة عربية خطا بها اشواطا فى الازهر الشريف، قبل التحاقه بمدرسة دار العلوم ، ولكنه لم يرد ان يظهر بهذا الكتاب فى مقعد صدق عند عليم مقتدر ، فافلتت من قبضته نواصي العربية .

وكأن المدة التي قضاها بانكلترا ايـــام الحرب العالمية ، جعلته ينسى ذكرياته العربية الصميمة ، فتحل محلها اطياف السكسونية الدخيلة ، فكانـــت لشخوصها طوابع طاغية وجوارف طامة ، غمرت معالم العربية العريقة ، مما جعلني افهم احيانا ان المؤلف لم يرد باللغة التي عنون بها ، ومنهج لمباحثهـــا ، او نهج لها ، للغة بالذات ، ووضعها في قوالبها الخاصة بها ، وما تاكدت تماما من مضمونـــه اراد العربيـــة المسلية ، الا حينما انتهى بي المطاف عند الخاتمة ، التي قال فيها ، ان هذا المنهج « مطبق على اللغـــة العربية لاول مرة » فمحى لهذا التطبيـــق معالـــم التلفيـــق »»»

ولكيلا نكون ظاهرين بمظهر الاغراض ، ولا يكون كلامنا عائما في يم المفاهيم المظلمة ، فاننا نريد ان نرسو بكلامنا عند هذه الظواهر التـــي واجهتنـــا ، فاعشت نواظرنا ، ونجملها فيما يلي :

المؤلف يستعمل التعبير الانجليزي في صنيعه المجسم في نحـــو « سوف لا نجـــد » (ص 1) « سوف لا يكلفها » (ص 6) « فسوف لا ندنـــو » (ص 41) « فسوف لا نجده » (ص 50) « سوف لا يتعلم » (54) « سوف لا يدخلون » (ص 56) « فسوف لا يقرر » (ص 21) « سوف لا يأتـــي » (ص 424) « وسوف لا ابني » (ص 232) « سوف لا تتفـــق » (ص 246) « فسوف لا يمكننـــا » (ص 258) .

فهذا التعبير الذي حرصنا على ذكر امثلتـــه للتنديد بها ، لا يوجد الا في الانجليزية ، التي ادخلت عليه الضيم والمضنى والا في الالمانية ، التي لا نظن ان المؤلف تحكك بها ، والدليل على هذا العدم ، انه عند ما تعرض لاداة التعريف بالالمانيـــة ، اكتفـــى بجعلها كالفرنسية ، مع ان اداة التعريف في الالمانية تنتهي الى اربع وعشرين حالة متمايـــزة هكـــذا ، $3 \times 2 = 6 \times 4 = 24$ لان مدخول هذه الاداة ، اما ان يكون مذكرا او مؤنثا او خنثى (مع التجاوز في هذه بحسب الاستعمال اللغوي عند الالمانية كمـــا يعلم) وكل من هذه اما ان يكون مفردا او جمعـــا ، وكلاهما يراعي موقعه حيث الاعراب ، فهو اما فاعل او مفعول ، او مفعول ثان ، او مضاف اليه (ويعبرون عن هذه الحالات ، بقولهم « فيرقال » « فين قال » « قيس قال » او بالاصطلاح المعروف « نوميناطيف أكوزيطيف » « داطيف » « جينيطيف ») ، والملاحظ في الجمع انهم لا يراعون الاعراب ، اما الجنس ، فلا فرق لفظيا فيه ، ولهذا فالتذكير والتانيث والخنثوية تتحد جميعا في شكل هذه الاداة ، وقلنا بالتجاوز في حالة التذكير والتانيث والخنثوية ، لان الالمانية تختلف مع غيرها في هذا الاعتبار ، فلا تتفق مع باقي اللغات الاروبية . الا في الكلمات المنتهية بالمقطـــع Tion فتعتبرها مؤنثة ، كما هي في الاسبانيـــة والايطالية والفرنسية ونحوها من اللاتينيـــة ، وعلى حين تتفق مع الانجليزية في اعتبار الصبي والصبية خنثى ، فانها تزيد على ذلك فتعتبر خنثـــى فتـــاة وآنسة بخلاف غلام فهو مذكر عندها زيادة على ذلك ، نجد لها اعتبارا خاصا ، في مفردات اخرى ، تتحد لفظا مع جمعها ، فلا يوجد هناك فرق بين المفـــرد والجمع ، كما في التمر والحمار (وفي العربية شيء من هذا القبيل في مفردات منها ذكر بعضها ابن قتيبة وغيره من اصحاب المعاجم اللغوية) .

ومن باب التوسع في المعرفة ، لا التبجح فيها ، ان نذكر ان الاحوال الاربع والعشرين السالفـــة ، تراعي كذلك في اسماء الاستفهام والمواصلات (ولهما نسب في العربية كذلـــك) واسمـــاء الاشـــارات والكليات ، وضمائر الملكيات ، لانها صفات بالاعتبار والصفات تتبع موصوفهـــا في الجـــنس والعـــدد والاعراب ، وما اداة التعريف الا صفة كالموصـــول والاشارة ولهذا قالت الخلاصة :

ومن وما وال تساوي ما ذكر

ووجدنا في القرءان الكريم « اليوم اكملت لكم دينكم » ، كما وجدنا فيه « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » فاسم الاشارة يساوي أل سلفا ، وكـــون الاشارة صفة وهو ما شفع لها ان تقع نعتا ، فتحل محل المشتق ، قالت الخلاصة :

وانعت بمشتق كصعب وذرب

وشبهه وذي والمنتسب

اما اسم الموصول فالامر فيه واضح ، ولهـــذا روعي فيه الجنس والعدد ، الممثلان بدقة في الذي والتي ، ودون غيرهما « ومن وما وال تساوي ما ذكر

وهكذا ذو وعند طيء شهر » كما وجدنا ذلك تماما في الاشارات في هذا وهذه ، ولا تثني هذه من اللبس ، بل تنوب عنها هاته ، بخلاف الجمع ، وباولي اشر لجمع مطلقا » . ونزيد في جولتنا هذه التي نجد فيها بهجة وتسلية ، ان آداة التفكير في الالمانية تعطي كذلك حق الصفات وهي في الاسبانية ورفيقاتها تعطي حق التعريف في الاعتبار الجنسي ، بخلاف الانجليزية التي لا تعتبر الجنس كما ان الالمانية ، تعطي حق الصفة ، لاداة النفي للجنس ، لان هذه تتركب مع مدخولها الموصوف بها وفي العربية قالت الخلاصة :

وركب المفرد فاتحا كـلا

حول ولا قـوة ...

فلهذا التركيب اعتباره عند الالمانية في Kein

ومعذرة للقارىء ، فقد انجر بنا حبل الكلام طويلا ، وكنا أردناه قصيرا ، فلم نمثل بما أثبتناه في نسخة كانت ستنشر بمجلة كلية آدابنا ، فطاف عليها طائف من اتباع الدكتور ، وهم كانوا تلاميذنا كذلك ، فلا يسهل علينا ان نندد بعملهم وقولهم . كما لا نريد ان نستثير الدكتور ، صديقنا فيلبس درع الصميد ، الذي يعتز به بمتانته ، تنويهه بعلمه الذي أهله ليكون — كما قال — خليفة لسيبويه ، أو ثانيا له ، وحده لا شريك له في القديم والحديث .

ومع هذا فاننا وقد تعرضنا للاستعمال المسخ « سوف لا » نضع امامه نصا لمصري ، ربما كان صعيديا مثله ، وهو ابن هشام ، الذي جعله ابن خلدون في مقدمته ، سيبويه زمانه ، وروى عنه في مصر ، انه جعله انحى من سيبويه ... هذا النص نأتي به في صمت ، من كتاب المغني ، حيث يقول في « سوف » انها : مرادفه للسين او اوسع منها على الخلاف ... ويقال فيها « سف » ... و « سو » ... و « سي » ... وتنفرد عن السين بدخول اللام عليها... وبانها قد تفصل بالفعل الملغى ، كقوله :

وما ادري وسوف اخال ادري

اقوم آل حصن ام نساء

وهكذا لم يجز ابن هشام الفصل بينها وبين مدخولها الا بالفعل الملغى ، كما مثل داخلة على الفعل صورة كذلك ... وكون « اخال » فاصلا ، اتى من حيث انه لا يمكن ان يعقل عاقل ، ان تكون داخلة على اخال ، فافعال القلوب ، لا يتأتى الاخبار فيها بالمستقبل ، فلا يقول عاقل « اني ساظن غدا » ولهذا فلا يبقى في البيت الا ان يكون مدخولها « أدري » دون « اخال » ... ولا ينخدع احد ببعض افعال القلوب ، كنحو علم وجعل ، فهي في استعمالها غير هذه القلبية اى التي يحس بها الانسان في داخله لجنبه فيخبر عنه في الحال او في الماضي لا في الاستقبال ، كما مثلنا لذلك .

هذا ما يتصل باداة الاستقبال في الايجاب ، فلا يفصلها عن فعلها فاصل ، الا ما ذكر ، اما في حالة النفي — وهو الذي يعنينا هنا صراحة — فان ابن هشام ايضا يقول في مغنيه كذلك ، حين تناوله الحرف « لن » : « لن حرف نصب ونفي واستقبال» وهي قولة نعرفها نحن في دراستنا الاولية ، من شراح الاجرومية ... وقد اجتمعا في الآية : « قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني » .

اذن فان اداة النفي هذه تحل محل التعبير الانجليزي والالماني ... وحتى الآن لما نعثر على هذا الاستعمال في غير تينك اللغتين ، اللتين احداهما اخواننا المصريين فسحرونا بثقتنا التي وضعناها فيهم ، فانتهكنا حرمة لغتنا العربية ، عن حسن اعتقاد منا ، واخذها هذا الجيل قضية مسلمة ولا وجود لسوف لا في اجيالنا السابقة قط فحبنا لاخواننا الشرقيين يجعلنا نفضلهم على انفسنا ، ومن الغريب ان نجد المؤلف نفسه يقول في الصفحة 199 ان « سوف » تقوم دليلا على فعلية ما يليها فكأنه اعتبر النفي غير فاصل بينهما ، ومن الضيم الانجليزي الذي اصاب المؤلف في لغته ، استعمال كلمة اللعب في معنى القيام بعمل ، أو تمثيل دور منه وان كان هاما وهذا الضيم اتى لغتنا من كون كلمة في الانجليزية من قبيل المشترك ، تدل على اللعب في جملة ، وعلى القيام بدور في جملة اخرى ، ورحم الله المناطقة الذين احتاطوا لخطر الاشتراك ونحوه في التعاريف فقال سلمهم :

وشرط كل ان يرى مطـــردا
منعكسا وظاهـرا لا أبعـدا

ولا مساويا ولا تجــــوزا
بلا قرينه بهـا تحــرزا

ولا بما يدري بمحـــدود ولا
« مشترك » من القرينة خلا

وهكذا وقع فى هذا الفخ اللغوي مؤلفنـــا فى عدة صفحات من كتابه ، منها الصفحة 35 « التـــي يقوم بها اللاعب على الآلة » والصفحة 42 حيـــث « يهدف المرء الى أن يلعب بها فيحيي الارواح » وفى الصفحة 51 « يلعب السـماع دورا هاما فى تغيرات اللغة » وفى الصفحة 263 « التي يلعبها المتكلـــم » وأخيرا فى الصفحة « فعلى الرجـــل ان يلعـــب أدوارا مختلفـــة » .

ويستعمل هذا الاستعمال حتى فى الترجمـــة الفرنسية التي يحافظ عليها بالاقـــواس المضاعفـــة ــ وان كانت كلفتها تحله منها ــ فيقـــول : ان مدام دي ستايل قالت ، انها ، اى اللغة الفرنسية ، ليست فقط وسيلة لنقل الافكار والعواطف ، ولكنهـــا أداة يهدف المرء الى أن يلعب بها ،،،

فلا شك ان ترجمة النص لم تكن الا بواسطـــة الترجمة الانجليزية ، التي تلقى مبادئها فى مدرسة دار العلوم ولم يتلقها فى الازهر الشـريف ، حيث لم تكن تدرس ، ولا تلقى غيرها بدار العلوم المقتصرة عليها فى تلك المبادىء ، والدليل على ما قلنا انه لم يسق النص الفردي فى الهـــامش ، كما عودنـــا ان يسوق النص الانجليزي عند كل شاذة وفاذة ، بـــل انه اكتفى فى التعليق على هذا النص المترجم ، بأن عرف بمدام دي ستايل ، بأنها « كاتبة فرنسية » من واضعي أسـس المذهب الرومانتكي فى الادب » .

وهذا التعريف لا عهد لنا بمثله فى غير هـــذه المدام ، صادرا عن الدكتـــور فى كتابه ، فكـــأن الترجمة الانجليزية حملته اليه ،،، ومن الجاذبيـــة الانجليزية فى لغة الكاتب ، استعماله فى كتابه كلمة « الآخرين » بمعنى الناس كما فى الصفحة 253 حيث نجد فى هذا النوع من اللغة الذي يشوش الهواء ، وآذان الآخرين . وفى الصفحة 263 وهو أن نتعلـــم كيف نقول ما يتوقع الآخرون منا ،،، هكذا يقول اذن فمن هم الاولون ، حتى كان الآخرون ، فى مقابلتهم ؟ لا اول ولا آخر هناك ، انما حل « الآخرون » محل الناس والامر لله .

وقد يقع عليه بسبب الانجليزيـــة وضبابهـــا المخيم على أهلها حينما اعتمد عليهـــا فتحيـــر فى الترجمة بالفصحى ولجأ الى العامية ، كما حدث له فى ترجمة كلمة فقال فيها ، وسمى فى العامية « الزور » مع ان الفصحى الكريمة لا تبخل عليـــه بالبلعم والبلعوم ، ولهذا الاستهـــواء الانجليـــزي مضاعفات شتى ، جرت صاحبها الى طقوس الدين المسيحي ، دين السادة الانجليـــز ، فلنصـــخ الى الدكتور الازهري ، وهو يمثل للشي يسبق اوانـــه فيقول : « ان عمله ليظهر كانه تعميد قبل الولادة » .

فما هذا التعميد ، أيها العميد ؟ اللهـــم الا ان يكون صادرا عن مسيحـــي وهـــو يتحـــدث الى المسيحيين فمثلك فى هذا مثل مسيحي يخاطبهم فى هذ المقام لأولائك المسيحيين ، ان عمله ليظهر كانه اداء لصلاة الوتر قبل صلاة الشفع ، أو صلاة العشاء قبل صلاة المغرب ، أو التسليم قبل التكبيـــر فى الصلاة ، أو طواف الوداع قبل طواف القـــدوم فى الحـــج ،،،

فهل يقبل المسيحيون ، ان فهموا ، وهـــل يفهمون ان قبلوا ، هذا المتعارف الاسلامي ، وهـــم غير مسلمين كما يريد المؤلف أن يكرهنا على هـــذا القبول أو الفهم لطقوس المسيحيين ،،،

الحق ان هذا الرضوخ كثير جدا ، وأكثر منه جرائه على اعتبار اللغة العربية لغة ميتة ، كما يقولون ، ففي الصفحة 34 يقول ، وكلنا يدرك امكان دراسة اللغات الميتة ، بالرغم انها لم تعد تنطق ، ولا تحيا على السنة المتكلمين ، كالسنسكريتية والاغريقيـــة واللاتينية ، بل دعنا نجرؤ على التمثيل باللغة العربية الفصحى أيضا ،،،

وهكذا نجد هذا العالم بالفصحى والمؤلف بها والمخاطب أحيانا ــ فى يسر ولا عناء ولا غموض ــ ينساق الى الجاهلين بطبيعتها ونشاطها فى المجتمعات العربية ، بصحفها ومجلاتها ، واذاعاتها وتلفزاتها ، وبلاغاتها ، واعلاناتها ، مما لا تأثير فى تلك اللغـــات

يضاهيها ، ويعمل يوميا فى عقول الملايين ومفاهيم المئات من ملايين المنتمين اليها ، عربا وغيرهم فى اقطار المعمور من جميع القارات ، ان الدكتور - ناسيا عمله اليومي فى التدريس بالفصحى - يجعل هذه وهي تقوم بمهمتها خير قيام بمثابة اللاتينية والسنسكريتية والاغريقية ، التي كان يحاربها سقراط قبل الفين ونصف الالف من السنين ، وانتهت صولتها كما انتهت اللاتينية التي اختصت بها البابوية والمرشحون لها ، وقلة من الرهبان ولا يتعدون فى العالم الانامل ، يقصروا بها غالبا على صلواتهم وبعض خطبهم المحفوظة ...

هذه العقلية هي عقلية الغرباء على العربية ، أو الذين ياكل الحسد قلوبهم ، وهم يشاهدون احتفاظها بشبابها وقيامها بالرسالة التي قام بها الاسلام ، وهو يفتح الاقطار الشاسعة ويخاطب الامم الغابرة ، ان اولئك الغرباء ماتت لغتهم المقدسة ، وبقيت لغتنا المقدسة قوية لا تزداد مع الايام الا شرخ شباب ، فالحسد والحسرة يمزقان قلوبهم وينخران كبرياءهم ، وعربيتنا تخاطبهم وتغيظهم بقولها :

شجو حساده وغيظ عداه
ان يرى مبصر ويسمع واع

حقيقة ان المستعمل للفصحى قد يقع فى اخطاء حيالها ، ولكن هذا ليس معناه أن حدوث ذلك لكون اللغة ميتة ، وما زال الفرنسي يضربون المثل باخطاء « قلطير » فى الخط والاملاء ، ومع هذا فلن يستطيع احد أن يقول ان ذلك لكون لغته ميتة .

ولنمثل بما وقع للمؤلف من هضم لحق لغته الفصحى ، زيادة على ما سبق ذكره بهذه الامثلة ، فهو يستعمل صيغة فعول وصفا لمؤنث ويدخل عليها التاء ، مع انه قد قرأ فى الالفية ، التي استشهد بها وبشراحها ومحشيها احيانا :

ولا تلي فارقة فعولا
اصلا ولا المفعال والمفعيلا

وعلى ما قلنا من تلك ، قد واجهتنا عدة مرات الاوصاف بفعولة ، مثل طموحة ، ولا ضرورة ان تسجل صفحاتها من الكتاب وينسب الى الجمع ، فيجعل من ذلك « الاسنانية » و « الاصواتية » وكأنه ما قرأ فى تلك الالفية :

والواحد اذكر ناسبا للجمع
ان لم يشابه واحدا بالوضع

وفى هذا تجد أمثلة عديدة منها على الصفحات الآتية : ففي الصفحة هـ تكررت الاصواتيه خمس مرات ، وفى الصفحة 7 مرتين ، وكذلك بالصفحات 8 و 34 و 57 (مرتين) و 58 (ثلاث مرات) و 71 و 76 و 89 . ولعل المؤلف يحاول ان يفرق بين « الاصواتية » وبين « صوتي » كما نجد الاشارة الى ذلك بالصفحة 113 ولكن هذه المحاولة ان كانت فى الاصواتية ، فانه لا تشفع فى مخالفة القياس باستعماله « اسنانية » أو اسناني كما فى الصفحات 86 (مرتين) و 88 و 29 و 94 و 95 وغير هذه وهي عديدة تتخلل صفحات كتابه .

من الاخطاء التي نعتمدها ، ادخال « لا » النافية على الفعل الماضي بدون مسوغ لذلك ولنقتصر من هذا على الصفحة 19 حيث نجد « ولا زال يبتلى بها » ، قال ابن هشام المذكور فى هذا الاستعمال المشروط لصحته امور :

فان كان ما بعدها ... فعلا ماضيا لفظا وتقديرا ، وجب تكرارها ... ومثال الفعل الماضي ، فلا صدق ولا صلى ، وفى الحديث فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى ، وقول الهذلي ، كيف اغرم من لا شرب ولا اكل ولا استهل ، وانما ترك التكرار فى « لا شلت يداك » و « لا فض الله فاك » وقوله (ولا زال منهلا بجرعائك القطر) . وقوله :

لا بارك الله فى الغواني هل
يصبحن الا لهن مطلب

لان المراد الدعاء ، فالفعل مستقل فى المعنى ، ومثله فى عدم وجوب التكرار عدم قصد الماضي ، الا انه ليس دعاء ، قولك ، (والله لا فعلت كذا) وقولة الشاعر :

حسب المحبين فى الدنيا عذابهم
تالله لا عذبتهم بعدها سقر

هكذا يحصر ابن هشام صور الجواز وازيد فاقول : قد وردت لا فى الماضي مرفقة او مسبوقة بنفي غيرها كقول الشاعر :

فما زادني الا سناء ورفعة
ولا زادكم فى القوم الا تخشعا

فما نفرت جني ولا فل مبردي
وما اصبحت طيري من الخوف وقعا

وهما من ابيات فى حيوان الجاحظ ، وفى ديوان حماسة لابي تمام .

ومن الاخطاء فى الكتاب ، استعمال « او » بدل « أم » والعكس ، او بدل الواو ، كما نجد فى الصفحات 33 سواء ، فى ماضيها او فى حاضرها ، فهذي صوابها الواو ، لا او ، وفى الصفحة 55 لست ادري ان كان السيوطي مراعيا بهذا التفريق او لا ، والصواب : (لست ادري اكان السيوطي مراعيا بهذا التفريق ام لا ،) كما في قوله تعالى : « وانا لا ندري اشر اريد بمن فى الارض ام اراد بهم ربهم رشدا » . وفى الصفحة 57 « سواء كانت جملة مفيدة او جزءا من جملة » وفى 60 « سواء كان مقفلا او مفتوحا » وفيها كذلك « جهرا كان او همسا » والصواب ام لا ، وغير هذه الامثلة كثير وارد بالكتاب ، مثل الصفحات 65 ، 66 ، 70 ، 80 ، 91 ، 218 . وفى الاخطاء يقول ابن هشام المذكور ، مسالة اذا عطفت بعد الهمزة باو ، فان كانت همزة التسوية ، ولم يجز قياسا وقد اولع الفقهاء وغيرهم بان يقولوا ، سواء كان كذلك او كان كذا ، وهو نظير قولهم ، يجب اقل الامرين ، من كذا أو كذا والصواب العطف فى الاول بأم ، وفى الثاني بالواو » .

هاته النصوص التي مززناها لابن هشام ، اتينا بها من كتابه المغني ، ومؤلفنا لم يرجع اليها ، كما يبدو بل رجع الى كتابه البسيط الذي ردد ذكره كثيرا ، وهو « شذور الذهب » وقد اثبته ضمن مراجعه العربية ، وحيا الله زمانا ، غادرنا فيه كتاب «شذور الذهب» يدرس لصبياننا فى الاولى او الثانية الابتدائي فى فاس العريقة ، فلما التحقنا بكلية الآداب من جامعة فؤاد الاول (القاهرة) وجدنا نفس الكتاب يدرس لطلبة السنة الاولى او الثانية ، بقسم اللغة العربية فيها ، ثم كان كتاب الكافي فى العروض يدرس بالسنة الثانية أو الثالثة ، وكان بالقرويين يدرس بالسنة الاولى : او الثانية من الثانوي ، وكنا نحفظه عن ظهر قلب ، فما كان الاستاذ الشايب بفيدنا .

وبعد هذه الملاحظات ، نلقي نظرة اخيرة على هذا الكتاب ، وهي نظرة الوداع له ، ففي الصفحة الاولى من المقدمة ، ورد ما يلي :

واحساس الخلف بجهة شركة ، بينه وبين السلف ، كفيل ، يخلف احساس بالوحدة الشعبية بينه وبينه .

وهكذا انتهى الكلام بهذه البينة المهولة ، ولا ندري ما الذي جعل المؤلف ينصرف عن « بينهما » الجميلة الى « بينه وبينه » والشرط أن تكون المخالفة فى المضاف اليه عند التكرار الواجب مع الضمائر ، كما فى قوله تعالى « هذا فراق بيني وبينك » على قراءة التنوين وجعل البين للظرفية ، وكما فى قوله « قال ذلك بيني وبينك » وقوله «بينك وبينه عداوة » وقوله « بيننا وبينكم » وقوله « فاجعل بيننا وبينك » وقوله « وبينكم وبينه » . وفى القرءان من هذه الامثلة كثير يربو على الاربعين مثالا .

وقد تكون المخالفة لمجرد التذكير والتأنيث ، نحو « تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا » .

فهناك على كل حال مخالفة فى هذه البينة ، بخلاف « بينه وبينه » فلا مخالفة بالمرة .

وفى نفس الصفحة نجده يقول : وتؤثر بلاغة اللغة ، وجودة الغناء بها فى نفوسنا ، حتى لتخرج عن المزاج المنقبض الى المزاج المرح المنبسط ...

والواقع ان انفعالنا لجودة الغناء ، يكون لمجرد الغناء نفسه اساسا ، فتسعة وتسعون ممن ينفعلون لغناء المرحومة أم كلثوم لا يفهمون ، أو لا يعنيهم أن يفهموا — وانا من هؤلاء — ما تقول ، من كلام بليغ او غير بليغ ولكنهم ينفعلون لغنائها انفعالا ، لا يقل عن انفعال الذين يفهمون بلاغة الكلام فى غنائها ، ولما غنت ام كلثوم حفلة ساهرة بباريس ، وحضرها رئيس الجمهورية ، الجنرال ديكول ، عبر لها

الرئيس عن انفعاله العظيم وتأثره العميــق مــن غنائها ؟؟؟، فهل كان دي كول يفهم بلاغة كلامهـــا في غنائها ؛ فانفعل بفهمه لها وتأثر تأثره العميق بل ان المؤلف نفســه فيما بعد لا يرى معنى لغناء السيــد درويش « يا سالما يا سالما » ومع هذا فلا ينكــر ــ وهو الصعيدي ما لهذا اللحن من وقع شديد في نفسه وانفعاله ، لمجرد اللحن الغنائي ، لا لشيء وراء ذلك ، والامثلة على هذا كثيرة ذكرناها بالنسخـة السالفـــة الذكـــر .

وفي الصفحة 28 يقول : كان للعلوم الاجتماعية تأثير مشابه على الدراسات اللغوية ، كعلمي النفس والاجتماع ، وهنا نجد ارتباكا في هذا الكلام ، اولا في عد علم النفس من العلوم الاجتماعية ، وثانيا في عطف علم الاجتماع عليه ؟؟؟، مع أنه داخل في العلوم الاجتماعية ، او هو هي ، او اياها ــ على الاختلاف بين سيبويه والكسائي في التعبير ــ فيكون الكلام هكـــذا :

« كان للعلوم الاجتماعية تأثير كعلم الاجتماع » مع ان التشبيه لا يكون الا عند ما تكون هناك جهـــة مخالفة أو مغايرة بين المشبهين . وفي الصفحة 38 نجد ما يلي : بفضل النوع الانساني ان يختارها ؟؟؟ وما دام يجب ان تكون ؟؟؟

فهذا كلام يشبه أن يكون صادرا عن جيـــران « الكرنك » منشأ المؤلف يفخر به (ومن قبــل قال حافظ : « يا مرحبا بقنا واسنا » فكأنــــه قال في العبارة « يفضل ان يفضل » « أو يختار أن يختار » لان التفضيل هو الاختيار هو التفضيل ، لا اقل ولا اكثر ، وما « دام يجب أن تكون » فربكته ، أن ما دام « من اخوات كان » تدخل على المبتـــدا والخبـــر فتعمل عملها ، اوفي احداهما ؟؟؟) .

وفي الصفحة 75 نجد ، ولا يجـــب أن ننسى حصر المواقع الممكنة في الكلمة العربية هنا ؟؟؟

وكان الصواب في العبارة أن يحـــل الفعــل « ينبغي » أو « يجوز » محل الفعل « يجب » اذ في هذا اخلال بالمقصود من العبارة ، ويتسرب به الجواز في مفهومه المخالف ، ورحم الله الممعنين في قواعد العبارات وعبارات القواعد ، فعقولهم مشاحذ ومحاك وقد تكرر من المؤلف هذا الاختلال التعبيري ، في صفحات اخرى نذكر منها الصفحة 258 حيث ورد « ولكن لا يجب ان ندعي اطراد الكميتين » ؟؟؟، ففيها ما في الاولى سواء بسـواء .

وفي الصفحة 84 نجد « منذ الذي يستطيع » فان لم يكن هذا تصحيفا طباعيا ، فانه أعتبر « من » جازمة ، ولم يراع الفصل « الذي » وهذا الاخيـــر يطلب صلته ولا جزم . وعلى كل حال فان « مــــن » هنا غير جازمة ، فهي اخت التي في قولـــه تعالـــى « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » .

وفي الصفحة بعدها ، وهو يتكلم عــن مخارج الحروف ، يقول : « ولقد خلط النحاة العرب خلطا كبيرا في تحديد هذه المخارج » ؟؟؟ وبصرف النظر عن هذا الخلط الذي ادعاه ، وهو غير واقع ، فنحن قد درسنا النحو تلاميذ ودرسناه أساتذة ، فما وقعنا على نحاة من العرب أو من غير العرب ، تعرضوا لهذه المخارج ، من قريب او بعيد .

فلا شك ان المؤلف يعني بالنحاة القراء خاصة، بدليل احالته على كتاب « النشر » في القـــراءات العشر لابن الجزري ؟؟؟ وكذلك نجده بعـــد هـــذه الصفحة يشرك مع النحاة القراء ، أو يقيم بعضهـــم موضع بعض ، وذلك في عدة مناسبات .

وفي الصفحة 102 يقول لقد عد نحاة العـــرب صوت العين من الاصوات المتوسطة . ونقول ايضا في هذا ، أن الذين عدوا انما هم القراء لا النحـــاة الذين لا دخل لهم في ذلك .

وفي الصفحة 153 وقع له ما وقع له سالفا في حشر النحاة في مسائل لا تعنيهم ، بل تعنــي القراء وحدهـــم .

وفي الصفحة 193 يدعي أن النحو يعرب حتى الهراء ، كما في هذا « حنكف المستعص بسقاحته في الكمظ » ؟؟؟ الخ .

وفات الدكتور ان النحو لا يعرب الا الكـــلام ، وشرط الكلام الافادة ، كما علمتنا الاجرومية حينما قالت لصبياننا « الكلام هو اللفظ المركب المفيـــد بالوضع » ؟؟؟ والنحو لا ينخدع حتى بمظهر الكلمة الذي يبدو لنا لاول وهلة على حقيقة ما ولكن النحو

يتعاون مع الصرف فيقول كلمته الاخيرة فيها ، مثلا كلمة « تترى » التي يعدها الدكتور وآخرون كثيرون معه ، فعلا مضارعا ، انما هي اسم ، لان التاء منقلبة عن ولو ، فاصل « تترى » (وترى) من الوترة هكذا يحكم الصرفي فيتنكب بالنحو عن اعرابها فعــلا ، كترضى وتضحى مثــلا .

وفى الصفحة 218 نجد له من الاسماء التــي تذكر حينا وتؤنث حينا آخر ، جمع شخص وشيخ، اذ ابن ربيعة يقول :

فكان مجني دون من كنت أتقي
ثلاث شخوص كاعبان ومعصـر

فنقول للدكتور الفاضل ، اولا التذكير والتأنيث لا يكون للجموع ، بل لمفرداتها ، وما عناه واخطأني التعبير عنه هو الذي يهديه اليه ابن مالك فيقول له:

ثلاثة بالتاء قل للعشــــرة
فى عد ما آحاده مذكــــرة
فى الضد جرد والمميزا جرر
جمعا بلفظ قلة فى الاكثـر

اذن فالآحاد هي التي تذكر او تؤنث ، وان كان الزمخشري يتفكه فيقول :

ان قومــي تجمعـــــوا
وبقتلــي تحدثـــوا
لا أبالــي بجمعهـــم
كـل جمـع مؤنــث

وفى الصفحة 216 ما يجعلنا نقلع عن اتهــام المؤلف بكون الانجليزية ، فهي تبرئه مـــن هــذه الانجليزية الجارفة براءة قميص يوسف من دمه ، اذ نجد فى تلك الصفحة أن « الشمس مؤنثة فى العربية مذكرة فى الانجليزية ، والقمر بالعكس » ، هكذا يقول الدكتور الفاضل وكل من يعرف مبادىء الانجليزية يعرف معرفة اليقين ، انه لا يوجد فى اسمائهــا لا تذكير ولا تانيث ، فلا يتضح التفريق بين التذكيــر والتانيث الا فى ضمير المفرد الغائب فحسب ، أما ما عداه من الضمائر لا تفريق بالمرة بين التذكيـر والتانيــث .

فان اضطرت الانجليزية الى تعيين المذكر أو المؤنث مع الاسماء نجدها فى بعضها تأتــي بهــذا الضمير للمفرد الغائب وتجعله سابقا للاسم .

ويلاحظ فى هذا التعيين استعمال ضمير المؤنــث والمذكر لغير العاقل ، استعانة به على ذلك التعيين، والا فانهما لا يستعملان فى غير العاقل أساسا كما سنرى وقد قلنا ان التأنيث وغيره لا وجود له فى ضمير المفرد الغائب فلو استعمل هذا الضمير عائدا على الشمس أو القمر فانه يكون ضمير الخنثى وهو
وهذا الضمير يستعمل للصغــار مــن الانسان ، فيعم ذكره وأنثاه ، كما يستعمــل لغيــر الانسان على الاطلاق حيوانا كان أم غير حيوان ، وقد اشرنا الى ذلك آنفا .

وقد بدات الانجليزية تتخلص منه ، وتحــل محله ضمير المؤنث الغائب ، واذكر اني فى سنــة 1958 سلمت الى سفارتنا حلقة من دراساتي التي كنت اعدها بجامعة لندن حول العلاقة التاريخية بين المغرب وانجلترا لتضرب هذه الحلقة على الآلــة الكاتبة فاستبعدت الكاتبة هذا الضمير واحلت محله ضمير المؤنثة الغائبة .

وعلى كل حال فالتذكير والتأنيث لا وجود له فى الانجليزية ، ولو كان له وجود فيها ، لكانت تؤنث الشمس كما تؤنثها العربية ، وتذكر القمر كما تذكره العربية ، لان أختها الالمانية تفعــل هــذا ، فتقول للشمس وللقمر بتأنيــث الاداة اولا وتذكيرها أخيرا ، وذلك علامة قاطعة على جنس مدخولها من التذكير او التانيث كما تقدمــت الاشارة اليه عند تعرضنا لاداة التعريف فى الالمانية.

والدعوى التي ادعاها فى تذكير الشمس وتأنيث القمر ، انما هي فى اللغات التي لا يعرفها ، كالاسبانية والايطالية والرومانية والفرنسية ، مما انبثق عــن اللاتينية من لغات أروبية .

وفى الصفحة 204 بعدما ياتي بنص من دلائل الاعجاز ، يقول : عن صاحبه عبد القاهر هذا العلامة قد فطن الى ضرورة التماسك السياقــي على اي احسان ، كشرط من شروط البلاغة وجعله مبنيا على المعنى ، وواضح هنا أن هذا المعنى ليس معجميا ولا دلاليا ، وان قصد به عبد القاهر ذلك .

وهكذا نجد المؤلف يعلق على المعنى هنا بانه ليس معجميا ، ثم يدعي ان عبد القاهر تصده ، فهذا تناقض بين ، وعبد القاهر لم يقصد بهذا المعنى المعجمي ، كما هو واضح من كتابه المذكور ، الذي درسناه لطلبة المعهد العالي طيلة ست سنوات ، وعلقنا عليه ، تعاليق انفردنا بها ولله الحمد ، ومهدنا له بمقدمة فى تاريخ البلاغة استغرقت نحو سبعين صفحة ، كنا اول المؤلفين فيها ، ولله الحمد ،،، كنا ندرسه بكلية الآداب لفاس الثلاث السنوات بعد تلك الست ، فما وجدنا ما ادعاه المؤلف الذي لم يمعن فيه امعانا طويلا .

وفى الصفحة 220 يجعل الرقم المستعمل فى الشرق نحو 3 عربيا ، ويجعل الرقم الذي نستعمله كما يستعمله الاروبيون الذين اخذوه عنا فرنجيا ، مع ان اللغات الاروبية جميعها تسمي هذا رقما عربيا ، وكلا الرقمين فى الواقع هندي ، الا ان الاخير كان اقدم استعمالا عند العرب ، أو كان مستعملا وحده فى المغرب العربي وفى الاندلس ، الذي هاجر منه الرقم باقي الاصقاع الاروبية كما قلنا .

وفى الصفحة 222 يذكر ان العربية تعبر بصيغة الفعل ، عن الشخص بدون أن تذكره أو ضميره ، فتقول : اقوم ، تقوم ، يقوم ، ولا تذكر الفاعل فى القالب فكان هذا خاص بالعربية عنده ، مع انه عام فى كل لغة معربة ، تتصرف افعالها حسب فواعلها ؛ كالاسبانية مثلا بخلاف الانجليزية التي لا علاقة فى افعالها لفواعلها ، الا ان يكون الفاعل مفردا غائبا ، فتلحق فعله سين 5 باخره ، أساسيا كان أم مساعدا، ومع هذا فهناك افعال لا تلحقه هذه السين ، مثل فعل القدرة وفعل اللياقة والجدارة والفعل الذي يجعل اداة للاستقبال وقد تنوسيت فعليته وجميع الافعال على الاطلاق لا بد من ذكر فواعلها عندهم .

وفي الصفحة 230 ، وهو يغاير بين المثالين « يقع بيت محمد على شاطىء النيل » « ويقع بيته على شاطىء النيل » ، يقول : ان ضمير الجر المضاف الى البيت فى الجملة الثانية جزء من كلمة « بيته ».

ومن البديهيات أن الضمير لا يضاف البتة ، وهو هنا مضاف اليه ، وليس مضافا الى البيت ، وهي غلطة عظيمة تناسب عظمة صاحبها. ومن الفوائد التي يعتبرها المؤلف وقد واجهتنا بها هذه الصفحة، انه يقول فيها :

من العلاقات التي تدل على الموقع فى اللغة العربية والعطف ، فهي دائما فاصلة بين كلمتين ، أي انها دليل على نهاية كلمة سابقة ، وبدء كلمة لاحقة ، فتقف حدا لطرفي الكلمتين ، لا يمكن ان يخطىء فيه السامع ، فاذا علمنا ذلك اتضح لنا أن « هـم » فى نحن و (هـ م) كلمة مستقلة ، وليست كذلك فى « لنا ولهم » ولاننا لا نقول لنا وهم ، يتضح من هذا جميعه ان الضمير المنفصل كلمة مستقلة ، كالاسم الصريح سواء بسواء ، وان الضمير جزء من كلمة ،، هكذا يتفلسف الدكتور فى القضية ، والواقع :

اولا انه ما يسمي هذا الحرف حرف عطف — واوا كان ام غير واو — الا وهو يصل — أعرابا — كلمة اخرى منتهية كما تقول الخلاصة :

تال بحرف متبع عطف النسق
كاخصص بود وثناء من صدق

فهذا خبر بمعلوم للمبتدئين ، وليس فى حاجة الى توضيح ، بالجداول وغيرها ، مما استعان به المؤلف الكريم كما انه ليس خاصا بالعربية ، فهو يعمها وغيرها ، فالعطف يكون بين معطوفين ، الا فى اللغة التركية فياتي فى نهاية المعطوف وقد ذكر هذا المعطوف ازاء المعطوف عليه ، فصنيعها اذا عطف محمدا على احمد مثلا ان يكون ذلك ، هكذا « محمد احمد » فياتي أخيرا حرف العطف ، وهو غير هذه الواو كما فى الفارسية ، بل اداة غيرها تركية تؤدي المعية فيها ثانيا اننا لا نقول وهم ، بل لا نقول حتى لنا زيد ، لفائدة :

وعود خافض لدى عطف على
ضمير خفض لازما قد جعلا

بهذا يقضي النحاة ، ولكن ابن مالك خالفهم ، فقال بعد ذلك البيت :

وليس عندي لازما اذ قد أتى
فى النظم النثر الصحيح مثبتا

هذا ان كان المعطوف ظاهرا ، فان كان ضميرا كما هنا ، فقد قال الدماميني ، فلو رفعت على توهم

انك قد نطقت بالضمير مرفوعا ففي جـوازه نظـر « وعليه فيمكن صحة قولنا لنا وهم » ويكون حينئذ ضميرا منفصلا في حالة الرفع وضمير الرفع المتصل قد يقع في غير محله ، كما قالت الالفية في التوكيد ، ومضمر الرفع الذي قد انفصل اكد به كل ضميـر اتصـل .

ثالثا : ان كان الضمير المتصل جزءا من كلمة، غريب وصحته من التعبير ان يقال « كجزء من كلمة » ولهذا سمي متصلا .

وذو اتصال منه ما لا يبتـدا
ولا يلي اختيـارا ابـــدا

فتلك الجدول الذي وضعه المؤلف للضمائر لا يحتاج اليه الا الغرباء عن هذه اللغة ، أما غيرهم فعلمتهم الاجرومية وهم صبيان ، انا ونحن وانت ... كما علمتهم : ضربت وضربنا وضربت ...

ومع هذا فان الجدول فيه جدة وطرافة ، بحيز منه عجيب وهذه الجدة والطرافة تكمنان في اعتبار تاء التانيث الساكنة ضميرا متصلا مرفوعا ...

كما اعتبرت تاء التانيث وهي متحركة في الفعل المسند الى ضمير الغائبتين ضميرا كذلك ...

فهذه هي الجدة وهذه الطرافة بحق وعن حق ، مع ان الفعل الماضي ، يكون لفظه في حال الافراد مع الغيبة مجردا من الضمير البارز والفاعل ضميـر مستتر لمفرد غائب ، تقول : ضربت وضربت للمتكلم والمخاطب فاذا اسند الى الغائب ، قلت ضرب ، ولا علامة كما هي الحال في كثير من اللغـات ومنهـا الفارسية ، وحيث ان العربية تفرق بين المذكـر والمؤنث في الاسناد اذن فلا بد من علامة التانيث ، ان الفاعل مؤنثا ، فاتت بالتاء لهذه الغاية والفاعـل مفردا ومثنى او جمع ، فقالت جـاءت هنــد ، او الهندان او الهندات ، وقالت هند جاءت والهندان جاءتا ولكن الهندات جئن بنون النسوة وبدون تاء لان صيغة الجمع لا تحتاج الى دلالة التانيث بخـلاف المفرد والمثنى فلا دلالة فيها الا لهـا فان كان اسم جنس او جمع عومل معاملة المفرد غالبا فلو كانـت التاء ضميرا ، لاختصت مع الفاعل الظاهـري في جاءت هند ، والهندان والهندات ، فلم يبـق الا ان تكون علامة تانيث كما قال :

وتاء تانيث تلي القاضـي اذا
كان لانثى كانت هنـد الأذى

وفي الصفحة 235 يفيد بضبط الكلمـة في المعجم الانجليزي ، بخلاف العربي ، وفي هذا يحق لنا ان ننشد :

الم تران السيف ينقص قـدره
اذا قيل هذا السيف خير من العصا

كما يذكرنا بما حصل من « الكحلاوي » حينما زار فرنسا ، وعاد الى وطنه ، فحكى لهم متعجبا ، ان الاطفال في فرنسا يتكلمون الفرنسية ... فنظـرة المؤلف الى الانجليزية في ضبطها نظرة الكحلاوي الى الاطفال في فرنسا يتكلمـون لغتها لان القامـوس الانجليزي واجب عليه ان يضبط شكل كل كلمـة والنطق بحروفها ، حيث ان الانجليزية لا قانون لهـا في هذا النطق ولا في ذلك الشكل فتحيل فيه على شكل مشهور فهي لغة فوضى لامة نظام وتقاليـد عقيدية ، اما العربية فقوانينها معروفة في الكتابـة والنطق بالحرف ، ومن الفخر لها ان قواعدها عامة لكل من ينطقها بخلاف غيرها ، كاللغات الاوروبيـة ، فالنطق مختلف في حروف منها والشكل كذلك ، فلو كتبت كلمة بعينها ، فلا بد ان ينص على نطقها بكونها من الفرنسية او الاسبانية او الايطاليـة والكلمـة واحدة ، وشكلها واحد ، ولكن النطق مختلف باختلاف الامم المقتبسة من اللاتينية وحدها ، وكذلك بعض هذه الكلمات وهي الانجليزية او الالمانيـة ، زيادة عن بعض الحروف بعينها تختلف في النطق كمـا سنرى في حرف منها وهو ما نجـده في عربيتنـا بحمـد اللـه .

وفى الصفحة 237 اتى بالآية الكريمة « بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » هكذا « وكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » ،،، فحصل تحريف فى كلمة الآية ، ومخالفة فى كتابتها المصحفية، بل حتى فى القاعدة العامة ، وفى كون الابن اذا اضيف الى غير الاب تصحبه الف .

والمؤلف فى اشادته بالمعجم الانجليزي يقصر على معجم « أوكسفورد » ويردد ذكره كثيرا ، ويجعل من مميزاته كما فى الصفحة 239 ان به ايتمولوجيا هكذا! وكانه لا يدري ان هناك فى الانجليزية قواميس خصص كلها لهذه الايتيمولوجيا، مثل قاموس ريتشرد جون كونليف وهو على صغره احسن ما استوعب منها .

وفى الصفحة 252 يذكر من ابواب النحو الجملة المؤكدة وغير المؤكدة والطلب والتقرير ، والتمني والاستفهام ،،، كما يقول الدكتور الفاضل ، ونحن نعلم ويعلم غيرنا ، ان التمني والاستفهام داخلان فى الطلب ، ومن قبل قيل :

دعا نهيا ستفهما أمرا تمينا
وعرضا وتحضيضا مما شمل الطلب

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فليست هناك ابواب فى النحو لهذه الاشياء ، التي ذكرها المؤلف ، بل ان الجملة المؤكدة وغير المؤكدة من المسائل - لا الابواب - التي تعرضت لها البلاغة - لا النحو - فى علم المعاني عند مبحث الفصل والوصل خاصة ، اما النحو ، فقد قسم التوكيد الى معنوي والى لفظي ، وهذا يعم المفرد والجملة كما فى الخلاصة :

وما من التوكيد لفظي يجي
مكررا كقولك ادرج ادرج

كما ان الطلب عامة من بحوث المنطق والبلاغة وليس من بحوث النحو ، والتقرير من بحوث البلاغة لا من النحو ، لقد قال المنطق فى قسمي الجملة :

واللفظ اما طلب او خبر .

وقالت البلاغة فى الطلب :

والطلب استدعاء ما لم يحصل
اقسامه كثيرة ستنجلي

امر ونهي ودعاء ونـدا
تمن استفهام اعطيت الهدى

وقالت البلاغة فى التقرير :

الحكم بالسلب أو الايجاب
اسنادهم وقصد دس الخطاب

افادة السامع نفس الحكم
او كون مخبر به ذا علم

وفى الصفحة 253 يذكر أولا انه سبق منه ان شرح وجهة نظر « أوجدن وريتشارد » فى دراسة المعنى بكتابهما « المعنى ومعنى المعنى » .

وكثيرا ما يشيد بعملهما واختراعهما ، مع ان المعنى ومعنى المعنى اختراع لعبد القاهر الجرجاني فى كتابه « دلائل الاعجاز » ومثل لذلك بعدة امثلة منها التشبيه والكناية وما يشبههما ، قبل ان يقول بذلك القول ذلك المؤلفان ، بمثابة قرون تقريبا ، ولا التفات لبعض الجهلة المتنطعين او المبهورين باشعة غيرهم .

وفى نفس الصفحة ياتي بعناوين فى ست صحف انكليزية ، تحدثت عن حادث واحد ، وهو الحكم على احد اللوردات بالسجن سنة ، بعناوين مختلفة ، بعضها يقول « فلان ارسل الى السجن لمدة سنة » ، وآخر يقول « القى به لمدة عشرة شهرا » وغيرهما : « ينال الني عشرة شهرا تقومه للصواب » وآخر يقول : « حكم يهز المدينة » وغيره « فلان حوكم » وغير هؤلاء جاء فيها قضية فى حروف مختزلة ،،،

لقد استغرب المؤلف من هذا الاختـــلاف فى العناوين ، والموضوع واحد هو الحكم بالسجن لمدة سنة ، كان هذا لا يقع الا فى الانجليزية ، وان العربية مثلا ليس فى قدرتها هذا التنويع فى العناوين ، وهي ام التنويعات فى العناوين والعبارات وغيرها ، وقد ساق تلك العناوين بالانجليزية ، ولم يترجمها اعتمادا منه على ان كل قارىء لمناهجه العربية عارف بهذه الانجليزية وفاهمها أو انه لا يخاطب الا العارفيـــن ويتجاهل غيرهم ويبدو فعلا انه يفترض فى الناس قاطبة معرفتهم لهذه الانجليزية ، ولهذا نجـــده فى الصفحة 260 يقول : « وسوف يعرف كـــل انسان الهجاء الانجليزي لهذه الكلمات » ‹‹‹ (والتعبير بكل انسان هذا انجليزي كذلك) .

الى هذا الحد نجد المؤلف حسن الظن ، بـــل قوى الاعتقاد فى كل الناس ، من حيث معرفتهـــم للهجاء الانجليزي ، ولهذا ايضا ، نجده يكتفي بالامثلة الانجليزية فى عدة صفحات ، وعلى سبيل المثال ، الصفحتين ، 254 و 258 حيث يعتمدها صاحبـــة الكلمة فى النطق للحرف الذي اتى به وهو مـــع ان هذا يختلف فى النطق الالماني على الانجليزي فهـــو ينطقه تاء ساكنة متبعة بالسين ويختلـــف النطـــق الاسباني الذي ينطقه ثاء عربية .

هذه اهم المآخذ التي اخذناها على الكتاب ، وبقي ان نذكر شيئا واحدا اعجبنا منه وهو قوله فى الصفحة 202 .

وان ارسطو اتى بالمقولات العشر لكون لغتـــه يونانية ، ولو كانت غيرها لاختلفت فلسفتـــه عـــن شكلهـــا .

وهي كلمة حق رددها لغيره ، لانه لا علاقة له باليونانية حتى يدرك ذلك ، واثبات اللغة بالتفكيـــر جعلها من قبيل المشترك فى كلمـــة « لوغـــوس » اليونانية (ومنها اخذت العربية كلمة « لغة » بـــدل لســان) وفهم العرب الكلمة اليونانية بمعنى النطق ، فقالوا فى تعويق الانسان ، وهو الحي الناطق ، كما قال الجاحظ ، أو الحيوان الناطق ، كما قال قدامة ومن بعده ولم يتنبهوا الى المفكر بالقوة الا بعد ذلك بقرنين نعود الى المقولات فنجد العرب قد اطمأنـــوا اليها ، وجمعوها فى قولهم :

زيد الطويل الازرق ابن مالك
فى بيته بالامس كان متكـــي

بيده سيف لواه فالتـــــوى
فهذه عشر مقـولات حـــوى

ولم يخالف منهم هذا الفيلســـوف اليونانـــي « صاحب المنطق » فى مقولاته العشر ، والتي الفت فيها المؤلفات بالعربية الا عالم مغربي من رجـــال القرنين السابع والثامن ، وهو السجلماسي صاحب الكتاب « المنزع البديع » الذي اطلعنا عليه اخيرا ، فقد نقض بعض المسائل من هذه المقولات كالسببية قبل ان ينقض صاحب « اضاءة الدجنة العليـــة » فقال هـــذا :

ومن يقل بالطبع او بالعلـــة
فذاك كفر عند اهل الملـــة

لقد قال هذا المقري بعد السجلماسي بثلاثـــة قرون ، ولكن منزعه فيه كان منزعا توحيديا ، بينما الآخر كان منطقيا عقليا مجردا ، هـــذا ما كان مـــن العرب ، اما الاروبيون ، فلم يجرؤوا على نقضها او الزيادة فيها الا فى العصر الحديث ، حيث كـــان « هيوم » الانجليزي ينقض العلية والسببيـــة معـــا ويجعلها خدعة من خدع الخيـــال ، فان ارتبـــاط الاشياء برابطة افترضه الخيال وحـــده ، ولكـــن الفيلسوف الالماني « كنت » لم يكتف بالعشر مقولات وجعلها اثنتي عشرة ، ذلك ان :

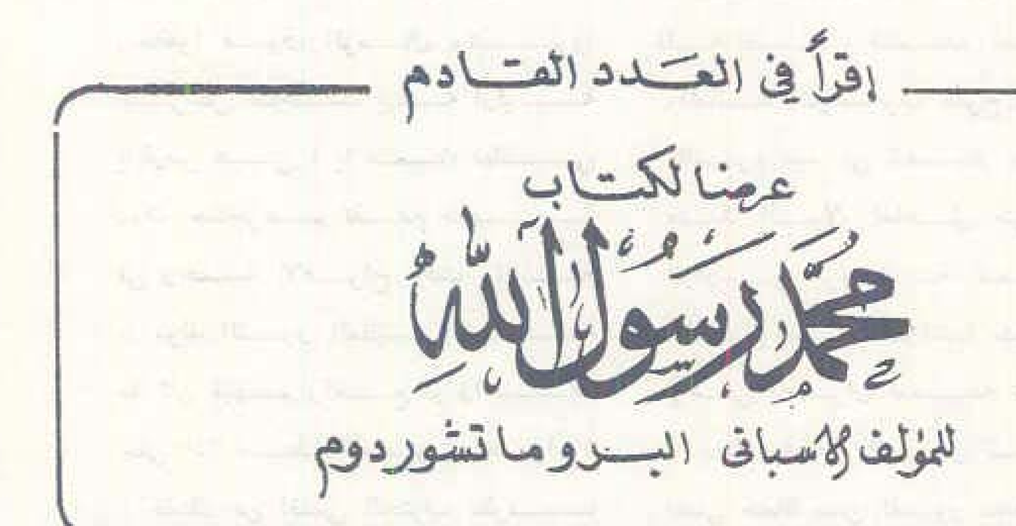
الاصول اربعة ، الكيف والكـــم ، النسبـــة ، الجهة ، وتحت كل واحد منها انواع ثلاثة ، فالذهن فى تجريده وترتيبه للافكار يسايرها بمعيار الكم تارة،

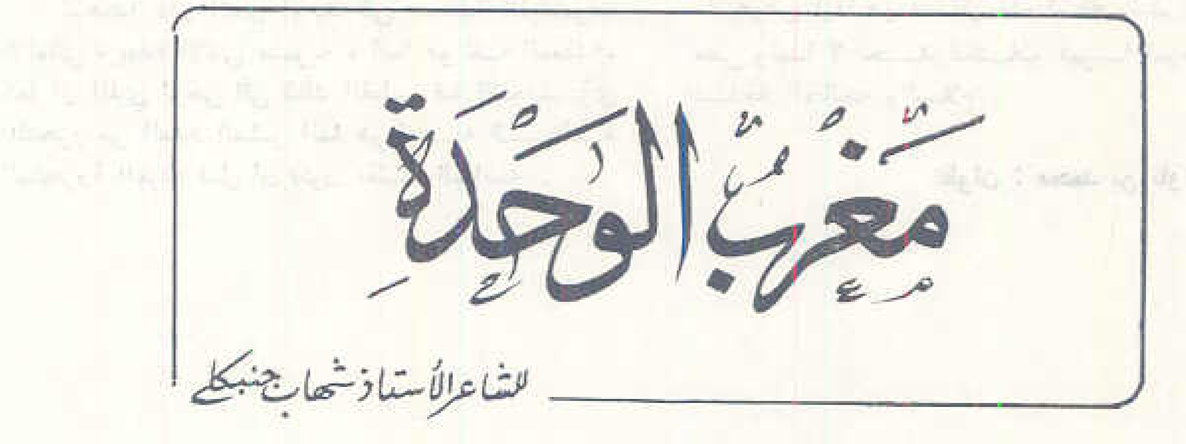
وبمعيار الكيف اخرى ، ويقول ان بين العلاقات علاقة السببية والعلة بين العلة والمعلول ، هذه العلاقـــة عنده ـ بخلاف هيوم « مبدأ عقلي اولي او مقولة من مقولات الادراك » .

وهكذا فان الذي اوجد الى هـــذا الفيلسوف الالماني ، بهذه الاثنى عشرية ، انما هو لغته المعقدة، كما ان الذي اوحى الى ذلك الفيلسوف الانجليـــزي بالتحرر من العدد العشر انما هو لغتـــه البسيطـــة المتحررة المرنة قبل أن تكون عقليته الخاصة .

لقد اطلت على القارىء واتعبناه كما اتعبت هذا الكتاب ، ومجمل القول فيه ان هذه المناهج تحتاج الى منهاج ينظمها ، فمسائلها مفككة وهي لا تخضع الى نظام تاليفي فلا ابواب تسلم الى فصول ولا فصول تختص بما يعرض فيها من مسائل متسلسلة يسلم بعضها الى بعض ولهذا لا نجـــد للكتـــاب فهرسا لموضوعاتـــه السابقة الجانحة والسلام .

تطوان : محمد بن تاويت





هبوا الى الصحراء طوعا وانشدوا ... للوحدة الكبرى رعيدا وازددوا

وتعلقوا جمعا بحب مليكنا ... فالشعب نادى والعقود تجدد

وتعانقوا فوق الرمال وكبروا ... لله نصرا ، فالعدو يعربد

تيريس صاحت بيعة ازلية ... والقائد الموهوب صرح ماجد

يا أرض هبي ، يا سماء تهللي ... فاليوم عيد فى الفخار يصعد

دوت حناجرهم تقدم طاعة ... عند الولاء لعاهل يترصد

فى زحمة الأفراح رفت راية ... للوارثين بروعة تتمدد

يا مولد النور العظيم ببسمة ... تعلو الوجوه تشوقا يتجدد

ما كان فيهم راضع او زاحف ... يرضى الهوان لعصبة تتمرد

حتى اذا حط النفير تهاتفوا : ... « جئناك يا خير الورى نتودد »

« جئناك من اقصى الجنوب تطوعا ... تحمي حمانا من كفور يجحد »

يا من رعى الاسلام من شرق ومن ... غرب ، فدان الشمخ عما يوصد

يا من اطحت بمارقين تجبروا ... يخفون افكا فى اللظى فيبدد

فجعلت منهم هاربا أو نازفا ... يجزون حقا فى الجحيم فتفسد

كم كان خلف الغدر شؤم قاتل ... يودي بصاحبه الذي يتعصد (1)

من قال ان المجحدين تمكنوا ... من ارضنا ، واسودنا تتوقد

---

(1) يتعصد : يتلوى من الم .

والقائد الميمون يحمي ديننا ... من كل عمق للفساد يجرد

هذي طلائع زحفنا قد جردت ... جيشا هزبرا للحمى يتعضد

وقف الزمان عن المسير تهيبا ... والراسخات من العبيد تهدهد

راحت قلوب بني الشدائد ترتوي ... من ماء « دخلة » رائقا يتورد

جنبات « وادي الخير » (2) تشدو للعلى ... فى حضن أم برة وتزغرد

والطامحون تهالكوا فى خزيهم ... « فالافك شوط قاصر لا يخلد »

فتبخرت أحلامهم فوق الثرى ... « والزيف يفنى عند نار توقد »

والحق عاد بقدرة لا تنثنى ... والعرش جاد بطلعة تتوطد

والمغرب الفيحاء أضحى قوة ... فى كل يوم للعلى يتصعد

ويد المليك تظل دوما شعبه ... والعين ترعى أمة لا تركد

لم تنجب الدنيا وفيا مثله ... والصامدون بطاعة لا تفصد

فله التحية من جوارح أمة ... عزمت على الإخلاص قدرا يسعد

الدار البيضاء : شهاب جنبكلي

---

(2) وادي الخير : وادي الذهب .

صفحات مشرقة من تاريخ

السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام العلوي

للأستاذ عبد القادر الرزيني

يكتب المؤرخ فيقرا ما كتبه هواة التاريخ والدارسون له . اما الانسان العادي فلا يسمح له وقته الا بقراءة صحيفته المفضلة وتصفح بعض المجلات .

واحرى ببعض التاريخ أن يبقى مهملا فى كتب التاريخ يقراه المتخصصون فقط ويطلع عليه اقل ما يمكن من الناس .

اما مثل هذه الرسائل فيجب ، فى نظري ، ان تنشر على نطاق واسع ويقراها أكبر عدد من القراء . يجب فى نظري ان تدرس فى مدارسنا ليرى شبابنا القيم الاخلاقية ، التي كانت تنير طريق رجالات المغرب ، وليتعرفوا على وطنهم وعظمتهم وزهدهم وصدق ايمانهم . هذه الرسائل كفيلة أن تجعل من شبابنا رجالا فخورين معتزين بماضيهم ، مؤمنين بمستقبل بلادهم .

اما الرسائل فهي من السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام الى وكيل الملك بجبل طارق ــ قنصل عام بلغة العصر ــ الحاج محمد بن الحاج احمد الرزيني او الى اخيه الحاج أحمد الرزيني امين الامناء بطنجة .

ولربما لعب جبل طارق دورا هاما فى هذه الحقبة من تاريخ المغرب ، فقد كان باب المغرب الوحيد للاتصال بالعالم الخارجي ، اذا استثنينا الاتصال غير المباشر الذي كان يتم على يد قناصل الدول المعتمدين بطنجة . وقد كتبت هذه الرسائل فى وقت كانت فيه أوربا فى بداية ثورتها الصناعية واوج مدها الاستعماري . وكانت بداية المعركة التي شنها الاستعمار على المغرب لتمزيق وحدته وانهاك قواه .

وكان على المغرب ليجابه هذا المد الاستعماري أن يجد قائدا له مثل عليا يؤمن بها ، وايمان راسخ بدينه وبوطنه . وقد وجد المغرب هذا القائد فى شخص كاتب هذه الرسائل ملكه عبد الرحمن بن هشام العلوي .

وسيجد المغرب قائدا فى المستوى كلما اشتدت الازمات وعظم كيد الكائدين .

وهذه رسالة تبين لنا مدى تدين هذا الملك وزهده ونصها :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(الطابع السلطاني ونقش داخله عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الارضى الحاج محمد الرزيني وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد

فلا يخفاك أن النصارى يتغالون فى الفرش والاواني وغير ذلك مما هو محرم علينا شرعا . ككون الفرش او الفوط من الحرير ، والاواني من الذهب والفضة ونحو ذلك . وعليه فاذا جاءوكم بشيء من ذلك فردوه عليهم بالتي هي احسن وعرفوهم بان هذا حرام فى ديننا وكذلك كل ما جاءوكم به مما هو غير حلال لنا فلا تقبلوه منهم ، وها الفقيه والحمد لله معكم يبصركم فيما يحل وما لا يحل والسلام فى 12 رمضان المعظم عام 1274 هـ » .

ان كانت هذه الرسالة فى ظاهرها تعليمات من ملك الى موظفيه عما يقبل وما لا يقبل من الهدايا وما هو حلال وما هو حرام ، فهي فى جوهرها تعليمات واضحة وصريحة لان يلبس رجال الدولة لباس التقشف ويجتنبوا البذخ فى العيش . فمهما عظم دخل الدولة او دخل الفرد ، فانه لا يكفي ولن يكفي ان كان يصرف من غير حساب وفى اقتناء كل ما غلى وندر .

ويكتب هذا الملك الصالح لوكيله ، وهو الذي سيصاحب اولاده الى حج بيت الله الحرام فيقول :

« واعلم اننا اقمناك فى هذا الامر الذي كلفناك به مقام انفسنا وجعلناك للاولاد اصلحهم الله ابا وهم لك بنون وقد اوصيناهم بذلك ونوصيك بهم ومثلك لا يحتاج لوصية ... »

ويمضي قائلا :

« واما ما يجعل حبسا فى سبيل الله فقد عينا له عشرين الف ريال . اجعلوا عشرة آلاف منها بمكة وعشرة آلاف بالمدينة . ولكم النظر فيما يناسب للوقت بحيث تبقى منفعته جارية وأجره ثابت ان شاء الله . فان الحاضر بصيرة فما اقتضاه نظركم ورأيتم فيه المصلحة والمنفعة الجارية فافعلوه غير ان ما تجعلونه بالمدينة المنورة عينوا منه قدرا معلوما لمن يكون يستعمل كل صباح عددا من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويهديها لقبره الشريف بحسب النيابة عنا بحيث يقول ، هذه هدية من فلان بن فلان » .

وفى رسالة اخرى وفى نفس الموضوع يقول السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام :

« وبعد فقد كنا نفدنا لكما بتطوان وطنجة عشرين الف ريال بقصد ما يجعل فى سبيل الله بالحرمين الشريفين ، وكان غرضنا ان نجعله من أثمان غلل أجنتنا وكنا ننتظر ورودها من مراكش ، فلما تاخرت كتبنا للحداد والخطيب بدفع ما عينا لكل واحد منهما دفعه لكما كنطردة ثيران الانجليز وكنطرة العلق لان ذلك من الحلال الطيب ، فاذا باثمان الغلل ورد فى هذه الايام ، فاردنا أن يكون ذلك منها بعينها لكونها من اطيب ما يمكن وليعود بالبركة على اصولها وعليه ، فها نحن وجهنا لكما منها عشرين الف ريال على يد وصيفنا فرجي فاجعلاها فى الفرض المذكور بعينها » .

وفى الطريق يجدون حجاجا قل مالهم او انعدم، فيعينهم من مال الملك حتى يتابعوا سيرهم ويقضوا غرضهم . ويخبر الملك بذلك ، فيجيبه هذا الملك الرؤوف برعيته فى رسالة جاء فيها :

« وقد استحسنا غاية الاستحسان ما فعلته من الاكتراء للحجاج الذين القيتهم منقطعين بالاسكندرية، وبسويس فجزاك الله احسن الجزاء ، وحمدنا الله اذ وفقك للنيابة عنا فى ذلك ، ففي مثله فليتنافس المتنافسون ، وكل من القيتموه منقطعا من فقراء الحجاج باى مكان حللتم به فواسيه ، واستقدمه للاسكندرية واكتر له . فى 14 حجة عام 1274 هـ ».

وهذه رسالة موجهة الى امين الامناء بطنجة الحاج احمد الرزيني . وهناك العديد من امثالها ، فقد جرت عادة هذا الملك الصالح ان يعين اى حاج طلب المعونة . وجاء فيها ما يلي :

« وبعد فحامله مصطفى بن محمد القاريا واخوه محمد وللاول سبعة أولاد وللثاني خمسة ، اركبهم فى مركب الحجاج واصلين الى الاسكندرية من غير شيء يلزمهم واجعل لهم من الزاد ما يوصلهم الى المحل المذكور وادفع للاول منهم عشرين ريال وللثاني عشرة ريال والسلام فى 16 جمادى الاولى عام 159 هـ » .

وفى رسالة اخرى يقول له :

« وقد خصصناكم بهذا الاجر وضربنا لكم بسهم فى اكرام وفد الله ومعونتهم على وجهتهم المباركة والربح هو الدعاء الصالح » .

وهو يستقصي اخبار الحجاج وسال عنهم ولا يرتاح حتى تأتيه اخبارهم السارة فيكتب : **« ولاهتمامنا بامور المسلمين سالنا عما بلغنا حتى وقفنا على الحقيقة ، فاطمانت نفوسنا اصلحك الله »**.

وهو يحدد مهام وكيله فى ظهير تعيينه بجبل طارق فعليه « **ان ياخذ بايدي المسلمين التجار والحجاج والصادرين والواردين واجرائهم على القوانين المعروفة والسبيل المحمودة المالوفة من القيام بحقوقهم ورفع الاذاية التي تلحقهم»** الى ان يقول « ويسعى فى **رفعة المسلمين وعزتهم بحيث لا تطلهم مهانة ولا ما يؤدي لمضرتهم** » .

وهو يشفق من حال التجار متى وقع الكساد فيامر امينه ان يسقط عنهم المشاهرة حتى **« يكثر البيع والشراء ويؤديها (اطرات) ان شاء الله لانا نشفق على التجار ونريد جلب النفع لهم لينشطوا فى تجارتهم ويعود ذلك بالنفع على بيت المال عمره اللـه »** .

وهو المدافع عن حوزة الوطن وكيانه وهو الذي يستعد لاعدائه كما امره ربه فيكتب الى وكيله بجبل طارق قائلا : « **ففير خاف عجز جباية قبائل المغرب وقلة داخل مراسيه ، وهذا مال المصالحة قد علمت سبب انقطاعه والصائر على الجيوش والمصالح كثير مع عدم عمارة بيت المال وفره الله ، وليس الا فضل الله . وقد احدثنا جيش النظام لاتفاق الخاص والعام على جعله لما فيه من اغاظة العدو ومقابلته بما يوهن كيده وقوته ، ولا بد من داخل يقوم براتب الجميع وما يوفر للمصالح واخذ الاهبة والاستعداد للعدو والكافر قصمه الله ، ولم نرد تكليف التجار بالسلف والتضييق عليهم ، واعتمدنا على الشرع العزيز وارتكبنا ما هو الارفق بالرعية والاقرب للسداد ورأينا اختصاص بيت المال ببيع السكر والحديد مع زيادة فى ثمن كليهما لا تضر . اذ الناس كلهم لهما محتاجون ولمثل هذا مستحسنون ولقد اخترنا ان يكون جلب ذلك على يدك من بر النصارى من غير مشاركة احد معك وتجعل امناء بمراسينا السعيدة على يدك لقبوله وبيعه ترضى امانتهم وثقتهم وتعرف حزمهم وضبطهم ومن اراد ان يشتري قليلا او كثيرا من ذلك يشتره منهم ويكون الامر مضبوطا فى ذلك والسلام فى 19 ربيع الثاني 1261 هـ** » .

وهو المهتم بالتعليم — لا التعليم الديني كما جرت عادة رجالات عصره فقط ، بل التعليم العملي التطبيقي ، فيرسل وراء الكتب من الشرق ويحاول ترجمة ما وقع في يده بلغات اروبية فيكتب للحاج احمد الرزيني :

« وبعد فيرد عليك تاليف من تاليف النصارى فى الحساب واخذ الارتفاعات ومطالب التوقيت يسمى (اللفريتم) وهو انواع منه فى الفنين المذكورين ومنه فى عمل البحر الا أن الناس يتعاطونه من غير تعريب فلا يستفيدون منه كل الاستفادة وعليه فبوصول كتابنا هذا اليك انظر من له معرفة باللسان والفن وعرب هذا الذي يرد عليك ، الرسالة المقيدة فى جهة اليسار تعرب وحدها كل ورقة تعرب فى ورقة حسبما هي متصلة على التوالي ، وباقي التاليف المذكور المشتمل على الحسابات المكتوبة على كل قاعدة بالعجمية فائدتها تبين بالعربية على العجمية ولا يغادر منه كلمة واحدة . وانظر نسخة من هذا التاليف تكون كبرى وافعل بها مثل هذا ووجهها لحضرتنا العلية بالله وان رايتم ما هو اخصر من ذلك عربوه ايضا ، ووجهوه لحضرتنا فان عمل المتاخرين اليوم اخصر واوعب من عمل المتقدمين والسلام 24 رجب 1261 هـ » .

هذه ليست فقط دعوة الى تعريب ما جد من العلوم لتكون الاستفادة اكبر واعم بل هي دعوة لمسايرة ركب التقدم حتى لا نبقى الى الوراء .

وهو المدافع عن كرامة بلاده المؤيد لوكيله متى ما وقف فى وجه التدخلات الاجنبية فيقول له :

« وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا مضمنه وعلمنا ما أجبت به حاكم جبل طارق حين خاطبك فى أمر الزيادة فى الصاكة لما الح عليه التجار فى ذلك وطلب تمييز سلعة الانجليز بالنقص ، وبمثله اجبت قونصل الانجليز لما خاطبك بمثل ذلك وذكرت لهما أن كل واحد يفعل فى بلده ما شاء وسردت عليهما قضايا مما هو فى اللندرة فانصفا للحق فقد أصبت فى ذلك أصلحك الله ، واما ما كان بقي مسكوت عنه ولم يحمل الصاكة التي قدرنا ولم يقع تنصيص عليه مثل اللوبان والمرجان والزجاج والزافر والعطرية ، فقد امرنا فى جميع مراسي ايالتنا السعيدة بتقويمه وقبض عشره ، بحسب عشرين فى المائة ، وفق ما أشرت اليه مع التعجيل أصلحك الله . والمسالة التي اغفلناها نبهنا عليها والسلام ، فى 12 جمادى الثانية 1961 » .

وفى السطرين الاخيرين من هذه الرسالة تتجلى عظمة هذا الرجل ، فهو يتقبل ويعمل بما يشير اليه وكيله ويزيد فيسأله أن ينبهه ان هو غفل عن شيء ، وهو امير المؤمنين ، وهو الملك ذو الصولة والصولجان !

ان قيس هذا الملك بمعيار الديمقراطية العصرية فهو أعلى مثال لها .

وان قيس هذا الملك بمقياس الدين فقد بلغ مبلغ الزهاد .

العالم العربي متجه نحو

استعمال الأرقام العربية المغربية

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

قامت الارقام النجارية Nagari بنفس الدور الذي تقوم به (الارقام العربية) لانها قريبة الشبه (بالارقام الغبارية) التي استعملت بالاندلس والمغرب والتي اشتقت منها الارقام الاروبية الحالية

ويرى الاستاذ (كاى) G.K. Kaye أن الارقام النجارية هذه يعود اقدمها الى مخطوط من (تورخيد Torkkéde عام 198 هـ — 813 م وآخر من (كوجرات) Gujarat عام 253 هـ 867 م وهو تاريخ وصول اول مثال عن الارقام الهندية الى العالم العربي ، فى حين تعود أقدم وثائق الارقام الغبارية الى عام 261 هـ — 874 م و 275 هـ 888 م .

غير ان هنالك ما يشير الى استعمال الهنود لهذه الارقام بما فى ذلك الصفر (٠) منذ القرن الخامس الميلادي على الاقل وقد اشار (ارياباطا Aryabata الى هذه الارقام بصفرها قبل ذلك حيث عاش أوائل القرن الرابع غير ان تحديد شكل الصفر هل هو نقطة او دائرة يظل دائما موضوع خلاف .

ويذكرون ان أوراق البردي المصرية القديمة الراجعة الى القرن الثالث الهجري قد استعملت الارقام « الغبارية » ولكننا نتساءل لماذا لم يتابع المصريون فى القرون التالية استعمال هذه الارقام حيث عدلوا عنها — اذا صح أنها استعملت حقيقة — الى الارقام الهندية أو العربية المستعملة الآن فى الشرق .

ويظهر أن الارقام الهندية قد ادخل عليها منذ القرن الرابع الهجري تعديل كما يلاحظ ذلك فى رحلة (البيروني) عن الهند (440 هـ — 1043 م) .

واتسمت الصورة الجديدة للارقام عند (البيروني) بما عرفت به بعد ذلك عند (ابن الياسمين) بالمغرب وخاصتها الاساسية هي الشكل الدائري للصفر الذي ظل مطموسا عند المشارقة عدا البعض امثال محمد بن موسى الخوارزمي .

والخوارزمي هذا احد منجمي المامون اعتمد فى مؤلفاته الحسابية على الهندوس منها (العمل بالاسطرلاب) وهو من جملة الخمسمائة رياضي وفلكي من العلماء العرب الذين ذكرهم (زوتر) فى كتابه (رياضيو العرب وفلكيوهم واعمالهم) وتدل المصادر العربية على أن ما يسمى فى المغرب بالارقام الغبارية هي نفسها الارقام العربية حيث يوجد فى المكتبة العامة بالرباط (خع)مخطوط تحت عنوان : « تلقيح الافكار فى العمل برسم الغبار » (رقم ك 222) من تاليف ابى محمد عبد الله (او عبد الرحمن بن حجاج) (1) المعروف بابن الياسمين والذي ولد بفاس أواسط القرن السادس وهو بربري من بني

---

(1) وقيل اسمه عبد الله بن محمد بن حجاج ، الاعلام للمراكشي ج 6 ص 91 (مخطوط) والتكملة ص 531 ، والجذوة ص 237 .

حجاج بقلعة فندلاوة ، اخذ العلوم الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم وقد قال ابن الابار فى التكملة: « وله ارجوزة فى الجبر قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية فى سنة 587 هـ (ص 531) وكان احد خدام المنصور وولده الناصر كما فى « الذخيرة السنية » وقد وجد ذبيحا بمراكش سنة 600 او اوائل 601 هـ، وتوجد نسخ من ارجوزته فى الجبر والمقابلة بخزائن باريز وبرلين واكسفورد والاسكوريال والقاهره ، ومن شراح الارجوزة (حسب بروكلمان) ابن الهائم المتوفى سنة 815 هـ (وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقلصادي (2) وهو « تحفة الناسمين فى شرح ارجوزة ابن الياسمين » ، (مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 هـ وهي « اللمعة الماردينية فى شرح الياسمينية » (مخطوط ببرلين والقاهرة واسطمبول) وله ارجوزة فى اعمال الجذور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الاستاذ محمد الفاسي ، مجلة « رسالة المغرب » سنة 1942 السنة الاولى عدد 1) وممن شرح الارجوزة سعيد العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (نيل الابتهاج ص 106) .

وكتاب تلقيح الافكار هذا يعتبر اقدم وثيقة تحدثت عن اعداد الغبار وأكدت انها مغربية اي عربية الاصل .

ونحن لا ننكر انه كان هنالك اتصال للعرب المشارقة بالهندوس منذ عهد الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان واتصال المغاربة بالاغريق ربما عن طريق السريان فى آسيا الصغرى وكذلك عن طريق الرحلات خاصة فى نطاق دعوة ملوك المغرب والاندلس لعلماء اليونان واتقان علمائنا بالاندلس خاصة لليونانية واللاتينية مما جعل (ابن حزم) يؤكد فى (جمهرته) انه لم ير رجلين اثنين من علماء الاندلس لا يتقنان هاتين اللغتين بالاضافة الى الضلاعة فى لغة الضاد غير ان الاتصال ليس معناه الاقتباس لان الاغريق لم تكن لهم فى الحقيقة طريقة منظمة لكتابة الاعداد وانما اعتمدوا فى الاصل على المنهج المصري القديم مع الرمز لها بالحروف الابجدية ، فكيف يعطون ما ليس لديهم ؟

وفى خصوص مصدر الارقام العربية توجد نظريتان ، اولاهما كلاسيكية مشهورة يدعو اليها ثلة من الغربيين فيهم (ويبك) Wœpck وسميث Snuilh و (نالينو) Nallino و (ديرنجر) Diringer وهي نسبة هذه الارقام الى الهنود الذين يرجع اليهم الفضل فى ابداع طريقة التعداد بالارقام والمراتب على النظام العشري وعنهم اخذ العرب الذين يعترف علماؤهم بذلك كالمسعودي والبيروني هذا فى حين ان بعض العلماء امثال (كارادىفو) Karra de Vaux و (كاي) G. K. Kaye وكولان G. Colin يرون ان مبدأ الترقيم يعود الى الرياضيين اليونانيين حيث يرى (كارادىفو) ان كلمة هندي راجعة الى كلمة end الفارسية بمعنى قياس فى الحساب والهندسة وانها من هندسي (الهندسة والحساب) ولذلك فنظام الترقيم فى نظره هو عمل اتباع افلاطون وفيثاغورس ومن ثم انتقلت هذه الطريقة ــ حسب زعمهم ــ للامم اللاتينية وللفرس الذين نقلوها بدورهم للعرب والهنود معا بعد الفتح الاسلامي . تلك نظرية الذين يبحثون دائما عن منفذ الى اصالة الغربيين المزعومة فى كل شيء .

ويزيد (كولان) الامر تدقيقا فيزعم ــ تخمينا ــ ان الارقام العربية اشتقت من الاحرف اليونانية ذات الدلالة الرقمية وان الفرق بين الارقام الهندسة والغبارية هو أن الاولى تشتق مباشرة كالثانية من الاصول اليونانية بل انها جاءت للغربيين عن طريق الهنود الذين نقلوها بدورهم عن اليونان .

ولعل الارقام العربية ظهرت (3) لاول مرة بأوربا فى مخطوط للهندسة تحت اسم مستعار (بويس) Bœce ويعود تاريخه للقرن الحادي عشر وهذا هو ما اشتهر باسم Apièces de Bœce ولها اشكال الارقام الغبارية التي استعملتها اوربا والتي يتبين من بعض الاشكال المعروضة فى هذا المجال انها ليست هي التي يستعملها العرب الآن

(2) المتوفى عام 891 هـ ــ 1486 م وهو صاحب (كشف الاسرار عن حروف الغبار) (خع 1411 د).
(3) بحث (فيفري) (اللسان العربي عدد 2 ــ 1384 هـ ــ 1965 م .

حيث ان (جيربير) Gerbert وتلاميذه ثم يعرفوا الصفر ، فالمخطوط الاوربي الاول التي ظهرت فيه هذه الارقام يرجع الى عام 366 هـ — 976 م . وقد نشر مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي اشكالا لذلك (4) ، واكد المؤرخ الانجليزي (كيوم دومالميسبورى) (5) وهو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي ان (جيربير) تتلمذ للعرب بالاندلس. ويقال بأن (جيربير) هذا هو الذي ادخل (الحروف العربية) الى اوروبا معجبا بمعجزة الصفر (6) التي هي من ابداع الفكر العربي والتي تركت اثرها العميق في نفسية الرياضيين امثال (اديلارت) الانجليزي Adelart de Bath و (جيرار كريمونو) الايطالي ، وقد توهم البعض ان (جيربير) هذا الذي اعتلى (عام 999 م — 300 هـ) كرسي البابوية باسم سلفيستر الثاني Sylvestre II قد درس في (جامعة القرويين) وبها تعرف على (الارقام الغبارية) ونقلها الى اوروبا الا ان هذا لم يصح بل ان اتصال (جيربير) بمعاهد وكليات قرطبة اقرب الى الواقع .

واذا قلنا بأن الارقام المشرقية الحالية والارقام الغبارية كلاهما من اصل هندي (7) فان ذلك يرجع الى تعدد أشكال الارقام الهندية تبعا للمناطق بالهند كما لاحظ ذلك (البيروني) ولعل العرب اكتفوا من هذه الاشكال بصنفين فقط نتج عنهما الطريقتان المشرقية والغبارية المغربية اذا صح ان هذه ليست عربية اصيلة .

وقد اكد ابن الحباك محمد بن احمد التلمساني (867 هـ — 1462 م) في شرح (تلخيص اعمال الحساب) لابن البنا (ص 21) ان حساب الغبار من وضع الهنود الذين كانوا يتصرفون به في غبار مبسوط على لوح واشكالها تسعة .

وفي ذلك اشارة الى عادة رش الغبار على الالواح المستعملة لاجراء الحساب ليمكن رسمها بالاصبع والارجح عند البعض في تعليل هذه التسمية ان هذه الارقام كانت تكتب بالقلم المسمى (غباري) لدقته بالنسبة للاقلام الاخرى وهو اصلح للحسابات وهذه أيضا نظرية تؤكد انفصال القلم الغباري عن القلم الهندي ، وقد اشار ايضا الى نوع ثان هو حساب (الجمل) وحساب (ابجد) ونوع ثالث وهو الزمامي المعبر عنه بالقلم الفاسي .

نعم لجأ المغاربة الى (الارقام الرومانية) احيانا وهي التي عرفت قبل القرن التاسع الهجري واستعملت باسم (الخط الفاسي) حيث استخدمها علماء فاس اختصارا وحماية للوثائق الهامة من التدليس ولعلها مستعارة من الكتابة الاغريقية واقتصر استعمالها على حسابات المواريث وحوالات الوقف وجداول وازياج الفلك (8) ، وقد نص صاحب (تاريخ الرياضيات) (9) على ان اول من دعا لاستخدام الارقام الغبارية (ليوناردو فنشي) حيث ظهرت منقوشة في عملة (سويسرا) عام 1424 م — 828هـ وفي النمسا سنة 1484 م — 889 هـ وفي فرنسا عام 1485 م — 890 هـ وفي المانيا سنة 1489 م — 895 هـ وفي اسكتلندا عام 1539 م — 946 هـ وفي انجلترا عام 1551 م — 958 هـ واعتمدت لاول مرة في التقويم عام 1518 م 924 هـ (تقديم كوبل). وهذا الزعم لا يصح لان (ليوناردو) ولد عام 1452 م — 856 هـ وتوفي عام 1519 م — 925 هـ فهو قد وجد الارقام العربية قد اخذت طريقها في المسار الحضاري الانساني بأوروبا قبل ذلك بخمسة قرون وانما زاد (فنشي) هذا الانتشار دعما نظرا لمكانته العلمية عند الغربيين ، ومعلوم ان (ليونارد فنشي) كان صديقا (لفردريك الثاني ، الامبراطور

---

(4) اللسان العربي عدد 2 .
(5) المجلة الاسيوية ص 35 (عام 1883 م — 1301 هـ) .
(6) هـبريس م. 44 (3 — 4) عام 1957 م مجلة الهلال 1963 م (ص 356) المجلة الاسيوية ص 518 (عام 1883 م) .
(7) القلقشندي صاحب (صبح الاعشى) هو نفسه لا يذكر الارقام العربية بل يقسمها الى هندية وغبارية ولعل هذا مما يؤكد فصل الغبارية عن الهندية بل وعروبتها .
(8) « ارشاد المتعلم والناسي في صفة اشكال القلم الفاسي » لاحمد سكيرج (مطبعة الجزائر 1917).
(9) العبد الحميد لطفي والدكتور احمد .

الجرماني ، وكان كلاهما معجبا باللغة العربية ، وقد تتلمذ (فنشي) لعلماء العرب واقتبس الارقام العربية من مؤلفاتهم فى الجبر والمقابلة والحساب وهو يعتبر أعظم من نشر العلوم الرياضية انطلاقا من منبعها العربي بواسطة الارقام التي غير العرب شكلها وصورتها فعروبة الارقام المستعملة الآن فى أوروبا والمغرب قد تكون غير أصيلة نظرا لطابعها الهندي المحتمل غير ان هنالك فرقا بين الشكل الهندي الاول وبين ما أصبح العرب يستعملونه من ارقام وصفتها أوروبا بأنها عربية فكان ذلك مبررا لهذه التسمية التي درج عليها الغربيون ازاء الارقام المعدلة من طرف العرب خاصة بالاندلس وجزر البحر المتوسط منذ العصور الوسطى ومهما يكن فان الوطن العربي فى حاجة الآن الى ان يوحد اختياراته مع العالم الحديث فى هذا المجال لا سيما وان مناطق عربية شاسعة تستعمل منذ عدة قرون ما تستعمله أوروبا من ارقام تصفها هذه بأنها عربية فلو كان الغربيون يستخدمون وحدهم هذه الارقام لتساءلنا لماذا نعطي الاسبقية لهذه على تلك وقد أبرزت وثيقة وردت على مكتبنا من وزارة الاعلام بدولة الكويت (10) ضرورة تصميم هذه الحروف المستعملة فى أوروبا لاسباب أساسها وجوب التركيز على دواعي الوحدة الثقافية والعلمية وحتى السياحية على الصعيد العالمي .

وقررت حكومة العراق مؤخرا التخلي عن الارقام المشرقية واعتماد الارقام العربية فأثار هذا القرار تساؤلا عن مستقبل الارقام المشرقية .

وقد ظهرت دراسات لعلماء عرب خاصة بمصر ابرزت اصالة الارقام المستعملة اليوم لدى الغربيين كأرقام عربية .

وسبق لمجمع اللغة العربية بالقاهرة أن أحال كتاب لجنة الرياضة فى هذا المجمع على مجلس الاتحاد فى خصوص اقتراح احلال الارقام الغبارية المستعملة فى المغرب العربي محل الارقام الهندية المنتشرة فى جميع بلاد المشرق العربي بحجة ان الاولى هي الارقام العربية الاصيلة (11) . كما سبق ان انعقدت عام 1383 هـ ـ 1963 م بتونس حلقة لتوحيد الارقام العربية حضرها ممثلون وملاحظون عن الدول العربية وجامعتها تدارسوا تطور هذه الارقام فى مختلف مراحل التاريخ العربي ، وقد توصلت هذه الحلقة الى ما حقق لديها أصالة هذه الارقام مؤكدة ضرورة الاقتصار عليها فى العد والترقيم والتزمت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية آنذاك باصدار تعليماتها الى كافة الدول العربية لضمان هذه الوحدة .

وقد تحدث الاخ الاستاذ الدكتور انور بكير مدير المكتب الدائم للاتحاد البريدي العربي فى بحث لسيادته (12) عن الارقام العربية الاصيلة (ويقصد بها الارقام الغبارية) وضرورة استخدامها فى أختام البريد بدلا من الارقام العربية الحالية التي هي أرقام هندية كما أشار الى الاتفاقية البريدية العالمية التي تقضي باستعمال الارقام العربية المستخدمة الآن بأوروبا ، وقد أصدر مؤتمر الرباط عام 1960 توصية البلاد العربية للعمل بقدر الامكان على استخدام الارقام الغبارية فى شكلها الحالي المستعمل بالمغرب العربي وبأوروبا وبقية أجزاء العالم ، وخلال المؤتمر الثاني للتعريب بالجزائر (1393 هـ ـ 1973 م) أحيلت القضية على اللجنة المكلفة بدراسة موضوع الارقام والرموز بحضور أساتذة كبار يمثلون كافة الاقطار العربية .

« وبعد تبين وجهات النظر المختلفة ارتأت اللجنة ان توصي باستعمال الارقام العربية 1 ، 2 ، 3 ،

Arabic Numeral

للاسباب الآتية :

أ ـ ان هذه الارقام هي عربية فى الاصل وما زالت تحمل فى أوروبا اسم « الارقام العربية » وهي لا تزال مستعملة فى أكثر أقطار المغرب العربي .

ب ـ ان استعمال هذه الارقام يحل كثيرا من المشاكل التعليمية والفنية وذلك لانها ستغني عن ترجمة كثير من الجداول الرياضية فى مختلف العلوم ، وستيسر على الطلاب والمشتغلين فى العلوم

---

(10) مجلة اللسان العربي (عدد 12 ج 1) .
(11) مجلة اللسان العربي (عدد 15 ج 1) .
(12) مجلة (اللسان العربي) عدد 4 (1386 هـ ـ 1966 م) .

قراءتها فى مظانها علما بأن صور هذه الارقام تكــاد تكــون عالميــة .

ج ـ ان استعمال هذه الارقام سيحل مشكلة الصفر الذي يرسم بطريقة الارقام الهندية المستعملة حاليا بهيئة نقطة كثيرا ما ادى تناهيها فى الصفر الى الوقوع فى الخطأ .

د ـ هذا علما بأن استعمال هــذه الارقــام العربية لن يكلف المتعلم العربي اكثر من تعلم تسع صور للارقام اضافة الى الصفر وهــو أمر سهــل جــــدا » .

كما نظرت اللجنة فى موضوع الرموز ، وبعد المناقشة اتجهت الآراء الى التوصية بتبني فكــرة الابقاء مبدئيا على الرموز المتفق عليها عالميــا فى مراحل التعليم العالي وكتابة المعــادلات العلميــة والرياضية بالطريقة والرموز المتفق عليها فى اكثر اقطار العالم المتقدم ، على أن تكــون التعاريــف والشروح والتعليقات باللغة العربية ، وهذا بالتالي سييسر على الطلاب والمشتغلين بالعلوم قراءة هذه المعادلات والرموز فى الكتب العلميــة باللغــات الاجنبية المختلفة ، اذ لا يخفى أن هذه الرموز ، التي لا يتجاوز عددها بضع عشرات ، بات استعمالها مع الارقام على هيئة معادلات رياضية يؤلف لغة عالمية يتفاهم بها المشتغلون فى العلم ، على ان تتولى المنظمة تاليف لجنة أو عقد ندوة لدراسة الموضوع تفصيلا .

تلك هي العناصر الاساسية التي يجب التركيز عليها لاصدار راي صحيح فى هذا المجال على أساس موضوعي هو ضرورة توحيد الاتجاه العربي طبقــا لاختيارات اصبحت موحدة فى العالم .

الرباط : عبد العزيز بنعبد الله

في العدد العاشر

- الآلة الأندلسية — للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- دفاع عن الوندال — « محمد محيي الدين المشرفي
- الزاوية القادرية ودورها الديني والاجتماعي — « عبد القادر القادري

هل تعود البشرية مرة أخرى إلى شريعة الغاب؟

للأستاذ أنور الجندي

قد يظن البعض ان نظريات الوجودية التي دعا اليها كير جارد وبابرز ، وسارتر ، هي نتاج جديد ، فرضته ظروف القلق والغربة والغثيان والاضطراب النفسي الذي يعيشه الانسان المعاصر فى أزمنته القاسية المدمرة بعد أن دمر علاقتـه بالله تبارك وتعالى ، واسرف فى الغرور والظن بأن الانسان قد أصبح راشدا وليس فى حاجة الى وصاية السماء على حد تعبير أحدهم ، ولكن الواقع ان الفكر الوجودي فكر قديم ضال عرفته الفلسفات اليونانية القديمة وجددته القوى الشريرة الضالة التي تستهدف تدمير الانسانية فى العصر الحديث ، شأنها فى ذلك شأن تجديد فكرة افلاطون فى مدينته المثالية ، التـي حطم فيها العامة ووضعهم فى موضع السائمة والحيوان ودعا الى التعقيم والنفي للمريض والمشوه والمعتوه ، فالوجودية هي بعث جديد للفكر السوفسطائي القديم فى فلسفة اللذة حيث كانت مزاعم الفكر الوثني اليوناني القديم تدعو الانسان الى اقتناص اللذات قبل أن يموت ، وان عليه ان يعيش حرا دون ان يقبل على قيد من قيم أو دين او عرف او اخلاق او تقاليد . هذه الفلسفة المدمرة التي حطمت مدينة روما التي ابتعثها التلموديون فى العصر الحديث عودة بالانسان الى شريعة الغاب والفوضوية والحيوانية فى الجنس والاخلاق وعدم الالتزام بالعلاقات الانسانية . ومن هنا يقول الدكتور حسن الشرقاوي : « ان دعاوي الوجوديين الجديدة من الاباحيين واللامسئولية والتقزز والتحلل والعرى والانحلال الخلقي والتفكك الاسري والشذوذ انما هي نعرات قديمة تلبس أثوابا جديدة » .

ويقرر الباحثون : ان الوجودية هي تعبير « عن الاحساس الجارف بالغربة عن الحضارة والناس » . ويرى الاستاذ رمضان لاوند « ان الوجودية هي اعلان عن افلاس الانسان فى مواجهة القيم الانسانية العامة ، فقد أصبح الانسان الغربي والمثقف الغربي بصورة عامة يؤمن بسقوط كل القيم التقليدية ، كما اصبحت الحقيقة بالنسبة له تدور حول وجوده فحسب ، وان هذا الموقف يعود الى الاحساس بالاغتراب والى نوع من الغيثية واللاعقلانية على النحو الذي صوره فى قصصه البير كامو وسارتر .

ولا ريب ان عودة الفكر الغربي بعد هذه المراحل الطويلة التي قطعها فى مجال العلم التجريبي والتقدم العلمي ، الى التماس الوثنية والاساطير من الفكر اليوناني ليمثل ردة خطيرة ، فقد كان حفيا بهذا التقدم العلمي ان يدله على الحق وعلى الفطرة وان يفتح له الآفاق الى التماس هدى السماء الذي يتطابق مع العلم التجريبي الذي اخذ يفتح افاقه لمعرفة الله تبارك وتعالى ، بينما نجد ان الفلسفات ما زالت تجري وراء النظرية المادية التي عرفها العالم فى مرحلته التجريبية خلال القرن التاسع عشر ثم انصرف عنها حين آمن بأنه لا يستطيع ان يفهم كنه الاشياء وان مهمته قاصرة عند التعرف على ظواهر الاشياء ، وكان حفيا بالفكر الغربي ان لا تحتويه الفلسفة المادية خاصة بعد ان حطم العالم نظرية داروين ونظرية الجوهر الفرد وكان لانفلاق الذرة أثره البعيد المدى فى انفتاح افق جديد للاتصال

بعالم الغيب وقد أعلن كثير من العلماء التجريبيين ايمانهم بالله تبارك وتعالى القائم وراء هذا العالم المادي . غير ان الذي يتضح لنا ان الفلسفة المادية لها قيادة تلمودية تستهدف تدمير الانسان وتحطيم الفكر الانساني وتغليب الفكر المادي والوثني والاباحي وفق مخطط مرسوم لتدمير البشرية . ومن هنا كان على اهل الفكر الاسلامي ان يكونوا على يقظة تامة ازاء هذه التيارات الخطيرة المطروحة فى افقهم ومن خلال هذه المحاولات التي تفرض مفاهيم فرويد وسارتر وغيرهما على ثقافة العرب والمسلمين وان كان الكثيرون يرون انه لن يكتب لهذه التيارات ازدهار فى عالم الاسلام نظرا لان نسيج الامة ما زال حيا ، ومازالت متمسكة بالقيم النابعة من الاسلام وان العرب والمسلمين لن يستعيدوا شخصيتهم الا بعد ان يتملكوا مقدراتهم ويصنعوا حضارتهم ومجتمعهم انطلاقا من قيمهم الاساسية التي تتمثل بصفة خاصة فى القرءان والسنة ووفق اخلاق القرءان .

واذا كان المسلمون يواجهون اليوم محاولة جديدة لترجمة الفكر الغربي المعاصر (الوثني المادي) وطرحه فى افقهم سواء عن طريق نظريات السياسة او الاجتماع او الاقتصاد او النفس والاخلاق والتربية فان المعتقد ان الامر لن يصل الى (ازمة الترجمة) التي مر بها فى القرن الثالث الهجري عند ما ترجمت وثنيات اليونان ، ذلك لان المسلمين اليوم قد مروا بمرحلة التبعية وتكشفت امامهم مؤامرة الاستشراق والتغريب واضحة جلية .

ويصدق فى هذا قول رمضان لاوند حين يقول: انه مما يتبين لنا اليوم فى وضوح ، ان الرجال الذين صنعوا نهضات هذه الامة عبر أربعين قرنا هم الانبياء والرسل خلافا للنهضات التي ظهرت فى اليونان او فى البلدان الغربية ، ويقول : انه رغم كل العقبات التي توضع اليوم أمام حركة اليقظة (ويسميها عملية الاحياء) يبدو لي ان العالم العربي وكأنه يضاعف مقاومته لتيارات الفكر الغربي والقيم الغربية ، يتمثل هذا اولا فى التجديدات التي تناولت الشريعة الاسلامية والعودة الجادة الى الثقافة الاسلامية ، وان كانت هذه الثقافة لم تتبلور حتى اليوم التبلور التام ـ هذا من ناحية ـ ومن ناحية اخرى فان كل المحاولات التي قصد بها « تغريب » العالم العربي ـ اي اعطائه الشخصية الغربية ـ قد اسفرت عن فشل ذريع ، فقد فشلت ـ الفلسفات الاجتماعية والفلسفة الحديثة والمتمثلة فى عدة احزاب تسمى قومية وتقدمية ويسارية عن استيعاب الوجدان الشعبي ، وظل انصارها محصورين بطبقة المثقفين الذين تخرجوا فى ظل الثقافة الغربية والمؤسسات التربوية التي صنعت على الصورة الغربية » .

ولقد اصبح واضحا الآن ان « الاسلام » هو مفتاح النقطة والنهضة وهو القادر وحده على اعطاء العرب والمسلمين القوة والقدرة والحصانة فى مواجهة الازمات المتلاحقة والتحديات المتوالية ،

يقول رمضان لاوند : يجب ان نقتنع بأنه لا يمكن ان يقوم للعرب قائمة دون الاسلام فهو وحده القادر على اعطائهم الشخصية المميزة ، فاذا توفر لدينا هذا الاقتناع ، اصبح من السهل تشكيل الشخص المسلم بواسطة « رؤيا اسلامية اصيلة » تتصل بالقيم ومناهج الفكر والسلوك والنظم الاجتماعية وغيرها ، وعندها فقط تستطيع الامة ان تتخطى ازماتها . وقد ادرك الغرب هذه الحقيقة منذ زمن بعيد . وفى 1952 وقف سكرتير بالخارجية الفرنسية معلقا على محاضرة فى معهد الدراسات الشرقية بالسربون قال : « هم وحدهم الذين يمثلون الخطر الحقيقي على الحضارة لانهم فى وسعهم اذا توفرت لهم الظروف ان يقدموا البديل عن هذه الحضارة ولعل الوسيلة الوحيدة لتجميد نشاطه هو ان نحول قدر المستطاع دون استقلاله فى استغلال امكانياته الاقتصادية 8 والشيء الثاني ان نحول دون احيائه لتراثه الثقافي وبناء مجتمعه المستقبلي فى ضوء هذا التراث » .

وبعد ...

ان الخطر المحدق بالامة لا يكمن فى السلاح الحديث الذي يمتلكه الاعداء والطائرات التي تتربص بها والتفوق التكنولوجي او الالكتروني الذي يحيط بها من كل جانب بقدر ما يكمن فى الغزو الفكري والعقائدي الذي يطلقه العدو ومنه جاءت الهزيمة والنكبة والنكسة .

القاهرة : أنور الجندي

ما أشبه الأمس يا دنيا بحاضرنا

للشاعر الاستاذ وجيه فهمي صلاح

وادي المخازن هل تزف لنا ... يوما أغر بعطر الزمنا

في صفتيك المجد مؤتلق ... والنصر منطلق سمح يضيء بنا

كانت جحافلنا بالله واثقة ... كالسيل تنفذ من هنا وهنا

والخيل في ساح الوغى قمما ... تحت الفوارس تطحن الرسنا

واشرق الفجر فالاشراك منهزم ... يلقى سبستيان فيه الذل والمحنا

وبين جنبيه جرح غير ملتئم ... قد ضيع العمر والصلبان والكفنا

ما أشبه الامس يادنيا بحاضرنا ... فنحن شعب مدى الازمان ما وهنا

لن يستباح حمانا اننا هم ... من البطولات تفدي الترب والسكنا

طوبى لمغربنا يسمو بعاهله ... مرحى لعاهلنا من وحد الوطنا

من حرر الرمل من ظلم ومن ظما ... وانبت الزهر في الصحراء والفننا

طوبى لوالده في الخلد منشرح ... طوبى لخامسنا من أنجب الحسنا

الرباط : وجيه فهمي صلاح

بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري

الرؤية المستقبلية الاسلامية

للأستاذ الحسن السائح

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انـه على كـل شيء شهيد ، الا انهم فى مرية من لقاء ربهم الا انه بكـل شيء محيط » . صدق الله العظيم .

(سورة فصلت) القرءان الكريم

الانسان والتاريـخ :

الرؤية المستقبلية من خلال الثقافة

الانسان حيوان ناطق ، اي حيوان يفكر ، وهو بذلك حيوان تاريخي ، واع وشاعر بحيوية الزمـان واحداثه ماضيا ومستقبلا ... ومن ثم فان تطلعاته الى المستقبل من خلال وعي حاضره هي هدفه في الحياة ، وهي بعد من ابعاد تفكيره . واذا فالانسان متطلع باستمرار للمستقبل ، ولعل قيمة الثقافـة وديتميتها تكمن فى قدرته على تحريكهـا ليتطلـع للمستقبل . اما اذا كانت الثقافة تعيش على الذكريات فهي ثقافة ركودية لا تلبي للانسان اهتماماته بالتطوير والنماء ولذلك فان الشعوب التي تعيش بذاكـرة التاريخ والامجاد متخلفة دائما عن اللحاق بركـب الحضارة التقدمية الطلائعية ... وليس معنى ذلك انكار عمل التاريخ وقدرته على اعطاء نفس للمستقبل من خلال التجربة الماضية ، ولكن التاريخ اقل المواد المحركة للحضارة الاستقبالية مساعدة على استبانة الرؤية ، فان الاغراق فيه ارهاق للذاكـرة بصور وخيالات لا تحمل فى تفسيرها الا اقل الحقائق ، لان وجود التاريخ فى اللغة اكثر من وجوده فى الحدث . فالمؤرخون اذا توفروا على عبقريـة (المـؤرخ) يحملون الحدث استنتاجات شخصية ظرفية عائمة فى وقائع هيكلية .. ولهذا (فالتاريخ) هو أسلوب المؤرخ وتبقى الحقيقة عائمة ..

غير ان بداية كل رحلة تاريخية تمتد بأعينها الى المستقبل ، والمجتمعات الناشئة تظل تتطلع دائما الى الغد ، عكس المجتمعات الرجعيـة الراكـدة المستكينة الى التقاليد دون تطلع للاحسن ، فهـذه مجتمعات قابلة للانهيار والاستيـلاب والسقوط فى الدونية ، ولذلك فان الاهتمام بالمستقبل جزء مـن حياة الامة ، لان الاعتماد على ذاكرة التاريخ هو تأكيد للركود ... والتحدث عن امجاد الماضي هذيـان احلام اليقظة ، ولقد كان (نيتشه) من الفلاسفـة الذين لا يقرون دراسة التاريخ لانه يرهق ذاكـرة الشعـوب .

الاسـلام والتاريـخ :

اما موقف الاسلام من (التاريخ) فيبدو واضحا فى حرصه على ان يجعل من الاحداث التاريخيـة (قصصا اخلاقية) لتكون موعظة وذكرى ، وانطلاقا للسير فى المستقبل على أساس وعي تجربة الماضي، لا على اساس تحليل الحاضـر ، والاغـراق فيه ،

والخضوع لوطأته وتبني مواقفه ... كما ان التخطيط للمستقبل يجب ان لا يخلق فى الانسان غرورا ممعنا فى الثقة بمنطق العقل والحس ، والعلة والسبب ، فكم يخطيء العقل فى الاستنتاج وكم تتخلف العلة والاسباب ... ولذلك (فلا تقولن لشيء اني فاعله غدا الا ان يشاء الله ، واذكر ربك اذا نسيت) .

والاسلام يرى ان التاريخ وحدة زمنية تحكمها قوانين ثابتة لا يفصل فيها الماضي عن المستقبل الا بالشعور المنطلق من وحدة زمنية تلاحقها وحدة اخرى ، فهو حركة استمرارية وتموجات للزمان ليصبح حركة بعد ان كان فكرة ... ولذلك فان رصد حركة الماضي بكل افرازاته العقلية ، والفكرية والوجدانية ، يعتبر ايضا دفعا الى الامام ، والى المستقبل ، لان لذاكرة الماضي فى عقل الانسان تسجيلا مختصرا للتركيز على المواقف حتى ينضج الاختيار الاستقبالي على اساسها . ولذلك فالاسلام لا يهتم بالبحث الاكاديمي فى التاريخ وهو عنده مجرد (رجم بالغيب) وانما يهدف الى حركة الزمان ودفع الانسان للمستقبل على اساس السير على السنن (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) .

فالسنن هي النواميس ، والقوانين التي تحكم الكون ، والمجتمع جزء من الكون ، وذلك لانه لا يمكن التخطيط والبرمجة الاستقبالية الا على اساس فهم الثوابت والمتحركات ، والحتميات ، والاختيارات ، وما ينجزه البحث الاحصائي والعقلاني والبحث الاخلاقي الماورائي واللا معقول ، مع التحكم فى الفطرة التاريخية ومدى انعكاسها على التطورات الاستقبالية حتى تتآزر المؤثرات الظرفية والهيكلية فى تحقيق (المشروع) حسب كل مرحلة ، والتقديرات المرصدة له على المستوى المحلي ، وعلى المستوى العالمي ، لان احداث العالم المعاصر أصبحت تؤثر بعضها فى البعض ، كالرنين الذي يحدثه النقر فى كأس البلور .

ولقد كان الشاعر المغربي صادقا ، حيث رأى ما تلاقيه تخطيطات الانسان من مفاجآت فقال : (وتقدرون فتضحك الاقدار) . ان ضحك القدر يعني فشل تطبيق المشروع ، وما تحمله المشاريع من اسقاطات ، ولهذا فالاسلام يعتبر الماضي تصميما للمستقبل ، وتوضيحا لرؤيته على اساس واقعي لا هو متفائل ، ولا هو متشائم (لان الله لا يحب الفرحين) المغرقين فى التفاؤل ، ولا يحب (اليائسين) الضائعين فى اليأس ... ويتحقق مشروع الانسان الاستقبالي على اساس فهمه لحركة التاريخ الاستقبالي التي هي نتيجة ارادة متبادلة بين الطبيعة والانسان لتحقيق مسؤولية الانسان فى تطوير ذاته ومجتمعه حتى يتخذ موقفا اختياريا فى مواجهته المواقف الاختيارية لا فى مواجهته الحتميات التي هي نفسها قد تتبدل فى حركة الزمان لتصبح بدورها اختيارات ليست بثابتة الى الابد ولكنها تصبح هي نفسها اختيارا عندما تتوفر الاسباب ، والحتمية الاستمرارية هي نتيجة سوء التفسير أو البقاء فى مواقع الخطأ ، فالانسان فى الماضي لم يستطع الصعود الى القمر ، وكان من الحتميات ان يظل ثابتا على الكرة الارضية لان ذلك نتيجة التأخر فى دراسة العلوم وارتياد الفضاء ، ولضعف امكاناته فى علم الفيزياء والرياضيات والكسمو لم يحقق الرحلة الى القمر ، فلما سمت معرفته فى هذا الميدان تجاوز حتمية الجاذبية الى الخروج منها ، وتحقيق الصعود الى القمر بعد ان كان ذلك اختيارا مستحيلا .. وبعد الاختيار ، يأتي الفعل وهو فى التاريخ نتيجة تحقيق حرية الانسان ، لان الحرية هي ارادة الله فى خلقه فاذا اراد شيئا (يقول له كن فيكون) ، ولذلك فالانسان يصنع تاريخه الفردي والجماعي ويشكل مصيره اعتمادا على ما وهبه الله من عقل وارادة وقدرة ... وهذه الحرية بها يوجه مصيره ، ويصوغ مستقبله ، ولقد اعطى الانسان كل مؤشرات نجاحه ... فلديه الزمان والمادة والمكان والعقل والمعرفة والقيم ليصوغ مستقبله الاجتماعي والسياسي على اساس العدل والحق والكرامة ، ولا يمكن بدون حرية ان يكون للانسان موقف اختياري ، فالحرية معادلة آنية لمواجهة الاختيارات الاستقبالية ، وهي حركة حضورية يجب ان يعيها الانسان لينتقل منها .. الى الحركة الاستقبالية ، ولذلك لا بد من الاحتفاظ بالدينمية العقلية والوجدانية الآنية الكامنة فى الحركة ، مع استعمال المخيلة لملاحقة الغيب المجهول ، وفك (الحصار) المحدق بالعقل

والوجدان ، واللجوء الى الايمان والعمل والحركة ، لان الحياة صراع بين الانسان وذاته الداخلية ، وما حواليه ، وخمول الانسان فكريا ووجدانيا تعطيل للحرية ، وذلك حصار قوي ضد حيويته ورشده فعليه ان يفك هذا الحصار بقوة وايمان ، فليس قانون العلة والمعلول الذي جاء به الفلاسفة القدماء ، بقادر ان يحرك الانسان للامام ، ولا قانون التحدي والاستجابة الذي جاء به توينبي بمفسر الصراع والكفاح ، ولكن (يخيل الي) ان قانون (فك الحصار) هو الدافع للحركة الى الامام ، ويبقى ان يتعلم الانسان كيف يفك الحصار باستمرار عن طريق ملء النفس بالثقة والايمان بالله الذي معناه الايمان بصفاته كلها ، اي الايمان بالحق والعدل والعلم والارادة والحياة . فصفات الخالق ظاهرة في خلقه.

(والايمان بالغيب) جزء من الرؤية الاستقبالية، اذ الغيب هو المحجب عن الانسان ماضيا وحاضرا ومستقبلا ... فالايمان بالغيب ليس تعطيلا للعقل ولكن اعترافا بقوة الفعل خارج وجود الانسان الذاتي ، وهو يعني ايضا غيب المستقبل ، وغيب الجزء الاخروي الذي معناه معادلة بين حياتين ، حياة وجودية طبيعية ، وحياة استقبالية (علمها عند ربي) فهو كالمعادلة الرياضية بين ما فوق الصفر وما تحته ...

المستقبلية الفلسفية :

ولتوضيح الصلة الوثيقة بين عالم المشاهدة.. وعالم الغيب ، فان الانسان يسعى لتاكيد وجوده بالكلمة والصورة والعمران وليبرهن على الفعل الماضي والحاضر ويخطط للغدية كما يؤكد وجوده على طريق البعد الاستقبالي ، والاستفادة من (مخيلته) التي هي من اهم اجهزة العقل ، اذ بها يتجاوز الزمان والمكان (والمعقولات) ليخلق من التاريخ الماضي او من الغيب الاستقبالي الرؤية المستقبلية العلمية .. وعن طريق المخيلة والمعطيات العلمية والاحصاء والارقام والتجربة يخطط للمستقبل بوضوح نسبي .. ثم ان التخطيط لا يشكل المستقبل بوضوح وانما يوضح الرؤية ، ولذلك ، فالاعتماد على التخطيط كليا نوع من الاغراق في الاحلام ... وهذا ما تردده الثقافة الاسلامية التي تنص صراحة ان المستقبل غيب لا يمكن معرفته بدقة (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) (والمشيئة تعني تشييء الشيء) اى طواعيته لارادة الخالق ، فلا بد اذا من ان تتكون الارادة الانسانية موازية ومنسجمة وطائعة لارادة الخالق ، وهي ارادة منسجمة مع الكون متسقة له ، فاعتماد عليها تحقيق لجزء كبير من التخطيط الاستقبالي ، ومجال هذا (التخطيط) مجال علمي اكثر منه وجداني ، لان المستقبل هو المجال الواضح للمعرفة العقلية في العلوم البيولوجية والنباتية والطبيعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك . وفي هذا المجال تظهر معجزة العقل الانساني بابتكاراته المتعددة ، (سنريهم آياتنا في الافاق ، وفي انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق) ... ولقد اجهض بعض المفسرين المتاثرين بالاسرائيليات عمل المفسرين السلفيين لتحقيق دعوة القرءان الاستقبالية ، حين اعتمدوا على الاسرائيليات في تأويلاتها وخيالها التاريخي ، بدلا من الانغمار في عالم المستقبل كما كان يرسمه البعد القرآني ، وجاءت آيات قرآنية مبشرة بالمستقبليات ، او ما يعبر عنه المفسرون (الاخبار بالمغيبات) تاكيدا لدعوة القرءان الاستقبالية وتاكيده الى هذه (النظرة) في تعاليمه ... كل ذلك حتى يستطيع الانسان ان يغير واقعه ، ليغير مستقبله وان يغير الاسباب ليغير المسببات ، وذلك حتى يستطيع العقل نفسه ان يغير من (معرفته) واسلوب (تطبيقها) وتقنية علمية،والمامة بموضوعاته، لغير المعطيات كلها ، فدينامية العقيدة الاسلامية ترتبط بوعي الحدث ومشكلات الموقف ، وضرورة التطوير لبعدها الميتافيزيقي حتى تضع الانسان امام (مستقبلين) احدهما (مادي) يلخصه الحديث ... اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا . وثانيهما (روحي) ويلخصه شطر الحديث الثاني و (لآخرتك كانك تموت غدا) وبالنسبة للشطر الاول ، الانسان يجب ان يعمل في دنياه كانما يعيش دوما ومعنى ذلك يقبل عليها ليدرسها ويعرفها وليكون مفكرا متاملا معمرا مسيطرا على الطبيعة ومنقبا عن اسرارها ، حتى يعيش في تطور ارتقائي ، ويتبع ذلك ان يكون عالما علما بشريا عقليا يعينه على اقتحام مشكل المستقبل المجهول .

وبما ان الانسان يعمل فى دنياه ليطور انسانيته فهو فى الوقت نفسه يطور الطبيعة والمادة ، ويسمو بالمجتمع الانساني سياسيا واجتماعيا وعلميا ويتجاوز ذاته الى الجماعة كلها . وبالنسبة للشطر الثاني فى الحديث فان النظرة الاخروية تظل (ميزانا) (ونقدا ذاتيا) لمحاسبة الانسان لعمله ، ومدى انسانيته او انحرافه عن رسالته .

وكان (الاسلام) قادرا على الوفاء لهذه الاختيارات والحتميات فى نظرته (الاستقبالية) فقد قدم مشروعه الاسلامي عن العصر الجاهلي ، ووردت الآيات القرآنية التي تتجدد فى كل مرحلة من تاريخها، ولم تضعف النظرة الاستقبالية عند المسلمين الا بعد (الحروب الصليبية) التي دمرت القوة الاسلامية المادية والمعنوية ، ثم اجهز عليها بالاستعمار المسيحي والاوربي ، والصهيوني لتفويت الخصائص الحيوية والدينية فى التفكير الاسلامي ، وفى تقنية الاستقبالية الاسلامية حتى تسرق ثروة الارض الاسلامية عن طريق سرقة العقل والوجدان الاسلاميين .

ان الموقف الاسلامي من التطور الاستقبالي يقوم على اساس المعادلة بين الماضي والمستقبل لانتاج خط انساني متفائل واثق من نفسه . فالتاريخ يسير وفق الارادة التي يصوغها القدر ، وهو فى معناه الارادة الجماعية الخاضعة لنواميس الكون .. وعلاقة الانسان بالحدث والزمان علاقة تحددها الارادة الجماعية المتطلعة وفق ما يريده الخالق ، وارادته تتفق تماما مع الفطرة الانسانية المنسجمة مع خلافة الانسان فى الارض حتى يعمرها وتزدهر بعمل الانسان وتفكيره وعمله فى نطاق عبوديته للخالق ، اي توحيد الله ، والاستسلام اليه وحده فقط .. فالمستقبل ليس (ديالكتيكيا) منبعثا من حركة العقل الكلي الشامل المتحكم فى الوجود ، والمثبت فى الطبيعة، والمعبر عن نفسه فى الدولة كما يرى هيجل ، ولا الديالكتيك الذي يعتمد على نظام الانتاج الذي يحدد النظم السياسية والاجتماعية والعقلية ، وليس كذلك بالمستقبل المتشائم المؤذن بافلاس رسالة الانسان.

ان علاقة الانسان مع الكون تمكنه من صياغة التخطيط الاستقبالي واستغلال المواهب العقلية والجوانية ، لان الانسان يعمل حرا فى اطار الاختيارات دون أن يكون عليه اي ضغط اجتماعي او سياسي . اذ بوسعه أن يغير ذاته لغير مجتمعه الى الكرامة والحق دون أن يكون له عذر (وقالوا ربنا اطعنا سادا‌تنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا) .

اما عن طريقة علمية التخطيط ، فان العلم دراسة موضوعية للطبيعة .. وهو أساس للثقافة التي تعني (وعي العلم) وعيا ذاتيا ليصبح وسيلة للتطور والتقدم والعمل الدائب (فالتنمية) هي العلم عندما يصبح (ثقافة) ... والتنمية هي حركة التطور وصلتها بالعلم صلة جدلية ؛ ولذلك فلا تنمية بدون علم ، ولا علم بدون تنمية ويبقى ان تستعمل عناصر العمل وهي (التقنية) التي تعني بلورة العلم الى واقع باحسن الوسائل واخفها واقربها الى الاشاعة ، وبالمال الذي لا غنى عنه لتحقيق العلم .

المستقبلية الطوبائية :

المستقبلية ليست طوبائية لان الطوبائية ظاهرة فردية واجتماعية عند الانسان عندما يستخدم وجدانه ليغير حاضره متطلعا لمستقبلية زاهرة وافرة بالصور والنعيم ... اى يكون تواقا الى عالم مثالي سعيد يستكمل فيه ما افتقده فى حياته الآنية.

فالطوبائية فرار من الواقع ، فهي احلام يقظة ، وهي تعارض الواقع التاريخي فى الدراسة العلمية ، ولا تستبان فيها الرؤية لدى الجميع ، لانها احلام نفسية ذاتية يتداخل فيها تصور الحاضر فى المستقبل وتصور المستقبل فى الحاضر ، ان الطوبائية فى الواقع ظاهرة انسية تعني الفرار من الواقع ولا تعني (الرفض) الذي يغير الحالة بالثورة، فهي تعبير خيالي عن توتر نفسي داخلي ، وفقدان قوة ذاتية ضد الصراع الواقعي ... فموقفها مرحلي فى التعبير عن ارادة التغيير عن طريق التطور الحالم الانتظار(. وهي مزاج متشائم يريد ان يرى الطبيعة على غير ما هي عليه دون تدخل علمي ... وكانت (المدينة الفاضلة) لافلاطون ؛ و (المدينة الفاضلة) للفارابي ... وحي بن يقظان لابن طفيل تعبيرا ادبيا عن الطوبائية الفلسفية ، ولعل فكرة (المهدي المنتظر) التي ظلت تراود الخيال

الشيعي تبعث فيه الامل بعد انهزامه امام الامويين ، والعباسيين ، وبعد فشل مذهبه امام مواقف السنيين والخارجيين ، كانت تعبيرا صادقا عن مفهوم الطوبائية ، وطبع المجتمع الشيعي (بالانتظارية) وقد حاول المفكرون المسلمون بفضل وعيهم للمستقبلية الاسلامية الخروج عن هذه الطوبائية الى المستقبلية العلمية كابن رشد عميد الارسطاطالسية وبعده ابن خلدون عميد الرشيدية الذي يرى واقعية المستقبل في قضاياه ومشاكله بخضوعه للطبيعة البشرية ومستقر العادات .

واذا كان ارسطو يرى ترابط الاحداث في قانون العلية ، والعلة الكبرى . فان الرشيدية اعتمدت هذه الفلسفة على حساب النظرية الاسلامية التي تجعل الانسان مخلوقا خارج العالم ومرتبطا بالكون ، وبذلك فهو خاضع لتصرف خالقه ، دون السقوط في مقولة قدم العالم وحتمية العلة ... غير ان النظرية الاسلامية لا يمكن استمرار سلامتها دون يقظة عقلية ووجدانية لموقفها المرن بين عقل الفرد ووجدانه حتى لا يكون ارسطاطاليا عقلانيا ، او افلاطونيا يضع الفرد داخل الكون ، اى داخل العقل والمجتمع والطبيعة ، وتغير المستقبل بتغير الفرد ، والعكس كذلك ، بل يقر الوسطية بين العقل واللامعقول ، وما يدرك بالعقل وما يدرك بالايمان ... وبذلك ينسج خيوط المستقبلية في تعادلية بين التفكير والايمان ، وقدرة الانسان واختياراته ، واذا فقد مرونته ، فقد يسقط في الالحاد او التصوف السلبي . ولذلك فان المغاربة اداننوا الرشيدية ، ولم يثقوا في الخلدونية . والنظرية الاسلامية تعتمد دائما على مستقبلية الانسان باعتباره اداة للتطور ... ولكن عدم تقدم العلوم الطبيعية لدى نشأة العلوم الاسلامية ترك الانسان المسلم ينظر الى المستقبلية الاخروية فقط ، ليربط بين عمله الآتي والماضي ، وبين الجزاء الاخروي ، فلو كان عصر ازدهار التفكير الاسلامي يرتكز على المنظور العلمي الجديد في فهم الطبيعة والانسان والعلم ، وعلى منظور التطور التكنولوجي ، لاعطي للمستقبلية الاسلامية دفعا متلاحقا في عمل الانسان المسلم ، ولكن اعتماده على التحليل التشريعي والعقائدي فقط جعل ارتباط المستقبلية الاسلامية ترتبط بقانون الجزاء الاخروي فقط فضعف اهتمام المسلمين بدنياهم على حساب استعدادهم للآخرة ... ان الاسلام دين العمل والفعل ، لا دين الخرافات والكفير عن الخطيئة ، فنظريته استقبالية ، وذلك لطبيعة عقيدته ، واللغة العربية التي جاء بها القرءان هي لغة لا ترى في المستقبل مجرد زمان سيأتي ، بل ترى فيه مستقبل الخلق ، ولذلك فالزمان في النحو العربي هو (فعل الامر) اي الخلق واستمرارية المستقبل ويعبر عنها احيانا بالسين ، واحيانا بتداخل الزمان ، فيكون (الماضي) نفسه) تعبيرا عن المستقبل تشخيصا لصورته الحاضرة كما يقول علماء البلاغة .

الرباط : الحسن السائح

رسالة مفتوحة إلى المسلمين :

ماذا وراء الحملة الشرسة التي تتعرض لها عقائدنا الدينية ؟

للأستاذ محمد العربي الزكاري

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين

اخواني واخواتي اتباع الرسالة المحمدية
سلام الله عليكم ورحمته تعالى وبركاته .

وبعد ، فمن واجب كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، أن يكشف الغطاء ويزيح الستار عما يحيط بالامة الاسلامية من اخطار على عقيدتها ، وما يحاك ضد الاوطان الاسلامية من دسائس لابعادها عن تعاليم دينها الحنيف ، ولهذا آثرت مخاطبتكم برسالة مفتوحة من هذا المنبر الاسلامي الذي اعدته الحكمة الالهية ليكون « دعوة الحق » لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وامنيتي ان تفتح اعيننا على ما يحيط بالساحة الاسلامية من مكائد ، لنقف صفا واحدا وكتلة متراصة ضد هذه الهجمات ، ويقيني ان الله تعالى سيسعفنا بمدده الظاهر والباطن لاحباطها ، ان نحن تمسكنا بحبله المتين ، وتطوعنا للدفاع عن دينه الحنيف « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم ، ولا يحزنك قولهم ، ان العزة لله جميعا ، هو السميع العليم » (1) .

ولا جدال في ان جميع قارات الدنيا تشهد اليوم بعثا جديدا للمسلمين ، وتتقوى صفوفهم بكتائب المومنين الجدد الذين يدخلون في دين الله أفواجا من اروبا وأمريكا وآسيا وافريقيا ، الامر الذي اذهل الصليبية الحاقدة على الاسلام والتي لم يهدأ اوارها منذ أن لقنها أبطال الاسلام أمثال صلاح الدين الايوبي الدرس الذي لم تتفهم ابعاده الا حديثا ، وهو أن المسلمين لا يرضخون للذل والهوان ، ولا يسمح لهم دينهم بالخضوع الا للملك الديان ، المتكفل بعزتهم ونصرتهم وامدادهم ان تعمق الايمان الصحيح في قلوبهم « ولله العزة ولرسوله وللمومنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » (2) .

والحقيقة ان هذه الطفرة في دنيا الاسلام جعلت اعداء عقيدة التوحيد من ملحدين ووثنيين وعبدة التماثيل الحجرية والاصنام البشرية يتحالفون مع الفئات التي تزعم انها من اهل الكتاب ، وحتى مع الشيطان الذي تمرد على الله ، وهكذا كونوا — فيما يظهر — حلفا واحدا لمعاكسة هذا المد الذي ارعبهم، تطلعا منهم الى زعزعة عقيدتنا وتمهيدا للسيطرة على العالم الاسلامي الذي تحرر بعون الله وكفاح المومنين الصادقين ونضالهم من اجل العزة والكرامة والشرف.

و « التكتيك » الجديد في حملة الاغيار يختلف تماما عن الاساليب التي انتهجها الاستعمار القديم في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ؛ فتلك ارتكزت اساسا على التدخل المباشر والمسلح

(1) سورة (يونس 62) .
(2) سورة (المنافقون 81) .

في الغالب ، اما المنهج الحديث فيعتمد على تخطيط دقيق وخبيث يرمي الى نسف العقيدة من الاساس في قلوب المسلمين ، اقتناعا من دهاقنة الصليبية ومن لف لفهم بانه يستحيل استعباد المسلمين واخضاعهم نهائيا ما دامت عقيدة الايمان مشرقة في قلوبهم كما اسلفنا .

ومما يؤكد هذه الخطة الجهنمية أن بعض الدول ـ حسبما ترويه الاخبار الاخيرة ـ اوعزت الى ممثليها واجهزة مخابراتها بتزويدها باحصاءات مفصلة عن البلدان الاسلامية ، وتقارير دقيقة عن الحركات الاسلامية فيها ، والهيئات التي تسير في طليعة المد الاسلامي الجديد ، وهنا لا بد من وضع علامات استفهام طويلة وعريضة ....

ولعلنا في غنى عن الاتيان بدلائل اخرى ، ما دمنا نشاهد شراذم المرتزقة تعمل في جميع الواجهات وعلى كثير من المستويات ، لتشكيك المسلمين في عقائدهم ، وتحاول بكل الوسائل السرية والعلنية تفكيك عرى وحدتنا الدينية تحت شعارات مشبوهة وبأساليب ما أنزل الله بها من سلطان ، وتغتنم كل فرصة لبذر الاحقاد وبث الشقاق بين الاخوة في الله ، وتنتهج طرقا ملتوية لستر دعواتها المشبوهة وتغطية الاطماع التي تنذر بشر مستطير ان لم ينتبه ملوك ورؤساء وقادة وعلماء وجماهير المسلمين لهذا الخطر الاسود ، ويطوقوا فلول هذه الدعوات الضالة المضلة التي يحثنا الله عز وجل للوقوف في وجهها بصرامة في قوله الكريم: « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان، ان كيد الشيطان كان ضعيفا » (3) .

ونحن كمومنين بكتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا نخاف على الاسلام كدين حق ، ولا على دستور الاسلام كوحي صدق ، فقد تعهد القوى العزيز بصيانتهما وحمايتهما وحفظهما في قوله الازلي الخالد : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » (4) .

وكل ما نخشاه هو انحراف المسلمين عن دينهم تحت تاثير الدعوات المضلة ، والنظريات المدسوسة، والافكار الملتوية التي ترمي أولا بالذات لنسف القيم الاسلامية في نفوس جيلنا الكبير وجيلنا الصغير الذي نراه منذ الآن عرضة لهذه التيارات المنحرفة ، وضحية للغفلة التي نحن فيها والتيه الذي نسير في بيدائه ، كان الامر لا يعنينا بالذات ولا يستهدف مستقبلنا كأمة تتحمل اكبر قسط من مسؤولية الحفاظ على الامانة الدينية الكبرى التي في عنقنا .

فأينما توجهنا بابصارنا ، وحيثما ولينا وجوهنا، نجد كتائب التغرير والتحطيم تعمل على المكشوف ، وجحافل التضليل والتهديم تتبنى دعوات تخريب العقول ، وتتزعم نظريات باطلة لنسف بنيان الايمان في قلوب جيلنا الفتي من الاساس ، وقد حذرنا الله تعالى من هذه الطوائف الشيطانية بقوله : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من افواههم ، وما تخفي صدورهم اكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » (5) .

ولنفرض ان هذا التهريج بين الاوساط المسلمة لم يكن موجها من جهة معروفة ومفرضة ، وان هذا الضجيج غير مؤيد بالدعم المالي والسياسي ـ ونكاد نقول العسكري ـ فبماذا نفسر هذا التناسق والانسجام في الخطة والاسلوب والعمل والهدف ، بالاضافة الى الانطلاق من منبع واحد هو تشكيك المسلمين في عقيدتهم اولا ، ثم بعثرة جهودهم وامكانياتهم وثرواتهم بخلق كيانات مزورة هزيلة من شانها ان تضعف قدرات الدول الاسلامية حتى لا تقوى على الصمود في وجه الغزو الخارجي المنتظر، والذي فاحت رائحته في التلويح باستعمال القوة الحربية في دنيا الاسلام . وفي تصديري أن التفسير الوحيد والفريد لهذه الاحداث مجتمعة ومتفرقة هو ان المسلمين عرضة لمؤامرات خطيرة ، وخطيرة جدا، ولا يتبادر الى اذهاننا ونحن نشاهد على الساحة تحركات سوداء ، ونسمع صدى التهديد كرد فعل للمد الاسلامي ياتينا من بقاع نائية ، الا أن القوم حزموا امرهم للوقوف في وجه الاسلام بكل امكانياتهم

(3) سورة (النساء الآية 76) .
(4) سورة (الحجر الآية 9)
(5) سورة (آل عمران الآية 118) .

المالية وتقلهم الفكري ، تمهيدا للانقضاض على المسلمين بقواتهم العسكرية ، ولكننا بفضل ايماننا بالله نتحدى قوى الظالمين ، ونجابههم بقدرة الله القاهرة وسطوته الباهرة « وكأي من قرية امليت لها وهي ظالمة ، ثم اخذتها ، والي المصير » (6) .

وفي اعتقادنا أن كل بلد اسلامي يعاني من هذه الظاهرة المفجعة ، ويتعرض لهذا الغزو الفكري المنظم ، وان المجتمعات الاسلامية محاطة بشرذمة من النفعيين والوصوليين فمن خدعهم الشيطان وغرهم زخرف الدنيا ، وكمثال فقط على هذه الاوضاع ما يعانيه المسلمون في فلسطين المغتصبة ، ولبنان الممزق ، والقرن الافريقي المنكوب ، وغيره من الواجهات التي تتعرض لاحداث مرعبة ، الا أننا في هذا الجناح الغربي من عالمنا الاسلامي نتحمل أكبر قسط من هذا الوباء ، ونتعرض لاخطر مخطط صليبي ظهرت جرائيمه ونذره في أشكال متنوعة يصعب عرضها بتفصيل في رسالة واحدة . ذلك ان المغرب البلد المسلم الذي أعطى المئات من الدلائل على انه في طليعة البلدان الاسلامية الملتزمة علنا بالدفاع عن حوزة الاسلام ، وبرهن ابناءه في شتى المناسبات على انهم لا يبخلون بدمائهم في ساحات الجهاد المقدس ، عرض ويعرض لكثير من المؤامرات والمضايقات والدسائس والمناورات ، ولكنه يتحمل كل هذه المكايد بصبر المسلم واحتساب المومن ، ويعتبر نفسه قلعة صامدة من قلاع الاسلام ، وحصنا منيعا من حصون الدعوة الى الله ، ولا يتأخر عن الاضطلاع بهذه الرسالة النبيلة التي يباركها الله تعالى من فوق سبع سماوات ، ويخطىء الحساب كل من يصور له خياله المريض ان هجمات الاغيار وتهريج المهرجين سيعرقل مسيرته الاسلامية ، أو يحد من نشاطه في سبيل الدفاع عن اسلامه وكيانه ووحدته.

وكمسلمين صادقين لا نأسف لشيء ، اسفنا لان يكون بعض المسلمين مطايا لاعداء الاسلام حيث سمحت لهم نفوسهم عن وعي أو تغرير بالتحرك كالدمى بخيوط رقيقة من بعيد ...... وصدق الله العظيم « ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ، اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ، لهم في الدنيا خزي ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (7) .

والحقيقة التي لا ينبغي ان تغيب عن أذهان المسلمين وهم عرضة لهذه التيارات المنحرفة أن ذلك انما هو اختبار من الله لصدق ايماننا ، وامتحان لنا على الصمود والتحدي « ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ويعلم الصابرين » (8) .

هذا أيها الاخ المسلم والاخت المسلمة هو الوضع الحقيقي لدنيا الاسلام اليوم ، وهو وضع قاتم ولا شك ، ومع ذلك فالمسلمون غير متشائمين مطلقا ، فما بعد الشدة الا الفرج ، وان مع العسر يسرا ، وما علينا الا أن نفتح ابصارنا وبصائرنا على ما يدور بيننا ومن حولنا ، وقبل كل شيء وبعد كل شيء علينا أن نجدد بيعتنا لله ورسوله ، فبها وحدها نحبط كل المؤامرات ، وهي السبيل لجمع الشمل وتوحيد الصف في وجه التحديات ، ولدى المسلمين ولله الحمد الامكانيات المادية ، ويتوفرون على رصيد هائل من الطاقة البشرية ، ويوجدون في مراكز جغرافية واستراتيجية ممتازة ، ومليار مسلم فيه من الادمغة الرفيعة التكوين ما تستطيع ان تقود السفينة بسلام .

وبالاضافة الى هذه الارصدة الضخمة والطاقات الكبرى ، هناك القوة القاهرة فوق كل قوة ، وهي قوة وقدرة الله التي تقهر كل جبار عتيد ، فعليها نعتمد أولا لمساندتنا في معركتنا بين التوحيد والالحاد ، والحق والباطل ، وكما نصر الله تعالى جنود الاسلام في معركة بدر الكبرى فهو المسؤول ان يشد أزرنا ببركة شهر رمضان المعظم الذي كان ظرفا لهذه المعركة التي وضعت حدا للشرك والمشركين في عهد رسولنا الاعظم ، وقدوتنا الاكرم ، عليه الصلاة والسلام ، « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

صدق الله العظيم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المسلمون والمسلمات في دنيا الاسلام .

وحرر بتطوان في فاتح رمضان المعظم عام 1399

محمد العربي الزكاري

---

(6) سورة (الحج الآية 48) .
(7) سورة (المائدة الآية 41) .
(8) سورة (آل عمران الآية 142) .

سد المخازن

للشاعر الأستاذ محمد الحلوي

الشعب زغرد يوم فاض الوادي … بالخصب والبركات والاسعاد
ضاقت جوانحه عن السر الذي … اخفى روائعه مدى الاماد
حتى تفجر فى الجداول رحمة … موصولة النفحات والامداد
واستقبلته الارض واهتزت له … وتبرجت فى موشي الابراد
نسيت به ما مر من اعمارها … فكأنها فى ساعة الميلاد
هذي السهول الجرد سوف يحيلها … خضر الحقول ندية الاعواد
كانت مواتا تنعق الغربان فى … ارجائها فكأنها من عاد
ستردد الاطيار فى عرصاتها … لحنا طروبا رائع الانشاد
سيدب كالتيار فى شريانها … ويعدها للخلق والايجاد
لا شيء أثمن فى الحياة كقطرة … من مائها تشفي صدى الاكباد !

* * *

اخواننا ذاقوا هنا الم الطوى … والبؤس وانصهروا من الاجهاد
والماء حول خيامهم فى رحلة … عشواء تحرمهم من الايراد
والياس يعتصر القلوب فتشتهي … لو انها انفصلت عن الاجساد
بالامس فاخرت الجبال بطاحها … وسهولها الجرداء حول الوادي
واليوم ترقب ما يفيض على الثرى … فتود لو زحفت الى الوراد !
وغدت سهولا لا يتوج هامها … ثلج يقيم بها الى ميعاد

حسب الرواسي ان ترجع فى الصدى … اصداء ناي فى الجداول شادي

الفرحة الخضراء تغمر اوجها … بالامس كانت فى خمار حداد

خرجت صبايا الحي فى زغرودة … عذراء ترقص فى الربى والنادي

يملأن بالماء الجرار فتمتلي … ببشائر الاعراس والاعياد

وتحامل الشيخ المكب على العصا … ليرى الحياة تمس كل جماد !

* * *

لم يجر ماء فى الحقول وانما … ينساب فى الارواح والاجساد

فكأن ما ضم الثرى من اعظم … وانساب فيه من دم الاجداد

قد فجرته يد الطبيعة كوثرا … يهب الحياة لصانعي الامجاد !

هو من دم الشهداء الا انه … دين يثقل كاهل الاحفاد

سيظل معلمة وذكرى أمة … دحرت جحافلها قوى الاوغاد

آمنت بالعلم الذي انكشفت به … ظلم الحياة وكان نعم الهادي

وبشعب مغربي العظيم وخوضه … لجج الملاحم فى تحد بادي

يجري وراء مليكه فى وحدة … وطنية الاهداف والابعاد

* * *

اكبرت فيه سواعدا مفتولة … ضمنت لنهضتنا اعز عماد

فى بذلة العمال الا انها … بابائها فى عزة الاساد !

سالت ذكاء على سواد وجوههم … ذهبا يبشر بالثراء بلادي

ابصرتهم بين المعاول سجدا … فوددت لو انى من السجاد !

راعت وفود الزائرين خلائق … فى ساحة الوادي بلا تعداد

ورأوا خياما كالصوامع فى الربى … ملء الفضاء وثيقة الاوتاد

ومشاعرا فاضت على جنباتها … كالموج حول الشط فى ازباد

فتذكروا يوم الملوك وزحفنا … وثباتنا فى الحرب كالاطواد

ضاقت بجيشهم مجالات اللقا … فرأوا نجاتهم عناق الوادي !

* * *

يا حامي القدس الذي عبثت به … ايدي البغاة ودولة الاحقاد

اقسمت فى الملأ العظيم واقسموا … والله فوقكم مع الاشهاد

ان سوف نسجد فى مصلى قدسنا   ونفكه من قبضة الجلاد

لا حج قبل القدس حتى يفتدى   منهم ولا قدس بدون جهاد !

فابعث صلاح الدين عبر مسيرة   وانهض اليها طارق ابن زياد

واعد لنا أيام عزة يعرب   وفخارها يا مبدع الامجاد

قدها بعزم لا يلين وهمة   طماحة وبفكرك الوقاد

واحرس بأسدك فى الوغى صحراءنا   واطرد ذئاب الغدر والافساد

واضرب على ايدي العتاة بقوة   واحم العقيدة من هوى الالحاد

واسلم لتخترق السنين وتعتلى   وسر من عيد الى أعياد

تطوان : محمد الحلوي

المفكر الإسلامي الكبير
أبو الأعلى المودودي
في ذمة الله

● رزىء العالم الاسلامي ، وأوساط الفكر والدعـــوة والثقافــة الاسلامية ، بوفاة المفكر الاسلامي الكبير ، المجدد المجتهد ، الامام أبي الأعلى المودودي ، مؤسس « الجماعة الاسلامية » في شبـــه الجزيـــرة الهندية وباكستان ، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته .

ولقد كان الفقيد الكبير رائدا عظيما من رواد الحركة الاسلاميـــة ، ومربيا جليلا ارتبط اسمه بالنهضة الاسلامية ، فصار علما عليها ، وعنوانا لنجاحها وتفوقها واستمرارها على طريق الحق والهداية .

نشأ على يديه أجيال من المفكرين والدعاة والعلماء والكتاب والمربين ورجال الاصلاح والتوجيه والبناء الاجتماعي والسياسي المنضبـــط في البلاد الهندية ــ منطلق دعوته ــ وعلى أرض باكستان .

وأبو الأعلى المودودي من كبار مجددي الاسلام في العصر الحديث، ويعتبر بحق امتدادا لعظماء الفكر الاسلامي ، وجهابذة الدعوة والاجتهاد والتجديـــــد .

وقد خلف الفقيد العزيز عشرات المؤلفات القيمة باللغتين العربية والأردية في التفسير ، وفقه الدعوة ، والدراسات الاقتصادية والاجتماعية، والحضارة ، والتاريخ ، عالج فيها بعقلية متفتحة ، ومنهجية واضحـــة ، وأسلوب علمي متزن ، أهم الموضوعات الفكرية والسياسية والمذهبية المطروحة في ساحة الفكر العالمي ، وهي تشكل في مجموعها مكتبـــة حافلة ، وتراثا ضخما ، يشهد لصاحبه بعلو مكانته ، وسمو شخصيته ، وغزارة مادته ، وعمق ثقافته ، وحصافة عقله ، وصواب آرائه وأفكـــاره واجتهاداته ومآخذه ومقترحاته وحلوله .

و « دعوة الحق » التي كان لها شرف نشر عدد كبير من مقـــالات وابحاث ابي الأعلى المودودي مترجمةعن الاردية ، تتقدم بأحر التعازي الى أسرة الفقيد ، وعائلته الكبيرة ، « والجماعة الاسلاميـــة » في الهنـــد وباكستان ، والى مريديه ، وتلامذته ، ومحبيه في مختلف أنحاء العالـــم الاسلامي ، سائلة الله جل وعلا أن يمطره بشآبيب رحمته ، ويجزل لـــه الثواب جزاء ما قدم للاسلام والمسلمين من سابق الخدمـــات وعظيـــم المنجـــــزات .

وبهذه المناسبة وجه وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور احمد رمزي ، برقية تعزية الى السيد محمود هارون وزيـــر الداخليـــة والشؤون الدينية وشؤون الاقليات بالجمهورية الاسلامية الباكستانية .

ومما نسجله باعتزاز أن الفقيد سبق له أن شرف بالمثول بين يدي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بمناسبة انعقاد المؤتمر التأسيسي لجمعية الجامعات الاسلامية بفاس سنة 1969 ، حيث كانت مناسبة عبر فيها الفقيد الكبير عن عظيم تقديره لشخص وجهود جلالته المتواصلة في نصرة قضايا الاسلام والمسلمين .

وتقديرا للجهود التي بذلها هذا المفكر في اثراء الفكر الاسلامـــي ، وتمتينا لأواصر الاخوة بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، فقد قررت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اقامة حفل تأبيني بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته .

والوزارة تهيب بالعلماء ورجالات الفكر والثقافة وجميع المهتمين بقضايا الدعوة الاسلامية ان يوافوها بانتاجهم الفكـــري والادبي الـــذي سيساهمون به في هذه الذكـــرى وذلـــك الى العنـــوان الآتـــي : وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المشور السعيد ـ تأبين ابي الأعلى المـــــودودي ـ الربـــاط .

ملامح من حياة الفقيه المؤرخ

محمد بن أحمد العبدي الكانوني

(1311 هـ — 1357 هـ) (1893 م — 1938 م)

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

— 2 —

قد اشرنا في المقال السابق الى المنطلق الذي كان سببا في كتابة هذا البحث وقلنا انه راجع الى حلقة من حلقاتنا الاذاعية التي خصصناهـــا لذكـــر وثيقتين اقتبسناهما من كتاب آسفي وما اليه تتعلقان بمغربة الصحراء وباخوة البربر والعرب .

ولعله من المفيد ان نبدا الطريق جميعا وان نسجل للتاريخ تلك الحلقة باسلوبها وشكلها ومحتواها لتكون مدخلا آخر الى ما نحن بصدده .

قلـــت آنـــذاك :

« لســت ادري اي دافع خفي جعلني اجــدد مطالعة بعض الكتب التي كنت قراتها منذ سنوات عديدة وحفزني الى البحث عنها داخـــل خزانتـــي الامتع نفسي بأساليبها وافيد عقلي بمضامينها ؟

ام يرجع ذلك الى محاولة استرجاع الماضي بذكرياته فأعيش لحظات مع تلك الكتب لأستعيد أيام طفولتي وقسطا من ايام شبابي ؟

ام يعود ذلك الى محاولة اختبـــار نفســـي وامتحانها لأعرف مدى انسجامي مع المقروءات في الخمسينات من عمري اذا قارنتها بما سبق ؟

ام انني يربطني الحنين الى موضوعات معينة لم تكن نفسي قد اطمأنت اليها آنذاك فاردت أن استشف منها الآن ما لم يتيسر لي فهمه قديما ؟

قد تكون تلك العلل جميعها قائمـــة في نفسي ومتحكمة في سلوكي وانا لا ادري . وقد تكون هناك اسباب اخرى دفينة في اعماقي لا أحسن تعليلها ولا استطيع ابرازها .

المهم هو انني اجدني في هاته الايام الاخيرة منكبا على كتاب كنت قراته منذ ثلاثين سنة ، انـــه الكتاب الموسوم بآسفي وما اليه قديما وحديـــثا ، تأليف الاديب المؤرخ السيد محمد بن أحمد العبدي الكانونـــي .

لقد طبع هذا الكتاب بمصر سنة 1353 هـ بعـــد سنة واحدة من اتمام تأليفه ، وان المتأمـــل فيـــه سيشعر انه امام بحث دقيق اعتمد فيه مؤلفـــه على منهجية في البحث وعلى استقصاء المصادر الكبرى وسيلاحظ انه استعمل من الاساليب أقواها ومـــن التعابير احلاها .

ان مؤلف هذا الكتاب على ما يظهر لا يعد مـــن المؤرخين الذين ينقلون فقط بل انه يضيف من حين لآخر بعض الملاحظات الخاصة التي تجعله يبـــدي آراءه بكل صراحة وبلا تحفظ سواء في الموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية او الموضوعات الاخلاقية والدينيـــة .

وهو حينما كان يتحدث كان يحاول أن يبني اقواله على اساس منطقي متناسق مع اتجاهه الفكري والديني والادبي فلا تقرأ الكتاب وتنتهي منه الا وانت شاعر بان هذا الذي يكتب ليس امعة فى اقواله واحكامه ولكنه يراعي ظروف الحال ويقارن بين واقع المغرب وبين ماضيه وتطلعاته ويقدم للقارىء موازنات بين هذا الماضي الرائع وبين الحاضر المعيش وبين ما ينبغي تحقيقه فى المستقبل القريب فهو ليس من المؤرخين الذين ليس لهم من التاليف الا الجمع والاخبار ولكنه يدخل فى عداد أولئك الذين يسجلون التاريخ ثم يستنتجون منه الاحكام ويرجحون ما يرونه منسجما مع الحقيقة ترجيحا عقليا او وثائقيا ليلا يكون البحث خطابيا فاقدا للميزة العلمية الكبرى التي تطبع عادة كل بحث علمي دقيق .

واني ربما سأتعرض من حين لآخر الى نقط أثارها هذا المؤلف لما فى ذلك من الفوائد الجمة التي تعود على البلاد المغربية بالخير وعلى تاريخ امتنا بالاستحسان .

اما اليوم فاني ساخصص حديثي لنقطتين فقط جعلهما السيد الكانوني داخل التمهيد الذي وضعه لكتابه .

أما النقطة الاولى فتتعلق بالصحراء المغربية ، واما الثانية فتتعلق بنسب الامة البربرية .

النقطة الاولى اثبت فيها ان صحراء المغرب تعد منه واليه فهو حينما كان يتحدث عن حدود المغرب قال : « ويحده شرقا قطر الجزائر وغربا المحيط الاطلانطيقي وشمالا البحر الابيض المتوسط وجنوبا الصحراء الكبرى » ، ثم قال « وعلى هذا الحد من هذه الجهة مشى البعض من المؤرخين والجغرافيين . والذي حققه احمد الامين واقام عليه الادلة فى كتابه الوسيط فى ادباء شنجيط أن الصحراء التي هي قطر شنجيط معدودة من المغرب » . ثم قال : « وهذا هو الحقيقة فقد كان هذا القطر الصحراوي معدودا من المغرب سياسيا وجغرافيا واقتصاديا ، وكانت دول المغرب فى ابان عظمتها تضم اليها الصحراء كالدولة اللمتونية والمرينية فى ايام ابي الحسن ، والسعدية فى أيام احمد المنصور ، والعلوية فى ايام المولى اسماعيل ، كلهم كانت الصحراء فى حكمهم اما فعلا أو اسما » .

وان مثل هذا الحكم وهو يصدر فى كتاب مغربي ايام الحماية الفرنسية ليدل على أن صاحبه لم يكن يبالي بما سيتعرض له من معارضة الدول الاستعمارية لانه لم يكن يتحدث فيه بأسلوب المعارضة السياسية وانما كان يتحدث بأسلوب الاستقراء العلمي الذي كان الاروبيون يرضونه ويتأملونه ويعتبرونه منهاجا صالحا لبيان الحقائق .

وهذا الاساس الذي بنى عليه أحمد الامين صاحب الوسيط والعبدي الكانوني صاحب الكتاب حكمهما هو الاساس الذي اعتبرته محكمة العدل الدولية بلاهاي منطلقا لاصدار قرارها بمغربية الصحراء .

اما النقطة الثانية وهي ذات اهمية كبرى فى تاريخنا المغربي فانها تتعلق بنسب البربر وعلاقة هذا النسب بالجنس العربي ، فقد ذكر ان علماء النسب اتفقوا على ان أمة البربر يجمعها أصلان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس بالابتر فيقال لشعبه البتر ، ويقال لشعب برنس البرانس واعتمد على مصادر تاريخية عامة تثبت أن البتر عرب من الشام وان البرانس يتكون بعضها من قبائل ذات أصول عربية ، ويعني بذلك قبيلتي صنهاجة وكتامة فان النسابين العامين يرجعونهم الى حمير ، ثم قال بعد ذلك : « فان قيل ان ابن حزم قد انتقد كون صنهاجة وكتامة من حمير كما انتقد دخول افريقش اليمني المغرب نقول أن انكاره نسبتهم الحميرية محجوج فيه بالرأي العام من المؤرخين والنسابين الذين صرحوا بنسبتهم الى عرب اليمن مثل الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وقال ابن خلدون انه المشهور عند نسابة العرب » .

وتحريا من هذا المؤلف لم يرد أن يأخذ قول ابن خلدون دون ان يذكر انه كان له رأي آخر في المقدمة ولهذا قال عند حديثه عن دخول افريقش : « ثم ان ابن خلدون على الرغم من كونه تبع ابن حزم وبسط نظرية عدم دخوله المغرب فى المقدمة فانه صرح فى التاريخ بدخوله اياه وانه ترك به صنهاجة وكتامة » .

وبعد الاستدلال ببعض الآثار الدالة على وجود الخط الحميري ببعض مدن افريقيا الشمالية والتي

استانس بها المؤلف لاثبات رايه ذكر الخلاصة التي اراد ان يصل اليها بحثه فقال :

« خلاصة ما بسطناه ان الامة المغربية جلهـا عرب ما بين عدنانية وقحطانية لان البتر الذين هـم احد قسمي البربر من عرب مصر . وصنهاجة وكتامة في عداد البرانس وهما من الكثرة وبالمكانة السابقة من عرب قحطان . هذا قبل الاسلام . امـا بعـد الاسلام فقد امته موجات عديدة من العـرب وقـد قدرت موجة الهلاليين وحلفائهم مما يربو على مليون نسمة فكيف بغيرها فغمرت قبائل العرب السامية قبائل البربر الحامية بحيث صارت الثانية اقليـة ضئيلة وامتزجت الجنسيتان امتزاجا عربيا من قديم الازمان وعاشا متحدي العوائد والاخلاق والازيـاء وتاثر كل فريق بالآخر وصارا امة واحدة لها وحدتها ومميزاتها وسياستها بين الامم والشعوب » .

ان هذا الموضوع رغم انه لم يعد الآن موضوع نقاش نظرا لشعورنا بالوحدة الوطنيـة ونظـرا لان المصلحة الوطنية الكبرى تقتضي عدم اشاعته اتقاء للفتن وابعادا للضغائن ومحوا لكل الدسائس التي يمكنها ان تتسرب الى الضعفاء والمغفلين فانه في ايام تاليف الكتاب كان ضروريا لانه جاء عقب اعـلان الظهيـر البربري وجاء مساندة علمية للمواقف الوطنية التي تجلت في المغرب سواء في المدن والبوادي او في الاقاليم التي ادخلتها فرنسا تحت حكـم الظهيـر البربري او التي فصلتها عنه .

ولهذا ما يزال الكتاب في بابه العلمي كتابـا قيما ، ولقد اعتمد على مصادر موثوق بهـا وعلى منهجية عقلية يستطيع من يطلـع عليهـا ان يعود بالحقيقة الى جذورها وان ينسف كل ما يعتمد عليه اعداؤنا في التفرقة بيننا .

فالوحدة شعار ديني وشعار وطني وهي شعار علمي ايضا وما اعظم العقائد حينما لا تصطدم مـع الابحاث العلمية ومع الاستنتاجات العقلية والحسية واني لاتمنى أن تتاح لنا الفرصة مرة اخرى للحديث عن بعض القضايا التي اثارها هذا الكتاب الملـيء بالنصوص التاريخية وبالآراء الذاتية التي تعقب على تلك النصوص ، فالى ذلك الحين » .

حقيقة انني كنت اتوقع ان اعيد النظـر في الكتاب وان اختار منه بعض المواقف التي تتجلى فيها عبقرية المؤلف فادرسها واعلق عليها واجعلها امـام القراء والمستمعين ليطلعوا على ظاهرة وطنية تتجلى في بعض الكتب المغربية ، وتمثل نوعا من المؤلفين الاحـرار .

وما كان يدور في خلدي ان الامر سيتعدى ذلك الى تخصيص بحث كامل عن حياة الكانوني وعن دوره الثقافي في البلاد لولا ما توصلت اليه من رسائـل حفزتني الى البحث او ساعدتنـي على استكشاف بعـض جوانبـه .

ومن الرسائل الحافزة رسالة حفيدته من احدى بناته وهي السيدة امينة غطاس التي سبقت الاشارة اليها في مقال سابق قالت : « اتوجه بالكـلام الى السيد المحترم المشرف على برنامج شاهد اثبات وانني من المعجبات بهذا البرنامج المفيد بحيـث استرعى انتباهي في الحلقة (التالية) تعني الحلقة الاخيرة التي اذيعت يوم 24 نونبر 1978 ذكركـم لجدي المرحوم العلامة الكبير السيد محمد العبدي الكانوني ... وبما انني احدى حفيداته فقد همنـي جدا ان ابعث لكم خطاب شكر وامتنـان على مـا تبذلونه من جهد في سبيل احياء ماضي تاريخ المغرب ومؤرخيه الاوائل ... فالف شكر مرة اخرى بحيث استفدت بعض الشيء من حلقتكم هاته وكم تمنيت لو يطول الشرح والحديث عن مطبوعاتـه لانـي وبا للاسف لم اقرا له ولو حرفا واحدا كما اني لـم ار جدي قط .. فقد سمعت عنه من خلال والدتي والتي هي احدى بناته ، بحيث اعطتني نظرة خاطفة عنه لانها هي الاخرى لم تتـرب في عـزه طويـلا فسرعان ما رحل عنها الى العالم الآخر .. هذا كل ما اعرفه عن العلامة المرحوم وكل ما ارجو منكم ايهـا السيد الكريم المشرف على هذا البرنامج هو اعطاؤكم اياي نبذة عن حياته الادبية وعن مطبوعاته التاريخية والتي تحمل تاريخا حافلا بالامجاد ... »

ولم تضع رسالتها عبر الاثير فقد تلقفها احـد المستمعين وهو السيد عبد الرحمان ابن الشيـخ (الحفيد) من آسفي فاثارت ذكريات دفينـة فـي اعماقه تربطه بهذا العالم الجليل ورسم لنـا صورة اولية لحقيقة هذا المؤرخ العبقري الفقيه السلفـي

ومكننا من الملامح الاولى التي فصل الحديث عنها في رسائل اخرى تعد من اهم الوثائق التي يمكن للباحثين ان يجعلوها مستندات يرجع اليها في تدوين حياة الكانوني رحمه الله . قال في هاته الرسالة :

سيدي: الرجاء منكم ان تعتبروا رسالتي هاته شكرا لكم ، وبعد فانني للمرة الرابعة احمل القلم واحاول كتابة كلمة اداوي بها ما بقلب حفيدة الفقيه الكانوني التي ترغب في احياء مآثر جدها الذي زود المكتبة المغربية ببعض ما هي في حاجة الى المزيد منه .

نعم سيدي صاحب شاهد اثبات . اي والله انها المرة الرابعة التي احمل فيها القلم لاكتب كلمة اعبر فيها عن نفس الرغبة التي عبرت عنها حفيدة الكانوني نزيلة مدينة العلم والعلماء فيرتج على المكان واصاب بضوضاء واختلاط الافكار ولم ادر من اين ابتدي والى اي حد منه انتهي فكان روح الكاتب الفقيه الكانوني تشاركني المكان وتشاطرني الاهتمام بتلك الفتاة التي شاءت عناية الله ان تجد وهي بعيدة عن مسقط جدها الكاتب الخطيب الذي كان يعمل بجد وفي صمت للاجيال المقبلة ولا يطلب اجرا على اعماله الجليلة انه سيكافأ عليها من الله الذي لا يضيع اجر من احسن عملا وانما تجد وهي غريبة الدار بفاس من يسمعها بعض امجاد ذلك الجد الذي كان رحمه الله تنطبق عليه الآية التي تقول : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

فشكرا لك سيدي على هاته العناية التي تثلج قلوب العاملين وقلوب من لهم من ابناء وحفدة .

أما الاخت حفيدة الكانوني فاني أخبرها ان مدينة آسفي لم تنس ولم تهمل ما كتبه الفقيه ولن تنسى كذلك حتى أفكاره وخطبه التي هي راسخة ومدونة في كل ذاكرة ومسجلة في ادمغة رفاق جدها . هؤلاء الذين رافقوه في حله وترحاله وشاركوه مرارة منفاه وتجرعوا كأس فراقه يوم موته ويوم احياء ذكرى الاربعين على وفاته .

والآن وهم كثر يحيون ذكراه ويسترجعون ماضيه الحافل خصوصا بعد ما سمعوا من يستشهد بكتبه ويجعلها شاهد اثبات على مغربة الصحراء التي لا تحتاج الى اثبات .

ورجائي منكم سيدي ان تطمئن حفيدة الكاتب الخطيب الذي كان رحمه الله يعرف كيف يمتلك الآذان ويملك الاسماع يوم كان خطيبا بمسجد الشيخ ابي محمد صالح . طمئنها واخبرها بان بيوتات مدينة آسفي كلها تلوح لها بمفاتيح هذه البيوتات لان هاته المدينة تعتبر الفقيه الكانوني من الاوائل الذين احيوا الروح السلفية ودافعوا عنها بقوة وايمان والسلام عليكم » .

ان هاته الرسالة لتعبير صادق عن الاحساس الذي احسسنا بمثله نحن ايضا ازاء هذا العلامة القدير الذي كانت تبدو عليه آثار الجدية والحزم في العمل وطلب العلم .

وفيها اشعار بالمواقف الوطنية والدينية التي ادت الى نفي الاستاذ رحمه الله والتي سنجد ذكر اسبابها في مقالات اخرى حينما سنتحدث عن وقوف الفقيه الكانوني في وجه الجامدين من الفقهاء والمتخاذلين من المواطنين .

ومن الواضح ان الصدق كان شعارا لما يكتبه العلامة الكانوني وان الالتزام صورة حقيقية تتجلى في اسلوبه وسلوكه ، ونجد الآن من يعترف بذلك ممن عاشوا معه في بلده أو سمعوا عنه في اقليمه ويكفيه فخرا هاته النعوت التي وصفه بها هذا الكاتب الذي كتب الرسالة الينا فهو يقول عنه ان الكاتب والخطيب والواعي الذي احيا روح السلفية في بلادنا وهي اوصاف لم تمنح له جزافا لان آثارها تبدو في كتاباته ولان ملامحها تتجلى في أسلوبه الحي الرصين .

وصاحب الرسالة هاته قد عبر تعبيرا اندفاعيا اراد أن يظهر فيه لحفيدة السيد الكانوني ولاسرته ان آسفي لن تنسى ابدا موقف هذا العالم الجليل الذي احيا الروح العلمية وسامح من اجل مبادئه المثلى الصالحة .

وان أمثال هذه الرسائل لتشجع الروح العلمية البناءة وتخلق إتجاها فكريا يحمي الروحيات من الضياع ويقوي الاهتمام العلمي ويحبب للناس روح

الاخلاص ، فلا يسيطر اليأس على العاملين ولا يستولي الخمول على المنكبين على اقرار المبادىء الصالحة لانهم يتيقنون ان ستكون أعمالهم خالدة وانها ستجد في مستقبل السنين من يبعثها بعد ركودها ، ومن يذكيها بعض خمودها ، فالحق ذائع والباطل زائل ، وما أضيع العمر اذا لم يكتب له الخلود عن طريق العلم والفضل والصلاح .

انها الصفات التي نحن في حاجة اليها في هذا العصر لتزاحم ما ذاع من أسباب الوجود المادي وليحس الانسان بأنه لن يهمل ابدا اذا كان نشاطه مرتبطا بالعلم ومتصلا بالاخلاق ومتوجها الى الاصلاح الاجتماعي والى التهذيب النفسي .

وبناء على هاته الحقيقة يمكننا ان نقول لحفيدة هذا العالم : انك قد كنت سبب خير حينما سألت عن جدك وعما خلفه من آثار علمية فاطمئني من الآن واعلمي أن المغاربة قد اشتهروا بالوفاء والحرص على احياء معالم الخير ، وثقي ان الجيل الحاضر قد يوجد منه من يحيي كتب جدك ومن ينشرها لتدرس دراسة موضوعية وليقارن بينها وبين غيرها وليرى منها ما زال صالحا الى الآن وما لم يزل نظرا لتغير البواعث وتطور الاحوال . فليس من العار ان ننقد بعض مخلفاتنا انما العار هو تركها في مجال النسيان والاهمال والضياع .

ومن الواضح الذي لا يحتاج الى دليل أن بعض النظريات قد تتطور بواعثها واسبابها فتكون صالحة في حقبة غير صالحة في غيرها وليس في ذلك ضرر على الفكر ولا على مخلفات العلماء . أنما المهم هو ربط الصدق في الاقوال حين الكتابة بين الكاتب وما كتب ، اما التطور فهو صفة حركية لا ينكرها الا جاحدا وجامدا .

ولهذا سنرى حين دراسة كتب الكانوني انه كان يمتاز بهذه الصفة الصادقة ، ولكن ليس معنى هذا أن جميع آرائه الاجتماعية والفكرية ما زالت الى الآن صورة تمثل الروح الاجتماعية التي نحياها . وقد نتعرض لبعضها حين ذكر كتبه وعند تحليلها او عند دراسة حياته ومواقفه الاجتماعية ان شاء الله .

وحيث ان الذي كتب هاته الرسالة تعرض لبعض الجزئيات المتعلقة بحياة الكانوني فقد التمسنا منه في احدى حلقاتنا ان يزودنا ببعض المعلومات التي قد تساعدنا على كتابة لمحات من حياة هذا الكاتب القدير فاستجاب لذلك مشكورا وسنوافي القراء في مقالاتنا المقبلة ببعض هاته الرسائل المفيدة التي يجب ان تبقى ضمن الوثائق القيمة التي تهتم بالتاريخ المغربي وبذكر رجالاته .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ



مصطفى صادق الرافعي

نظرات في مواقفه تحت راية الاسلام

2

للأستاذ عبد الرحمن الزياني

ولئن كانت الاعراف تقتضي من الموظفين الاسراع بتهنئة الرؤساء المباشرين لدى تعيينهم ، فان الرافعي قد خرق هذا العرف ولم يتقيد بـه ، بحيث كان الرئيس الجديد متى فرغ من تقبل التهاني من موظفي المحكمة ينزل بنفسه الى مكتب الرافعي، فيتبادلان التهاني ، ثم يرد الرافعي الزيارة بعد ذلك..

وما كان كل الرؤساء على شاكلة واحدة ، بل كان منهم من لا يتحمل هذا التمرد ، ويعتبره اهانة يستحق مرتكبها الطرد من العمل .. « فقد حدث فى احدى المرات أن عين رئيس جديد للمحكمة ، ولما صعد اليه الموظفون لتهنئته لم يجد من بينهم الرافعي ، فلما سأل عنه تحدث بعض الموظفين فى شأنه ما تحدثوا ، فاستاء الرئيس وارسل يدعوه اليه فلم يجده الرسول فى مكتبه ، فغضب الرئيس وثارت ثائرته ، وأمر باستجوابه عن الاستهانة بنظام المحكمة ومواعيد العمل الرسمي ، وجاء الرافعي ، فبلغه ما كان ، فهز منكبه وجلس الى مكتبه يمزح ويتحدث على عادته كأن لم يحدث شيء ... ورفع الرئيس كتابا الى وزارة العدل يبلغها فيه ان فى المحكمة كاتبا اطرش لا يحسن التفاهم مع أصحاب المصالح ، على شدة اتصاله بالجمهور ، وهو مع ذلك كثير التهاون بنظام المحكمة ، ومواعيد العمل ، ولا يخضع للراي.. وطلب الرئيس فى آخر كتابه اقالة الرافعي من الخدمة ... » .

طرحت القضية على الوزارة فارسلت مفتشا للتحقيق فيها ، وكان المفتش المنتدب لذلك هو الشاعر المرح المرحوم حفني ناصيف الذي لم تكن بينه وبين الرافعي من الوشائج الا وشيجة الادب ، الذي يجمع بينهما ، والا كلمة قاسية كان الرافعي قد نشرها سنة 1905 بمجلة الثريا عن شعراء العصر، صنف فيها الشعراء الى طبقات ، وجعل فيها حفني ذيل الطبقة الاخيرة .. !

« وجاء حفني فحيا وجلس وبسط أوراقه ليحقق ... فقال له الرافعي : قل لهم فى الوزارة ان كانت وظيفتي هنا للعمل فليؤاخذوني بالتقصير والخطا فيما يسند الي من عمل ، وان كانت الوظيفة تعال فى الساعة الثامنة واجلس على الكرسي كأنك مشدود اليد بحبل حتى يحين موعد الانصراف ، فلا علي ان تمردت على هذا التعبد ، قل لهم : انكم لا تملكون من الرافعي الا هاتين الاصبعين ساعة من النهار .. ! »

« واستمع الاديب الشاعر الى حجة الاديب الشاعر ، ثم طوى أوراقه وحيا صاحبه ومضى ، فلما كان بخلوته كتب تقريرا الى وزارة العدل يقول فيه :

« ان الرافعي ليس من طبقة الموظفين الذين تعينهم الحكومة بهذه القيود ..! ان للرافعي حقا على

الامة ان يعيش فى امن ودعة وحرية ، ان فيه قناعة ورضى ، وما كان هذا مكانه ولا موضعه لو لم يسكن اليه ، دعوه يعيش كما يشاء ان يعيش ، واتركوه يعمل ويفتن ويبدع لهذه الامة فى آدابها ما يشاء أن يبدع ، والا فاكفلوا له العيش الرخي فى غير هذا المكان .. »

وبلغ التقرير وزارة العدل ، وطويت القضية ، وصار تقليدا من تقاليد المحكمة من بعد ان يغدو الرافعي ويروح متى شاء لا سلطان لاحد عليه ، وله الخيرة فى امره ، ولكنه ، مع ذلك لم يهمل فى واجبه قط ، ولم ينس يوما واحدا انه فى موضعه ذلك بحيث يرتبط به كثير من مصالح الجماهير .

وظل الرافعي ، الاديب الكبير الذائع الصيت ، فى وظيفته البسيطة ، موزع الجهد بين أعماله الرسمية واعماله الادبية ، وما تتطلبه شؤون الابوة ، على المورد المحدود ، والبساط الممدود ... وما زاد مرتب الاديب المبدع ، الجاري اسمه على كل لسان بمشرق العروبة ومغربها ، الموظف البسيط بمحكمة طنطا الاهلية ، على بضعة وعشرين جنيها فى الدرجة السادسة ، بعد خدمة ثمان وثلاثين سنة فى وظائف الحكومة ... !

على انه كان للرافعي ــ فيما حكى الاستاذ العريان ــ مرتب آخر من عمله فى المحكمة ، هو ثمن ما كان يتقاضاه من بيع كتبه للموظفين والمحامين والمتقاضين الذين يقصدون اليه فى مكتبه لعمل رسمي ، وكانت ضريبة فرضها الرافعي من طريق الحق الذي يدعيه كل شاعر على الناس ، أو فرضها اصحاب الحاجات على انفسهم التماسا لرضاه .. !

وفى الرابعة والعشرين من عمر الرافعي اقترن بسيدة فاضلة ، هي اخت الكاتب الصحفي الشهير عبد الرحمن البرقوقي ، صاحب مجلة البيان ، وشارح ديوان المتنبي ، التي قاسمته لأواء الحياة وشظفها ، وشاركت فى نعمائها ومراتها ، وكانت له الزوجة المثالية التي وجد فيها السكن ، وبادلته الرحمة والمودة ..

وقد هيأت هذه السيدة الكريمة للرافعي ، على ضآلة مورده وكثرة بنيه ، الجو الدافىء الهادىء الذي يحتاج اليه الاديب ، فما كان هناك شيء يشغله او يقلق باله من امور البيت ، الشيء الذي سمح له بالانقطاع للقراءة والدرس ، والابداع فى الانتاج . فقد كان الرافعي ــ كما حكى المرحوم العريان ــ يعيش فى بيته عيشة مثالية ، يحدب على بنيه ، ويخصهم بالكثير من الرعاية ، ويسهر على تربيتهم وتنشئتهم كاحسن ما يكون السهر ، وحرصا منه على تهيئة الجو الاسلامي الخالص لبنيه داخل البيت فقد كان يتخذ ببيته امراة مقرئة حافظة للقرءان الكريم ، تقرأ كل يوم ما تيسر من القرءان ، وتعلم بناته فى اوقات فراغهن ما يقيم السنتهن ويغرس فى قلوبهن مثله السامية واخلاقه الرفيعة .

يقول الاستاذ سعيد العريان : « وانا ما عرفت ابا لاولاده كما عرفت الرافعي ، يتصاغر لهم ويناغيهم ويدللهم ، ويبادلهم حبا بحب ، ثم لا يمنعه هذا الحب الغالي ان يكون لهم ابا فيما يكون على الآباء من واجب التهذيب والرعاية والارشاد ، ناصحا برفق حين يحس الرفق ، مؤدبا بالعنف حين لا يجدي الا الشدة والعنفوان .. ! » .

ويمكننا ان نستشف ــ وبصفة اكثر وضوحا ــ مبالغة الرافعي فى السهر على تنشئة ابنائه والعناية بتربيتهم فى عدة مظاهر ، كاشرافه بنفسه على اعطائهم دروسا خاصة بالمنزل فى مختلف مواد اللغة العربية ، ووضعه لهم برنامجا يوميا للعمل داخل البيت ، الى التوجيه الصالح والارشاد القويم المبنيين على الخبرة والتربية ، الى نشره مقالات فى الصحف السيارة فى نقد المناهج الدراسية ، وابداء الملاحظات القيمة حول طرق الامتحانات ، وكيف ينبغي ان تصاغ اسئلتها .. الى طرقه مواضيع انشائية بهدف تقديم نماذج فى مادة الانشاء لهم ، الى غير ذلك مما تعرض له فى رسائله الى محمود ابو رية ، مما ينبىء عن اهتمامه الكبير بمستقبل بنيه ، وحرصه الشديد على جعلهم مواطنين صالحين ، واعضاء نافعين فى مجتمعهم .. وقد حقق الكثير مما هدف اليه ..

وقد كان الرافعي متدينا ، شديد التمسك بدينه ، يحافظ على أداء الشعائر الدينية ، ويبث داخل بيته وبين اهله جوا مشبعا بروح الدين ، كما كان يبث نفس الروح فى كل من يتصل به ويلتف حوله من الخلان والاصدقاء ، ولشدة تدينه فقد كان

يثور ويزمجر كلما انتهكت حرمة من حرمات الدين ، او اهين جانب من مقدساته ، بل انه ليثور ويغضب حتى لدى الاخلال ولو بجزئية صغيرة من الآداب الدينية ، ومن هذا القبيل ثورته العارمة على السيد حسن القاياتي ، الذي نشر بجريدة « كوكب الشرق »، التي كان يشرف على تحريرها الدكتور طه حسين ، كلمة في الموازنة بين قول الله تعالى : « ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون » ، وبين قولهم : القتل انفى للقتل .. ! انتهى فيها الى تفضيل الكلمة المأثورة على الآية القرآنية الكريمة .. ! فانبرى له الرافعي حيث كال له بالكيال الاوفى في بحث نفيس بعنوان : « كلمة مؤمنة في رد كلمة كافرة » نشره بجريدة البلاغ ، وكان له دوي كبير ، وصدى استحسان واسع في الوسط الادبي .

ومن غضبته للاخلال بالجزئيات الدينية الصغيرة تأنيبه لصديقه ابو رية على اهماله اتباع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في كتاباته بالصلاة عليه ، قائلا له في احدى رسائله اليه ، في لهجة تنم عن شديد غيرته على المقدسات الدينية : « وقد رابتك تكرر ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم دون ان تتبعه بالصلاة عليه ، وهذا سوء ادب لا اقرك عليه ، ولا اقبله من احد .. !

لكن شدة تدينه هذه لم تمنعه ان يحمل بين جانحتيه قلبا هفهافا يستجيب للدواعي العاطفية ، ويتفتح للحب الطاهر البريء ، ولا غرو في هذا ، فهو اديب بطبعه ، قوي الاحساس ، مرهف المشاعر ، متحرك الوجدان ، يعشق الجمال ويهيم بكل جميل ، وهدفه من كل ذلك اشباع نهمه من نسج الابراد البيانية الساحرة ، وارواء غليله من الصور الشعرية الرائعة التي تستوحى من الجمال ، فتأخذ بالالباب وتأسر العقول ... ! بيد أن الرافعي كان في حبه كالطائر الفرد ، لا يستقر بمكان ما ، بل لا يرى الا متنقلا من فنن الى فنن ، ومن غصن الى غصن ، شاديا باعذب الالحان ، مفردا باروع الانغام .. ! لا يهمه من الحب الا ما يلهمه رائع البيان،ويوحي اليه بأروع المعاني ، فكان حبه عذريا بريئا ، وكثيرا ما كان ذلك الحب انفراديا ومن ناحية واحدة ، كما هو الشأن بالنسبة لـ : « عصفورة » صاحبة « حديث القمر » وكذا بالنسبة لـ : « صاحبة القلب المسكين » بل وحتى بالنسبة للأديبة الكبيرة الآنسة « مي » حسبما اكده بعض « المحققين .. ! » ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد أن الرافعي ، في بعض الاحيان كان في حبه اقرب الى السذاجة والغفلة ، يرى في كل حسناء من بنات حواء آية من آيات المصور البارىء تسبح في ملكوته ، ونجما مسخرا بأمر الخالق لهداية الحائرين وارشاد التائهين .. ! وكان المفتونون بأدبه من اصدقائه وخلانه ، يعرفون نقطة ضعفه هذه فيتفننون في ايجاد الحوافز لدفعه الى تصوير معاني الحب والجمال بكل الوسائل ، واوضح مثال لذلك مقاله النفيس الذي نشره بمجلة الرسالة بعنوان : « في اللهب ولا تحترق .. ! » في وصف راقصة ماجنة ، صوروها له في صورة ناسكة عابدة متبتلة ، عفيفة ، طاهرة الذيل ، دفعتها الحاجة والحفاظ على « شرفها » الى الاشتغال بالمراقص الليلية ... ! فصدق الرافعي زعمهم ؛! واقتنع بأن رقصها انما هو ضرب من العبادة .. ! فكتب يصف من حالها ما وصف .. وهكذا انطلت عليه الحيلة فوقع في الفخ ، ولم يتفطن الى جلية الامر الا بعد فوات الاوان ، وبعد رحيل الراقصة عن المدينة ... والا بعد ان اضاف الى تراث اللغة العربية هذا المقال النفيس الذي يعزله النظير ...

فمن هذا التفتح العاطفي نتجت هذه الآثار النفيسة التي دبجتها يراع الرافعي ، ومنه كانت هذه الرسائل القيمة التي ضمنها آراءه في فلسفة الحب والجمال ، مثل : « حديث القمر » و « السحاب الاحمر » و « رسائل الاحزان » و « أوراق الورد » .. ولكل منها قصة كفانا مؤونة عرضها ، ووفاها حقها من الشرح والتحليل المرحوم محمد سعيد العريان في كتابه : « حياة الرافعي » .

* * *

وقد عانى الرافعي من ضيق ذات اليد الشيء الكثير ، بحيث قضى حياته بتلك الوظيفة البسيطة وعلى ذلك المرتب الهزيل الذي لا يفي — ولن يفي — بحاجيات رجل مفكر ، مثقل الكاهل بالاعباء ، يطمح الى أن يقدم لجيله وللاجيال المتعاقبة زادا فكريا دسما ، يثير الظلماء ، ويبدد الحيرة ، ويدفع الى التشبث بالمثل العليا والقيم الروحية الخالدة ، ولذلك فقد ظل طول حياته يشكو مجتمعه الذي لم يقدره حق قدره ، ولم يحله المنزلة التي توازي

مكانته ، وتلائم عبقريته ، وتساوق سمو ادبه ورفيع بيانه ... فلم يشعر نوعا ما بالتوسعة ورخاء العيش وهناءة البال الا في الفترة التي قضاها شاعرا ببلاط الملك احمد فؤاد من سنة 1926 الى سنة 1934 ، حيث حصل على منحة دراسية لابنه محمد لمتابعة دراسته بالخارج ، بالاضافة الى تذكـرة مجانيـة بالدرجة الاولى بالقطار بجميع الخطوط المرابطة بين انحاء القطر المصري .. ! فلما قطعت المنحة عن ابنه ، لسبب ما ، عاد الرافعي الى ضائقته المادية ، فكان لا بد له من البحث عن مورد جديد يمكنه من تسديد نفقات ابنه الذي لم يبق على تخرجه الا بضعة اشهر .. ! فكان ان اتفق مع المرحوم أحمد حسن الزيات على المشاركة في تحرير مجلة الرسالة التي ظل يوافيها اسبوعيا – الا لعذر قاهر – بمقالاتـه الشيقة الرائعة ، التي كانت فتحا جديـدا في ادب الرافعي ، بقدر ما كانت سببا في تعرف العديد من القراء بمختلف الاقطار الاسلاميـة والعربيـة على الرافعي الكاتب الاسلامي المبدع ، الذي يحـدو ركب العروبة والاسلام ببيانه المشرق الناصـع ، وافكاره النيرة الاصيلة ، بشكل لم يكن للرافعي عهد به قبل اتصاله بالرسالة ، مما دفعه الى العمل على زيادة الاقتراب من قرائه وتمتين صلته بهم ، وذلك بتبسيط اسلوبه الكتابي ، واختيار مواضيع مقالاته ، وتقديم النماذج الطيبة الصالحة من تراثنا الاصيل ، وحضارتنا الرائعة ، الشيء الذي زاده تمكينـا في القلوب ، وجعل منه الكاتب الاسلامي الاول ، الذي تهفو الى بيانه الناصع قلوب المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، وترنو الى ما يدبجه يراعه انظـار العالم الاسلامي قاطبة ... ويتلقف جمهور المعجبين به فيض قلمه ووحي الهامه في شوق وتلهف ... !

ولكن ، ما ان استقام له الامر ، وخفت مشاكله المادية ، واخذ طريقه الى قلوب القراء ، حتى ذوى غصنه ، وجف عوده ، فلبى داعي ربه وهو اشد مـا يكون صحة وعافية ، في صبيحة العاشر من شهر مايو سنة سبع وثلاثين وتسعمائة والف ، فحزنت لموته المفاجيء آلاف المسلميـن في المشـارق والمغارب ، وشيعته الى مثواه الاخير الالاف مـن عشاق ادبه ، بقلوبها المكلومة ، ودموعها الممزوجـة بالحسرة على ركن عظيم من اركان الامة الاسلاميـة تهدم ، وطود شامخ من اطوادها الشماء اندك وتحطم تاركا وراءه ثروة فكرية ضخمة انطلاقا من ديـوان الرافعي بأجزائه الثلاثة ، وانتهاء بوحي القلـم في اجزائه الثلاثة ، وما بين هذين من مؤلفات ورسائل تعد كلها ذخيرة فنية رائعة لا تبلى بتقادم السنين ... الى غير هذه وتلك مما لم يطبع ، ومما لم ينشر بعد من آثار الرافعي الخالدة ، وانها لاجمـل هديـة ، يقدمها مفكر لامته ، واثمن بضاعة يزجيها رائد لبني قومه ، رحم الله الرافعي واجزل مثوبته !

وما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قـوم تهدمـا

من الشعر الى الكتابـة :

لم يكن الرافعي – رحمه الله – يطمح في بداية امره الى هذه المنزلة السامية التي ادركها – عـن جدارة واستحقاق – في الكتابة والبحث ، وانما كان كل همه ان يكون شاعرا يحتل مكانته بين شعـراء العصر ، وينشر ديوانه – أو دواوينه بين المتأدبين ، وتترنم الجماهير باناشيده واهازيجـه كما تترنـم باشعار فلان وفلان من الشعراء ... وقد ادرك في عالم عبقر مكانا مرموقا ، وخاصة بعد ان اخـذ في نشر اجزاء ديوانه ، حتى لأمسى يحمل لقب شاعر الحسن ... كما غدا شاعرا ناقدا ، له في الشعراء راي يعتد به ، وفي الشعر نظريات لها وزنها واعتبارها في مجال النقد ، واتجهت اليه الانظار تستكشف من امره ما تجهله ، وتتطلع الى معرفة هذا الفتى الادبب الذي اصبح اسمه على كل لسان ... وبالخصوص بعد نشره سنة 1905 بمجلة الثريا مقاله الذي صنف فيه شعراء العصر الى اربع طبقات ، اقحم فيه نفسه في الرتبة الرابعة من الطبقة الاولى ليقول عن نفسه ما تقتضيه الدعاية من تطلع يطبعه الغرور والاعجاب بالنفس ، والاعتداد بالشخصية ... وذلك اسلوب من اساليب الرافعي في الاعلان عن نفسه والتعريف بانتاجه ، لازمه في جل اطوار حياته ، وهو أسلوب قد لا يرتضيه الكثير من الادباء ، غير أن الرافعي قد ارتضاه من اول امره مسلكا ومنهجا ، ولم لا يسلك هذه الطريق على علاتها ، والابـواب موصـدة في وجهه ، والصحافة ، وهـي الوسيلـة الوحيـدة – يومذاك – للتعريف بالانتاج الادبـي ، في يـد الاحزاب والمنظمات السياسية ، التي لا تقـدم على

المنتمين اليها والمسبحين بحمدها احدا! .. والرافعي رجل بعيد عن السياسة ، واذن فمن حقه ان يجري وراء الشهرة عن طريق تعريف الرافعي بالرافعي تحت ستار اسماء مستعارة ، وتوقيعات ومزية ، وله في هذا الباب نوادر وطرائف الم بذكر بعضها تلميذه العريان ، وكشف هو عن بعض آخر منها في رسائله لابي رية ... وقد بلغ بهذه الوسيلة بعض ما اراد ، واكثر مما كان يريد ...

ولامر ما هجر الرافعي طريق الشعر ولم يعد يعرج عليه الا في مناسبات قليلة ، وفي فترات متباعدة ، فلماذا هجر الشعر ، وهو الذي كان يطمح الى ان تكون له بين شعراء عصره مكانة ملحوظة تعفي على ذكر فلان وفلان ممن سارت بذكرهم الركبان ؟ أيكون قد هجره لانه وجد القافية اضيق من ان تستوعب كل ما يجول بخاطره من المعاني ؟ كما عبر هو نفسه في رسالة منه لابي رية بتاريخ : 17 دجنبر 1928 يقول فيها : « ومن نكد الشعر العربي انه لا يتسع لبسط المعاني ، فاذا بسطت المعاني فيه وشرحت سقطت مرتبته من الشعر ، واصبح نظما كنظم المتون في الاكثر ، وهذا هو ما صرفني عن الاول الى الكتابة ووضع حديث القمر والمساكين وغيرهما ، فان هذه الكتب هي شعر ، ولكن في غير الظروف الموزونة » . (1) أم يكون قد هجره وتخلى عن قافلة الشعراء لان قيود الشعر تحد من عواطفه المشبوبة وتحول بينه وبين التعبير عن خلجات النفس ودقات الوجدان كما يشاء أن يعبر ؟ أم يكون قد هجره لانه وجد نفسه بين شعراء عصره اعجز من ان يجاري كبارهم ويدوسهم بقدميه لاحتلال الصدارة التي كان يطمح اليها ، فتخلى عن المعركة واستسلم مقتنعا بعدم جدوى الصمود امامهم .. ؟

الحق أن كل هذه الاسباب وجيهة ، ومن شانها ان تصرف الرافعي ـ وهو الفوضوي الثائر على النظام والرتابة ـ عن الانصراف الكلي الى الشعر الذي يحد من طلاقته وحريته ، ويجعله مقيدا في التعبير عن احاسيسه ومشاعره بطلاقة لا تحدها قيود ، ولا تقف في طريقها عوائق أو حواجز .. !

وليس معنى هذا ـ رغم اقتناع المرحوم العريان به ـ ان الرافعي قد عجز عن مجاراة شعراء عصره ، وهو الذي له في الشعر الآيات المحكمات ، وكل بيانه شعر رفيع من النسق العالي ، لا ينقصه الا الوزن والقافية ، ولكن معناه انه وجد الشعر ـ كما صرح هو ـ لا يتسع للتعبير عما يعتلج في نفسه من خواطر وصور عن الحب والجمال ، فهجره ، أو جفاه ، الى المجال الارحب الخالي من القيود والسدود ، وحسنا فعل ، فانه كان مهيأ بطبعه للتبريز في ميدان الكتابة ، ليكون في يوم ما آية الآيات بين اقطاب البيان في عصره .. ! ويكفيه مجدا أن كان طبقة وحده في أسلوبه وطريقة تفكيره ، ويزيده فخرا انه ظل طول حياته متشبثا بمثله العليا الاصيلة التي ارتضاها لنفسه وتطوع للتعريف بها والذياد عنها ، في غير لين ولا هوادة ، وهي المثل القرآنية السامية التي تدعو الى المكارم والفضائل ، بقدر ما تندد بالنقائص والرذائل ، مما جر عليه عداوة خصومه من المجددين الذين يمقتون هذه « السلفية » في التفكير والتعبير ، ويعتبرونها رجعية وجمودا .. ! بيد ان الرافعي لم يثنه شيء عن متابعة السير في الطريق اللاحب الذي اختطه لنفسه ، ولم تصده كثرة المناوئين له والمتربصين به عن التصدي لهم وحدانا وجماعات ، دفاعا عن « الجملة القرآنية » ، وحمية لمقدسات الاسلام ومثله العليا ... وكان أن حالفه التوفيق فاستطاع الخروج من أكثر معاركه منتصرا ظافرا ، كما استطاع بثباته وقوة حجته ، أن يكون فكرا أدبيا عاما ، ومدرسة بيانية ينتشر اتباعها ومريدوها في كل أنحاء العالم الاسلامي ... وذلك توفيق من الله يطبع به حياة وأعمال المخلصين الاخيار من عباده ..

ولقد احسن ـ رحمه الله ـ التعبير عن رسالته الادبية والفكرية في هذه الكلمات التي القاها لسان الغيب على لسانه وهو في الشهور الاخيرة من حياته ، حيث قال : « انا لا أعبأ بالمظاهر التي يأتي بها يوم وينسخها يوم آخر ، والقبلة التي أتجه اليها في الادب انما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها ، فلا أكتب الا ما يبعثها حية ويزيد في حياتها ، وسمو غايتها ، ويمكن لفضائلها وخصائصها

(1) من رسائل الرافعي ، ص : 180 ـ الطبعة الثانية .

فى الحياة ، ولذا لا امس من الآداب كلها الا نواحيها العليا ... ثم انه يخيل الى اني رسول لغوي بعثت للدفاع عن القرءان ولغته وبيانه .. » (2) .

والآن ، وبعد أن صاحبنا الرافعي فى مختلف أطوار حياته ، وتعرفنا على عدة جوانب من سيرته ، نريد ان نرافقه فى بعض فيوضاته والهاماته الادبية المتمثلة فى مواقفه البطولية فى الدفاع عن قضايا العربية والاسلام ، وهي الواجهة التي فضل الانحياز اليها ، واعطاها من جهده ومن فكره الخلاق وبيانه المشرق كل ما يتوفر عليه من طاقات وامكانيات .. بحيث كانت كل ابحاثه وانتاجاته ـ حتى الجبيسة منها ـ تدور حول هذا المحور الثلاثي : « الاسلام ، العربية ، الشرق » . هذا المحور الذي ولج الرافعي معركته بعد ان استعد لها الاستعداد الكامل ، من اطلاع واسع على التراث الاسلامي العربي الاصيل ، بكل ما يزخر به من مقومات عالية ، ودراسة مستوعبة للفنون الادبية على اختلاف أنواعها ومشاربها ، وبعد تمكن كبير من ناصية اللغة العربية التي القت اليه بزمامها ، واسلست له مقادتها ، حتى امسى فيهـا حجة لا ينازع ، واماما لا يقارع ، ورائدا مقتـدرا لا يتقهقر ولا يتراجع ... فلما ان استـوى عـوده ورسخت فى البيان قدمه ، دخل المعركة من بابهـا الواسع ، حيث اشرع قلمه المرهف وهب للدفاع عن أمجاد العربية وكتابها الاقدس ، القرءان الكريـم ، باعتباره الحارس الامين للغتنا ، والدليل الناصع على أصالتها وصلاحيتها للتعبير عن جميع المتطلبـات الحضارية ، والرابطة التي تشد المسلميـن ، على اختلاف السنتهم والوانهم ، الى بعضهم البعـض ، وتجمعهم على كلمة سواء ... فكانت له ـ رحمـه الله ـ وقفات ومواقف لن تنساهـا له الاجيـال الاسلامية المتعاقبة ، كما لن ينساها له التاريـخ العادل ، يوم يقول كلمته الفاصلة فى انصار العربية وخصومها .. ! فمن دفاع مستميت عن اللغة العربية، والبيان العربي ، الى دفاع لا يقل استماتـة عـن: « الجملة القرآنية » ، والاعجاز النبوي ، الى تسليط الاضواء الكاشفة على عدة جوانـب من التشريـع الاسلامي ، الى استخلاص العديد من القيم الروحية والامجاد الخالدة من أصيل تراثنا ، الى انتقاد مـا خالط حياتنا من العادات الدخيلـة والانحرافـات المسلكية ، الى اثراء تراثنا بطائفة من الافكار القيمة والآراء الصائبة ... الى آخر ما حفل به الانتـاج « الرافعي » من مقومات خالدة وقيم رفيعة ، ممـا بواه ـ عن جدارة ـ هذه المكانة السامية التي يحتلها بين شوامخ الفكر الاسلامي المعاصـر ، وجعـل انتاجه فى الذروة من الاصالة والابداع .. ويكفيـه فخرا وسمو مكانة ان ظل واقفا فى ساحة الدفاع عن القيم الدينية والحضارية ، لمدة ربع قرن من الزمان، دون كلل او عياء ، شاهرا قلمه المرهف فى وجـه دعاة التشكيك والتزييف ، يفند ادعاءاتهم ، ويصحح اخطاءهم ، ويقوم انحرافهم ، ويرد على اراجيفهـم واباطيلهم وترهاتهم التي كانوا يهدفون من ورائها الى الطعن فى مقدساتنا ، والنيل من قيمنا ومقوماتنا ، والتشكيك فى أصالتنا ، وما كان مبالغا ولا مجازفا عند ما قال عن نفسه انه ليخيـل الي انـي رسول لغوي بعثت للدفاع عن القرءان ولغته وبيانـه ... ولقد أصاب كبد الحقيقة ذلك الباحث الذي وصفه بانه : « مسلم العقيدة ، عربي التفكير ، شرقـي الفضيلـة » (3) .

وهذا الجانب الاسلامي من ادب الرافعي هو ما اهدف الى التعريف به ، ووضع باقات عطرة منه على مائدة « دعوة الحق » التي آمن بها واعطاها الكثير من جهده وتفكيره ، وحتى تكون باقتنا زاهية الالوان ، مفتوحة الابراد ، عبقة الشذى ... فقد صنفتها الى العناوين التالية :

أ) القرءان الكريم : اعجازه وأثره فى توحيد العرب وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

ب) الاسلام دعوة عالمية خالدة .

ج) من اسرار التشريع الاسلامي .

د) نفحات من اسرار السيرة النبوية .

هـ) رسالة الجامعات الاسلامية، ودور علمائنا فى الدعوة الى الله .

---

(2) وحـي القلـم ، ج 3 ، ص : 300 .

(3) انظر كتاب : نثر الرافعي للاستاذ ضيف الله م. ح. م. 245 .

و) اجتماعيـــــات .

* * *

وقبل عملية « الاقتطاف » اضع بين ايـــدي القراء الكرام تعريفا موجزا بانتاج اديبنا الكبير :

1 ـ ديوان الرافعي ، ثلاثة اجزاء ، طبع بين سنة : 1903 وسنة : 1906 ، صدره بمقدمة بليغة كان لها دوي كبير فى المحافل الادبية ، وذيله بشرح نسبه لاخيه ، حتى لا يتهم بتقريظ نفسه ..

2 ـ ديوان النظرات ، صدر جـزؤه الاول سنة : 1908 مصدرا بكلمة بليغة ، ولم يصدر منه الا هذا الجزء .

3 ـ تاريخ آداب العرب فى ثلاثة اجزاء ، طبع الاول منها ، وهو الخاص ببحث الرواية والرواة ، سنة : 1911 وبه احتل الرافعي مكانتـــه كاديـــب باحث ، وقد لقي من التقريظ والاستحسان ما شغل المحافل الادبية والصحافة بالحديث عنه شهورا ، ولاقى من كبار النقاد على جدة طريقته ، وابتكـــار نهجه ، وسمو اسلوبه ما اثلج صدر الرافعي ودفعه الى المضي فى البحث والانتاج .

اما الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب ، وهو الخاص باعجاز القرءان والبلاغة النبوية ، فقد طبع سنة : 1912 وقد تعددت طبعاته في حياة المؤلف وبعد وفاته ، وكانت احسن طبعاته تلك التي طبعت على نفقة الملك احمد فؤاد سنة 1926 .

واما الجزء الثالث فقد نشر بعد وفاة الرافعي، ومن فصوله ما هو تام التاليف ، ومنها ما كان لا يزال قيد التاليف ، مما جعل المرحوم العريان يتحمل فى اخراجه عناء كبيرا فصله في المقدمة التي صدر بها .

4 ـ حديث القمر : وهو أولى رسائلـــه فى الحب ، أنشأه فى صاحبته الاولى التي تعرف عليها بلبنان سنة : 1912 .

5 ـ المساكين : انشاه سنة : 1917 والحرب الكونية الاولى على أشدها ، ليضاهـــي به كتـــاب « البؤساء » لفكتور هوجو ، وقد ضمنه من المعاني الفلسفية العالية ، ومن فلسفة الرضى بالقدر والقضاء ما يدل على بعد نظره وتاثره باهوال الحرب واثرهـا السيىء فى الطبقات المحرومة بصفة خاصة ، وقد استقبل استقبالا حسنا من لدن النقاد .

6 ـ اغاني الشعب ، جمع فيه طائفة مما نظمه من الاناشيد الدينية والوطنية ، وكلها من النســق العالي ، بدا بطبعها سنة : 1923 ، ودار حولها كثير من النقاش ، اذكى جذوته الرافعي بصولاته وجولاته.

7 ـ رسال الاحزان ، وهـــو مجموعة مـــن الافكار والخواطر عن حبه الاول للآنسة ماري زيادة : « مـــي » ضاهى به كتاب « آلام فرتير » للكاتـــب الالماني فوته ، صدر سنة : 1924 .

8 ـ السحاب الاحمر ، صدر بعـــد صدور رسائل الاحزان ببضعة اشهر ، وهو ثاني ما اصدره من الرسائل فى فلسفة الحب ، ويتضمن فصلا من فصول حبه ل : « مـــي .. »

9 ـ المعركة تحت راية القرءان ، صدر عام 1926 يتضمن ردودا على كتاب « فى الشعر الجاهلي» للدكتور طه حسين ، وهو من اجل كتب الرافعي ، بل انه ليعتبر اهمها عند العديد من النقاد .

10 ـ على السفود ، ويتضمن عدة فصول فى نقد المرحوم عباس محمود العقاد ، الـــذي كانـــت الخصومة بينه وبين الرافعي محتدة على الدوام ، كل منهما يتحين الفرصة للايقاع بصاحبه ... صدر عن مجلة العصور التي كان يصدرها المرحوم اسماعيل مظهر ، غفلا من اسم المؤلف الذي اكتفى بالرمز اليه بأنه : « امام من ائمة الادب » وقد حوى عـــلاوة على النظرات الصائبة فى النقد والتوجيه ، ركاما مـــن المهاترات ما كان احرى بقلم الرافعي أن يتنزه عنها .

11 ـ أوراق الورد : اخرجه سنة : 1930 وهو ثالث ما الفه فى حبه « لمي » ، ضمنه تجاربه وفلسفته فى الحب ، وكان مفتونا به الى حد كبير ، بل لقد بلغ من افتتانه به ان كان يرى انه الكتـــاب البكر الذي عقمت العربية فلم تنجب غيره .. وان ليس فى أدبنا العربي ــ وحتى الغربي ــ على امتداد عصوره ما يقف الى جانبه ، بل ان يضارعه جزالـــة اسلوب وسمو معاني ، والحقيقة انه كتاب فـــذ فى

بابه ، غريب في موضوعه ، لا يقدر على صياغته في أسلوبه وعمق تفكيره غير الرافعي .

12 ـ وحي القلم : في ثلاثة أجزاء ، طبع الاول والثاني باشراف مؤلفهما ، بينما نشر الثالث بعد وفاته باشراف تلميذه محمد سعيد العريان ، وهو سجل لمقالاته وفصوله التي نشرها بمجلة الرسالة ما بين سنة 1934 وسنة 1937 ، بيد أن جزاه الثالث ضم مقالات وابحاثا نشرت قبل هذا التاريخ بمختلف الصحف والمجلات ..

هذه هي مؤلفات الرافعي المطبوعة ، وله مؤلفات غيرها لم تر النور بعد ، اهمها كتابه : « اسرار الاعجاز » الذي كان يهتم به كثيرا ، ويعلق كبير الآمال على ان يوفقه الله لاتمامه واخراجه ، ليسد به ما كان يشعر به من فراغ في هذا الجانب، وقد اطنب في الحديث عنه الى خلصائه وجلسائه ، كما يستفاد ذلك من غير ما رسالة من رسائله الى محمود ابي رية ، وكان ـ رحمه الله ـ يعتد بهذا الكتاب ، ويعتبره كتابه الاول ، والحسنة التي سيقدمها بين يديه يوم العرض ..

وتجدر الاشارة الى أن كل من ترجموا للرافعي نصوا على انه ما تزال هناك طائفة من البحوث والمقالات من انتاجه المبثوث في ثنايا الصحف والمجلات لم تر النور بعد ، فعسى أن يوفق الله من ادباء العربية من يقوم بجمع هذه المتفرقات ونشرها .

كتاب هندي عن المغرب

تأليف : الاستاذ ب. س غويتا — عرض وتقديم : الأستاذ زين العابدين الكتاني

عندما يكتب أحد ما عن المغرب فى جهة من الجهات فى العالم فان الملاحظة الاولى التي تقترن بالمطبوع هي حب الكاتب للمغرب واعجابه بتجربته الرائدة .

ومن هنا ، من هذه المعطيات نجد هذا الكاتب أو ذاك ينطلق من الملاحظة العامة ، ولذلك فالنهج الذي يسلكه هو تحديد صورة المغرب فى المنطقة التي ينتسب اليها ، واهتباله بتجربة التحدي والصمود التي تجذبه ، وتجعله يرتكز على مبادىء الحرية فى طابعها الاصيل التي يتعشقها المغاربة ، والتي تعني أول ما تعني مواجهة الدكتاتورية والميوعة والتبعية المغلفة بالشعارات والمبادىء التي افسدت كثيرا من المجتمعات ، ونسفت كثيرا من الاختيارات ، التي كافحت أمم وشعوب من أجل تثبيت وجودها ، وتخليص استقلالها وهي تسترجع أنفاسها بعد خلاصها من التفتت والاستعباد حسب الصور الاستعمارية التي غزت العالم منذ قرن من الزمان أو يزيد ، وهو نفس ما انطلق منه مؤلف كتاب (أضواء حول المغرب) كما يلتمس أي قارىء ذلك من مجرد قراءة فهرس هذا الكتاب .

ومن ثم فعندما اقدمت على تقديم الكتاب الجديد الذي صدر بالهند عن المغرب فقد اخترت ذلك لسببين اثنين :

أولا : لان المؤلف من بلاد واصلت تدعيم العلاقات المغربية الهندية من خلال الملاقات التاريخية، ثم فى مرحلة الكفاح من أجل الاستقلال .

ثانيا : ثم دأبت على تنمية هذه العلائق بصورة ملحوظة مما يؤكده صدور هذا الكتاب القيم الذي نحن بصدد الحديث عنه .

وكتاب (أضواء حول المغرب) صدر اخيرا بالانجليزية بنيو دلهي لمؤلفه الاستاذ ب. س. غوبتا B.C. CUPTA وهو بالحجم ما دون المتوسط ،

Focus on MOROCCO

HIS MAJESTY KING HASSAN II

يقع في حوالي مائة وسبعين صفحة ، زين الغلاف من جهة بصورة لصاحب الجلالة الحسن الثاني ، ومن الجهة الاخرى بخريطة للمغرب وقد حقق الوحدة الترابية بعد تحرير الصحراء المغربية الجنوبية .

ويضم الكتاب بالاضافة الى المقدمة مجموعة من الصور التوضيحية والفهرس والنص الذي يتضمن الحديث عن :

اولا : الارض والشعب
حياة الملك ـ ثقافة ملك المستقبل ـ من السيد الى التلميذ ـ كتاب (التحدي) ـ مهنة الملك .

ثانيا : الاختيار المغربي : (ويقصد به الاختيار الديموقراطي ، واشراك الشعب في تسيير شؤون البلاد) .

الدستور المغربي ـ الديبلوماسية المغربية .

ثالثا : فلسفة المسيرة :
حصيلة المسيرة الخضراء ـ المسيرة الخضراء

رابعا : الصحراء :
اتفاقية مدريد الثلاثية ـ الجماعة الصحراوية ـ الصحراء ووجهة المغرب ـ دراسات متضاربة ـ المغرب والصحراء ـ النزاع والتنمية ـ الصحراء .

خامسا : العلاقات الهندية العربية ـ تحيات الهند .

سادسا : خطاب جلالة الملك في 8 يوليوز 1976 (ويعني الخطاب المتعلق بقرض الصحراء) .

سابعا : برنامج الحكومة : (ويستهدف به برنامج حكومة السيد احمد عصمان والمتعلق بالتصميم الثلاثي الجاري به العمل الآن) .
الفلاحة ـ شبكة الري ـ النسيج .

ثامنا : صفقة القرن : (اتفاقية التعاون في مجال استغلال الفسفاط بين المغرب والاتحاد السوفياتي) .

تاسعا : السياحة .

عاشرا : الاعراس المغربية ـ القرءان : (ويشير بالخصوص الى طبعة المصحف الحسني) ـ الحضارة وأتباعها ـ السينما المغربية .

* * *

واذا كنت قد تعمدت اثبات موضوعات فهرس الكتاب بالتفصيل ، فانني استهدف من وراء ذلك اعطاء صورة كاملة عن المؤلف ، وطريقته في تناول موضوع المغرب بالدقة التي تشير اليها عناوين هذا الفهرس .

وبما ان المقدمة ذات أهمية بالغة بالنسبة لوجهة نظر الكاتب فقد ارتأيت أن الخصها تعميما للفائدة حيث يقول :

« لقد راى العالم منذ بداية القرن الثامن عشر تناقصا فى عدد من الملوك فى العالم كله ... ذلك لان فترة من ديموقراطية المؤسسات حلت محل الحكم المطلق ، ولكن مع ذلك فقد بقي عدد من الملوك يحكمون أممهم ، وبقاءهم هذا راجع الى الظروف الخاصة لبلادهم المرتبطة بهم بعدة روابط، هذا بالاضافة الى مواقفهم من قضايا شعوبهم ، ولذلك فمن المعقول ان يخلد مثل هؤلاء الملوك الذين حافظوا على بقائهم بارادتهم الحسنة ، وباعمالهم الطيبة المتواصلة ، ومن أبرز هؤلاء الملوك الذي ظل يتمتع بالتأييد المطلق من شعبه ، الملك الحسن الثاني ملك المغرب الذي يتفانى فى خدمة امته بدون كلل ، ويغدق عليها من المحبة والعطف ، بدل الاستغلال والضغط ، وهذا راجع الى كونه الوريث لهذه الخصائص نتيجة تربيته ، وتأهيله لقيادة شعبه .

وانه كملك لبلاد تقع فى مفترق الطرق لحضارات البحر الابيض المتوسط ، تمكن أيضا من حذق عدد من اللغات ، ودرس الحضارات الافريقية بالخصوص ، وحتى لما كان يتابع دراسته الثانوية والجامعية الممتازة فانه كولي للعهد التزم بالتكوين بالدرجة الاولى بالثقافة الاصيلة اللائقة بشاب مغربي يعيش عصره .... (1) » .

كما لاحظ المؤلف فى الاخير أن المدة التي قطعها المغرب على عهد الحسن الثاني لحد الآن تميزت بالتقدم الملموس المتميز ، الذي حققه فى جميع المجالات مما يدعو الى الاعجاب والتقدير .

* * *

واذا كان لا بد من نقل صور للآراء التي انتهى اليها المؤلف الاستاذ غوبتا فقد اخترت هذه الجوانب :

أولا : فى الفصل المتعلق بموضوعه عن العلاقات بين الهند والمغرب أورد المؤلف نبذة عن العلاقات المغربية الهندية مبتدئا بزيارة الرحالة المغربي ابن بطوطة الذي زار الهند فى بداية القرن الرابع عشر ، وبتدعيم هذه العلاقات خلال مرحلة الكفاح الوطني من أجل استقلال المغرب ، والتي توطدت فيما بعد لتزيد متانة وتعاونا لصالح البلدين .

ثانيا : ركز اعجابه بنص الدستور المغربي كما يشير الى ذلك سياق الحديث عنه ، خصوصا وقد ركز على بعض الفصول وعلى المقتضيات العامة ، والمبادىء الرئيسية من الفصل الاول الى الفصل الثاني عشر .

ثالثا : اوضح فى اعجاب أن الديبلوماسية المغربية تتماشى مع المطامح الشعبية المغربية وترتكز على أسس ثابتة وقارة .

رابعا : واذاكان الكتاب يعرف بحدث المسيرة الخضراء ونصوص اتفاقية مدريد حول ارجاع الاجزاء الصحراوية الى الوطن العربي ، ويتعرض للخلاف القائم فى المنطقة ، ويشرح وجهة النظر المغربية ، والجهود التي يبذلها المغرب لتنمية الصحراء ، فانه ينتهي الى وجهة نظر تنم عن وعي المؤلف ، وعن التزامه بحياد بلاده الذي يميز ديبلوماسيتنا فيقول (2) :

« ... اما فيما يخص قضية الصحراء فان استرجاع المغرب لمناطقه الصحراوية ليس الا تتميما لوحدته الترابية بواسطة وسائل شرعية ... وعلى الذين يفكرون ان الحكام المغاربة أرادوا اقامة (مغرب تاريخي) (3) أن يفهموا انه عندما يصل الى حدوده الحقة (4) لن يكون المغرب خطرا على احد ، وبالاخص جيرانه الحاليين ، او بلدان المنطقة التي يريد المغرب ان يربط معها علاقات وحدة وتضامن وجيرة طيبة داخل اطار الاحترام والسلم والاستقرار ... » .

---

(1) مقدمة الكتاب .
(2) انظر الصفحة 73 من نفس الكتاب .
(3) نفس المصدر .
(4) نفس المصدر باللفظ .

وبعد ، فان عرض الكاتب لمواد كتابه وموضوعاته وقضاياه كما خططها تتميز بكثير من الوضوح والوعي ، والاطلاع الواسع ، كما أنها تشير الى ان المؤلف يدرك اهمية موضوعه ، وما يحيط به ديبلوماسيا بالخصوص من حساسيات تحسه أكثر الدول التي تلتزم سياسة الحياد بمفهومه الحقيقي مما لا يتسع المجال اليه بالتفصيل في هذا العرض الذي نقصد من ورائه التعريف بهذا الكتاب فقط .

وبصفة عامة فاننا نستطيع ان نؤكد ان :

— معلومات الكتاب جيدة ومضبوطة بالنسبة لمختلف فصوله بصفة عامة .

— وان اسلوبه جذاب ، ولغته مبسطة للغاية يستحق عليه الكاتب كل تنويه وتحية وتقدير خصوصا بالنسبة للقارىء بالانجليزية .

وتحياتنا للهند ولابنها الاستاذ ب. س. غوبتا .

سلا : ز. الكتاني

محمد الحسني رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامي » في ذمة الله

● توفي الى رحمة الله ، خلال الفترة الاخيرة ، الكاتب الهندي المسلم الاستاذ محمد الحسني الندوي رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامي » أرقى المجلات الاسلامية في الهند . والمرحوم ابن شقيق العلامة الكبير الاستاذ ابي الحسن علي الحسني الندوي ، انشا مجلة « البعث الاسلامي » منذ عشرين سنة ، وجعل منها منبرا للفكر والعقيدة واللغة العربية في تلك البلاد ، فاحتلت بفضل استقامة خطها الاسلامي السليم ، وغزارة ما دتها ، واتزانها ، مكانة رفيعة في أوساط الصحافة الاسلامية المعاصرة ، حتى أصبحت تضاهي كبريات المجلات المتخصصة في الفكر الاسلامي .

وللفقيد مؤلف قيم بعنوان « الاسلام الممتحن » يتضمن طائفة من الافتتاحيات التي كان يكتبها في مجلته . وهي ذات نفس عال ، وحماس كبير ، وقوة في الاسلوب والفكر والتحليل والمعالجة .

رحم الله الفقيد وأجزل له الثواب لقاء ما خدم به الاسلام . وانا لله وانا اليه راجعون .

جولة في كتاب

الأدب العربي في المغرب الأقصى

تأليف : الأستاذ محمد بن العباس القباج
عرض وتقديم : الأستاذ محمد بن محمد العلمي

الأدب العربي في المغرب الأقصى
محمد بن العباس القباج
المطبعة الوطنية بدرب الديبي عدد 3 بالرباط

قبل ان اتطرق الى الحديث عما في هذا الكتاب من الذخائر والنفائس والروائع ، حضرتني هذه الابيات :

ذهب الناس ، فانفرادي أنيسي ،
وكتابي محدثي وجليسي
صاحب قد أمنت منه ملالا ،
واختلالا ، وكل خلق بئيس
ليس في نوعه بحي ، ولكن
يلتقي الحي منه بالمرموس

ولا شك أن الحديث عن الشعر الاصيل ، حديث ممتع ، فيه الكثير من الالوان والظلال ، والالواح الفنية من ابهى الاشكال والاصناف والمقاييس . فالشعر ديوان حضارة ، وسجل جهاد ، كما انه ترويح عن النفوس ، وصقل للمواهب الخلاقة ، وسبب من اسباب الابداع والابتكار ، وحافز من حوافز الوعي الناضج والادراك العميق للاشياء وخلفياتها وابعادها وجواهرها .

والكتاب الذي نتحدث عنه اليوم ، يقع في جزئين اثنين ، الاول من 128 صفحة ، والثاني من 131 صفحة ، وكلاهما من الحجم المتوسط .

ويحتوي الجزء الاول على مقدمة للمؤلف ، فقيد العلم والادب المرحوم الحاج محمد بن العباس

القباج ، ذكر فيها على الخصوص أنه كان في ثلة من علية الادباء والمفكرين المغاربة ، فجرى ذكر الادب العربي الذي تطور في فجر هذا القرن تطورا محسوسا ، وساير العلم والحضارة في تقدمهما وارتقائهما ، وطاب الحديث عن الامة العربية من قطر الى قطر ، مع استعراض شعراء العراق ، والشام ، ومصر ، والسودان ، والمهاجر ، وتونس ، وسواها. فاتضح أن مقدرة اي اديب من اي بلد كان ، لم تعرف مكانتها في البيان والبراعة والابتكار ، الا بازدهار حركة النشر والتآليف التي افادتنا ايما افادة ! ويحق لكل قطر ان يفخر بشعرائه وادبائه الذين اتحفوا الدنيا بما نشر من بنات أفكارهم وثمرات قرائحهم . وفي خضم الحركة الثقافية العالمية عموما ، والعربية خصوصا ، لا نرضى لادبائنا وشعرائنا خمول الذكر . فسمعتنا الادبية ، وشهرتنا العالية ، سارت بذكرها الركبان شرقا وغربا .

ومما يستحق عليه المؤلف كامل الاشادة والتنويه ، قيامه بتاليف هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه تراجم شعرائنا ومنتخبات من شعرهم ، ليعطي لكل قارىء صورة صادقة من الشعر المغربي ، ويفيد كل باحث في الامة المغربية بمبلغ تدرج الادب فيها ، وطرق تفكير شعرائها .

واذا كان الادب في الامة العربية قد استمر خلال مدةغير قصيرة،يعالج موضوعات المديح ، والرثاء، والهجو ، والغزل ، والالغاز ، فان الاديب المغربي المحافظ على الاصالة ، والتواق في نفس الوقت الى كل جديد ومفيد ، لم يتاخر عن مسايرة العصر الحديث بعلومه الجديدة ، وعجائبه المدهشة التي توقظ الهمم ، وتشحذ الضمائر ، وتفتح آفاق الوعي على اوسع مدى .

والاديب المغربي يكره بطبعه الجمود ، ويهوى انبعاث القريحة ، ويتوجه تلقائيا الى ما فيه نفع الامة ، وصلاحها الاجتماعي ، واستنهاض عزائمها ، والفات نظرها الى المزالق والمعايب والثلم والهنات والثغرات الحسية والمعنوية .

وظهر الشعراء الذين تتقد أفكارهم فتهز العواطف ، فاذا في المغرب شعر جديد طلي ، يطبعه جمال الاسلوب ، وسلاسة الالفاظ ، وصفاء الديباجة ، وسمو الخيال .

والادباء المغاربة ينقسمون الى ثلاث طبقات :

— طبقة الادباء الكبار الذين يمثلون أدب الماضي بطلاوته وجناساته وامداحه وتغزلاته واخوانياته ووصفياته .

— وطبقة المخضرمين الذين جمعوا بين القديم والحديث في المعاني والمقاصد ، فوحدوا بين عراقة الماضي ، وابتكار الحاضر .

— والطبقة الثالثة هي التي تعايش ما تبدعه العقول من اختراعات في جميع الميادين ، وعلى كافة الاصعدة ، فجاءت أفكارها مطابقة لروح العصر ، ومعبرة عن آلامه وآماله وتطلعاته .

على هذا النسق الذكي رتب المؤلف كتابه ، فجاءت الطبقات الثلاث متناسقة ، وآخذ بعضها برقاب بعض ؛ وبذلك يسهل فهم أدبنا ، وتتيسر دراسته على الباحثين في كل طبقة ، ومحيطها ، مما يتاتى معه الانتقاد المنهجي الصحيح ، في روح تطبعها النزاهة العلمية ، والذوق السليم .

والواقع ان المؤلف قد افادنا كثيرا ، وخدم ادبنا الوطني ، وصدع بالحق في شجاعة وثقة بالنفس ، خصوصا واننا في امس الحاجة الى النقد البناء الذي يكشف مواطن الضعف والخلل ، حتى نسعى بتفكيرنا الى استدراكها واصلاحها وتقويمها .

ومهما يكن من امر ، فقد أتاح لنا المؤلف الاطلاع على اسماء بعض شعرائنا ، ومعرفة مختلف المواضيع التي تطرقوا اليها ، كما جعلنا ندرك اتجاه ومقدرة كل واحد منهم ، والمرتبة التي يتبوأها في عالم الادب ، مع موجز عن حياته . وتلك غاية لا يستهان بها .

وقد قدم لنا المؤلف في الجزء الاول من كتابه نماذج من شعر هؤلاء الادباء ، وهم : محمد غريط ، واحمد البلغيثي ، والطاهر البكري ، وعبد الله

الفاسي ، ومحمد السليماني ، والحاج محمد بوعشرين ، واحمد سكيرج ، واحمد الصبيحي ، ومحمد ابو جنذار ، واحمد التميشي ، وعبد الرحمن ابن زيدان ، ومحمد الجزولي ، ومحمد بن اليمني الناصري ، وجعفر الناصري ، ومحمد الناصري ، ومحمد جنون .

كما قدم لنا فى الجزء الثاني من كتابه ، شذرات من اشعار محمد علال الفاسي ، ومحمد المهدي الحجوي ، وعبد الرحمن حجي ، وعبد الله جنون ، ومحمد القري ، ومحمد المختار السوسي ، ومحمد المكي الناصري ، وعبد الكريم سكيرج ، وعبد الاحد الكتاني ، والحسن الداودي ، وعبد المالك البلغيثي .

ومن منا لا يتذكر النشيد المدرسي الذي كان قد نظمه الشاعر الرقيق محمد غريط ، والذي يقول فى مطلعه :

يا بني العصر اجيبوا
داعي النصح المنير

واستجدوا ذكر قطر
كان ذا صيت شهير

ونفس الشاعر يصف وادي الجواهر فيقول :

وادي الجواهر متحف الاحداق ،
ومكلل الافكار والاذواق

واد جرى وسط البسيط مسلسلا ،
يروي غليل الوجد والاشواق

واد له لون اللجين ، ونفحة الـ
ـعطر النفيس ، وخفة الترياق

نشر الربيع بضفتيه غلائلا
ذهبية الاذيال والاطواق

فكأنما قطع السقيف عساكر ،
هزت قلانسها بيوم تلاق

تشدو البلابل حوله فتخالها
تروي لذيذ الصوت عن اسحاق

ناهيك من واد يضاف لبلدة الـ
ـتأديب والتمييز والارفاق

فاس التي بجمالها وخصالها
فاقت بلاد الغرب بالاطلاق

من ذا يفاخر صافي العين التي
كل العيون لها من العشاق ؟ !

رقت طبيعته ، وراق جماله ،
فغدا يتيه على (ابي رقراق)

والشاعر محمد غريط قد انشد فابدع ، اذ يقول :

اذا ملكت فأسجح ؛
يستكثر الناس فضلك

وتكسب الود ممن
قد كان يكره ظلك !

ويقول الشيخ احمد البلغيثي (فى النسيب) :

حدثا الصب ، فالحديث حلا له ،
واسقياه من المدام حلاله

واتلوا آية الوصال على من
مات صبرا بلحظ تلك الغزاله

لكما الاجر ان حييت به بعـ
ـد مماتي بمقلة قتاله

ليس عشقي حديث زور ، ولكن
زان اسناده مزيد عداله

وغدا عاضدا تواتر دمعي
بسيول مدى المدى هطاله

هذا ، وايم الحق ، ادب رفيع ، احلى من الشهد ، واصفى من السلسبيل . وليس بدعا أن يقول نفس الشاعر البارع فى (عزة النفس) :

اغالي بنفسي أن تسام بوقفة
بباب، ولو باب الامير المحجب

ارى كل مجدود بحظ من الغنى
فقيرا حقيرا ، لا يقوم بمطلبي

أبت همتي الا المعالي دائما ،
وراثة نفس من جدود ومن اب

اذا لم تكن نفس الشريف شريفة،
فما شرف الانساب عندي بنيسبي

والنيسب هو الطريق الواضح للمجـــد .

ونعود الى التغزل ، اذ يقول فيه هذا الشاعر الماهــــر :

بدت لي ترنو بالعيون الفواتر ،
ولكن لها فى القلب وقع البواتر

بدت لي ، وفى قلبي المعنى بحبها
لواعج اشواق كحر الهواجـر

مهاة لها نفسي النفيسة اذعنت ،
وهل اذعنت يوما لغير الحرائر !!

بها شغفي نام ، وفى ذل عشقها،
ارى عز قدري بين أهل المفاخر !

ويقول فى مطلع قصيدة غزلية كذلك :

عذارك فى خلع العذار جلا العذرا ،
ولحظك فى الالباب قد نفث السحرا

ثم يأتي فى الكتاب ، ذكر الشاعر الفحــل ، الطاهر بن محمد بن ابراهيم البكري الذي ينشد فى ذكرى الامام البوصيري صاحب البردة والهمزية :

اذا لمعت انوار بردته فمــا
يرى معها لالاء نجم ولا بــدر

وان ماست الهمزية الغادة التي
تتيم،سلت كل قلب من الصدر

بلفظ كعقد فصلت جنباته ،
ومعنى كما تلقيه نافثة السحر

اذا تليت آياتها ، اذعت لهــا
على الرغم،فرسان البديهة والفكر

وما هي الا روضة لاح زهرها
فنونا،وماست فى غلائلها الخضر

أو البحر ما زالت تغوص خواطر
بلجتها حرصا على طلب الدر

وكم خاضت الافكار فيها فما انقضت
عجائب ما فيها ، فحدث عن البحر

ويلحق بنا الشاعر فى الاجواء العطرة لذكرى المولد النبوي ، فيقول :

برح الخفاء ، وصرح الوجد ،
وبدا الذي ما خلته يبــدو

واذا ادار المادحون الكاس من
مدح النبي ، فقد بـدأ السعد

فمديح خير الخلق ، ان شف الظما
جوف المفشوق صبابة ، ورد

فهو الحلي لأذن سامعة وفى
لهواته الحلواء والشهــد

فالذكر قد يغني عن اللقيا اذا
طال النوى ، وتقادم العهــد

فالقلب ربتما تعلل بالمنــى
والطيف ، ان اودى به البعد

وفى هذا الشعر الرصين ترجمة صادقة لقائله، تميط النقاب عن خباياه ، لأن آثار الانسان هي التي تدل عليه ، وتشهد بمقامه . وما يعرب عن المرء مثل فلتات لسانه .

وينتقل بنا المؤلف الى الشاعر العالم الفقيــه الشيخ عبد الله الفاسي ، فيروي لنا قصيدته عــن (المدنية الحق) التي يقول فيها :

الحق ابلج ، لا يخفى وان سترا ،
والنصح أجدر بالانسان ان عثرا

والوعظ انفع شيء انت قائله ،
والقول أسرع بالذكرى لمن ذكرا

لا يعدم الطعن من يرنو لمحمدة
فمن أراد المعالي يحمل الخطرا

ان التمدن من بهواه قد شرفت
منه المبادي، فحاز القصد والوطرا

ليس التمدن ما يلهيك عن عمل
يحيي البلاد،ويعلي الفكر والنظرا

ليس التمدن فى لبس وفى نزق ،
ان التمدن ما تحلو به الكبـــرا

ليس التمدن فى عيب الذين مضوا،
بل التمدن فى اجلال من غبرا

ليس التمدن ما تهواه من بدع،
وما له شرعنا والله قد حظـرا

دع التنطع ، وارع الدين ، وازعه
يميز التبر من ترب لمن نظـرا

دع التعصب ، فالاشياء ظاهرة ،
والقوم فى وعيهم قد دونوا العبرا

فاتبع التوسط، لا تجنح الى شطط،
وانظر الى القوم ، لا من لام أو عذرا

والبس لكل زمان حل حلتــه ،
فالشهم من يعرف الادوار والعصرا

هي النصائح فى نفع العباد ، وفى
مستقبل الدهر سر يصدق الخبرا

وقد ورد فى (لامية النصائح) لنفس الشاعر قولـــــه :

ما المجد الا بحسن الصنع والعمل
بهمة لم تقل بالبطء والمهـــل

اني وحقك لم أعبأ بشرذمـــة
تظن جهلا بأن المجد فى الحيـــل

روح التمدن عين الفضل،فاعن به،
ليس التمدن بالالحان والغـــزل

لا تنظرن لعيوب الناس مزدريا،
وابدأ بنفسك فى الاصلاح واشتغل

يرى الغبي القذى فى عين صاحبه،
ويترك الجذع فى عينيه من ذهل

يعمي البصيرة حب الشيء فى مثل،
ان الضرير الى الغايات لم يصل

وانما الخوض فى الاشياء ينكرها
ذوو اعتقاد صحيح جل عن زلل

كم من نبيه غدا بالرمز مكتفيا ،
وكم عنيد ، ولو أسهبت لم يحل

فاجعل ـ فديتك ـ نصب العين مذكرا:
(ما المجد الا بحسن الصنع والعمل

وهذا كما يبدو ، اسلوب يضاهي فحولة ابـــي الطيب المتنبي ، واصالة ابي تمام ، وفلسفة المعري، وتعمق ابي العتاهية ، وسمو النفس عند الطرائي .

ثم يقدم لنا المؤلف فى الجزء الاول من كتابه، الشاعر الكبير محمد السليماني الذي كان يقـــول الشعر عن شعور حي يستنهض به خامل الهمـــم ، ويقذف به فى قلوب النشء ليتقدموا نحو الامام من اجل استرجاع ذلكم العز والمجد اللذين لعبت بهما يد الجهالة . فلننصت اليه وهو ينشد قصيدته التي عنوانها (الى حماة الدين) :

حماة الدين ، هبوا من سبات ،
فمركزنا يؤول الى الخـــــراب

تركنا الدين خلفا ، لا نبالـــي ،
ولم نترك لنا غير انتســـــاب

يقول الشامتون : همو اضاعوا
كتابهمو ، ويا حسن الكتـــاب !

كتاب جاءنا للحـــق يدعـــــو
وينذرنا مفاجـــأة العـــــذاب

اما ترك الرسول لنـــا وصايـــا
تقود المسلمين الى الصواب ؟ !

وطال العهد ، فاخترنا سواها ،
ويا لحيائنا يوم الحســـــاب !

رضينا العي حتى لا فصيـــح ،
اذا ما قال سرك فى الجـــواب

ولا أحد من أهل العلم منـــــا
يقيم لسانه عنـــد الخطـــــاب

وفخفخة المعمم كيف تجدي ؟
وهل تغني القشور عن اللباب ؟!

فوا أسفا على حال زمتنـــــا
الى أن أوقعتنا فى الخـــراب !

فلا مال يصون لنا حيـــاة ،
ولا عضد يساعد فى الصعـــاب

مصانعنا ألم بهـــا فســـــاد ،
فأصبحت الصنائع فى اضطراب

وساد على تجارتنا كســـاد ،
فرأس المال منخـرم الحساب

وزاحم فى فلاحتنا انـــــاس
جنوا من ريعها عجب العجـــاب

ونحن ازاءهم فقـــراء نلقـــــي
بأنفسنا بأحضان المرابـــــي

زعانفنا ، ولا أخشى ملامـــــا
وان كثروا ، ذئـاب فى ثيـــاب

همو شبه الرجال ، ولا رجال ،
من الالباب ، فارغة الجـــراب

وما زالوا يرون بـلا حيـــــاء
عطاء الله من اهل القبـــــاب

وهذا يا حماة الدين منكـــم ،
فكيف جوابكم يوم المئـــاب ؟ !

بني العلم الرعاة ، الا افيقـــوا ،
فان الشاة فى وسط الذئاب !!!

هذا هو القول الفصل ، وهذا هـــو النصـــح الصريح ، وهذه هي الغيرة التي يتفتق عنها قلـــب المؤمن الصـدوق . وحبذا ان يكون الشعر اداة فعالة فى هذا الباب !

والى جانب هذا الشعر الرفيع فى الموعظـــة الحسنة ، ها هو شاعرنا البارع محمد السليمانـــي يكشف اللثام عن موهبة فذة ، وذوق انيق ، اذ يقول فى الربيـــع :

بزغ الصباح ، فقـم بنـــــا
نقضـــي أويقـــات الســرور

وبدت دواعي الانس فى الـــ
ـــأرجاء باهـرة الثغـــور

واتى الربيـــع مبشـــــرا
وهو المقـدم فى الشهـــور

فالروض باكرة الحيـــــا ،
والغصن منظره نضيـــــر

والنور يبسم عـــن اقـــــا
ح غبمــا يــوم مطيــــر

بنواســـم ، وبـواســـــم
عنها النسيم اتى سفيـــر

والطير قلـد (معبـــــدا)
يملي التواشي للحضـــور

وكأنما (زريـــاب) عــــ
ـــلمه تلاحيـن البحـــور

والشاعر محمد السلماني هو الذي يقول فى اباء واعتـــزاز :

اذا لم تجد للعلا سببـــــا
فخض فى الحياة بغير ملام

فكل زمان لـــه حلـــــة ،
فالق دلاءك بين الكـــرام

وليس على المرء من حرج ،
اذا عز ناصـــره فى الانام

واين الكرام ؟ واين همـــو ؟
واين منازلهم والخيـــام ؟

واين الالى ، لو بدا فضلهم ،
لأضحى نزيلهمو لا يضـــام ؟ !

أ ابذل وجهي لذى ثـــروة ؟
واعذب منه اجتراع الحمام !

ابعد ممارستي للخطـــوب ،
يرى لغني علي احتكـــام ؟ !!

ونفس الشاعر ، يرثي أم السلطـــان مـــولاي يوسف ، فيقول هذه الابيات المؤثرة فى مقدمـــة الرثـــــاء :

كل حي الى الفناء يـــؤول ،
ما لحي الى البقاء سبيـــــل

لو منحت التمكين دهرا طويلا ،
ستجيب الندا ، وانت ضئيل

انما هذه الحياة خيـــال ،
ولكل الانام فيها مقيـــل

فاعتبر بارتحال خل فخـل ،
وتزود ، ان المقام قليـل !

ويتحفنا المؤلف بعد ذلك ، بيواقيت غاليـة ، وجواهر صافية من شعر الوزير حفيد سلسلة الوزراء الاماجد ، الاديب الكبيـر ، الحـاج محمد بوعشرين الخزرجي الانصاري الذي يقول :

اذا ذكر الناس انسابهـم ،
اقول لهم : ادبي نسبـي .

وان رفع المال احسابهـم ،
قدر القريض اذن حسبـي !

وللشاعر مناظرة طريفة بين الماء والضـوء ، يقول فى مطلعهـا :

الى النباهة ما قد لاح من عجب،
فكاهة لذوي الالبـاب والادب

الماء والضوء فى فاس قد اجتمعا،
فماثلا حسنها باللطف والشنب

ومن طبيعة حال المنصرين بدت
تعلوهما غيرة من غير ما سبب

الى آخر القصيدة اللطيفة التي تنـم عن ذوق اندلسي رفيـع .

وهو الذي يقول فى فـاس :

فاس السعيدة افردت ببهائهـا
ودليل ذلك بين فى مائهـا

حاكى بقوته ، وصوت خريـره
نبع العلوم يفيض مـن علمائهـا

ويقول فى سلا والربـاط :

سلا والرباط محط الادب ،
وسوق عكاظ سراة العـرب

أزورهما شاعرا نائـرا ،
وذاك شعار حليـف الادب

كما يقول فى مكنـاس :

يا رائدا للروض والايناس ،
عرج لشم الزهر فى مكنـاس

بلد حباه الله كل لطافـة ،
وحماه من كدر ، ومن ادناس

وكساه من ثوب الجمال أرقه ،
ووقاه من شر ومن وسواس

فغدا بوجه القطر شامة خده ،
وبجيده عقدا من الالمـاس

تسمو معالمه بأعظم معهـد ،
وبخير ارض اخرجت للناس

ويقدم لنا المؤلف من أشعار القاضي الحاج أحمـد سكيرج الخزرجي الأنصاري الأنـدلسي الفاسي ، قوله فى قصيدة تحت عنوان (بني وطني) :

الا زاحموا أهل العلا بالمناكب ،
ولا تقعدوا عن نيل أسمى المراتب

عليكم باحراز العلوم ، وبثهـا ،
فتحت لواء العلم أعلى المناصب

دعوا الناس مع افكارهم واعتقادهم،
وما انتحلوه من جميع المذاهب

وكونوا يدا فى الخير واحدة ، ولا
تكونوا كسالى بين كل الاجانـب

كفى ما مضى ، ممن مضى،من تقاعس
به قد غدوا من قبل لعبة لاعب !

وينتقل بنا المؤلف الى الحديث عن الشاعر احمـد الصبيحي الذي يقول فى قصيدة تحـت عنـوان (بنـي الأوطـان) :

بني الأوطان هبوا من رقاد ،
وجدوا فى المعاش وفى المعاد

الى الدين القويم اخ المعالي ،
الى العلم المبلغ للرشـــــاد

الى سعي بذي الدنيا لكسب
تزاحم فيه اقدام العبـــــاد

فلاح فى الفلاحة لاح ، لكـن
بعلم ، واختبار ، واجتهـــاد

ولا ننس اتجارا واصطناعا ،
ووعيا فى مناهج الاقتصـــاد

فذي اسباب حق فى تـرق
الى اوج السعادة فى البـلاد

وقد برع الشاعر ايما براعة فى وصف الربيـــع اذ قـــال :

ليس فصل الشتاء الا خديما
لربيع كل البها فيـه رابـــي

انت مثلي تراه يغسل ما بفـــ
ـــرش فيه الربيع خير الزرابي!

وهو الذي يقول فى تقريظ كتاب عبير الآس مـــن تاريخ مكناس ، للعلامة عبد الرحمن بن زيدان :

عرج على مكناسة الزيتون ،
متيمنا بالتين والزيتـــــون

واقصد بأحيا بها رب القرى
من غير معرفـة ولا تبييـــن

عين البلاد ، اخ الوداد المرتضى
العالم المحظوظ فى التدوين

ذاك ابن زيدان النقيب ، ومن له
فى الخلف لطف الورد والنسرين

ابقاه مولاه لنشر عبيـــره ،
وسقى رياضا حلها بهتـــون

ثم يتحفنا المؤلـف بأشعار وهاجة مـــن الاستـــاذ (محمد بوجندار) ، صاحب المقام السامي والرتبة العالية فى عالم الكتابة والشعر والتاريخ . وابـــو جندار هو الذي يهدي هذه التحية الخالصـــة الى مدينة الدار البيضاء ، فيقول :

صدق الذي سماك بالبيضاء ،
من اجل مالك من يد بيضـــاء

ان البياض لنصف حسن ذوي البها،
وبياض حسنك حاز كل بهاء

فبياض غرتك المضيئة فى اخضرا
ر رباك ، تحت القبة الزرقاء ،

قد جاء فيه من التناسب ما غدت
ترنو اليه مقلة (الحمـــراء) !

لا غرو انت جميلة المدن التي
فى غربنا ، جلت عن النظراء

ذات الحضارة والنضارة ، والتجا
رة والعمارة من بني حـــواء

ذات المعاني والمغاني ، والغوا
ني والاغاني من لذيذ غنـــاء

حياك ثغر الأنس من دار تبـــا
هت بالمباني الضخمة الشماء

طوبى لساكنها ، وناشق طيبها
من ربعها المتـارج الأرجـــاء

يا ساكني البيضاء قلبي عندكـم
كوديعة،يا ساكني البيضاء !...

الى آخر القصيدة العصماء التي تتراقص وتنسجم فيها الأنوار والظلال ، وشتى الألـــوان التـــي تسر الناظرين ، تلك القصيدة التي ضمت مـــن الجرس الموسيقي للألفـــاظ والتعابيـــر ، والاستعـــارات والكنايات والتشبيهات والاوصاف الدقيقة ، ما ينم عن مهارة نادرة ، ونبوغ متفوق ، ورؤية شاعرية فى قمة الروعة والجمال .

وهذه شذرات من القصيدة التي قرظ بهـــا شاعرنا قصيدة الاستاذ الجزولي ، وكان القاها فى ختمة البخاري ، امام شيـــخ الاسلام ابي شعيـــب الدكالي . قال ـ لافض فوه ، ولا سعد من يجفوه ـ :

هذا شعورك ام يراعك جار ،
ببديع ما تنشيه من اشعار ؟

ام ذا طراز للغواني ، ام طـــرا
زك رصعته انامل الافكـــار ؟

أم روضة غناء غنتنا بهــــا
قمرية سحرا من الاسحــار ؟

قد جادها قطر الحيا ، فتبسمت
لبكاء جفن الهاتن المــدرار ؟

ووشت بها ايدي الربيع مطارفا
من فضة ، وزبرجد ، ونضار ؟..

اكرم بها ذكرى البخاري قد أتت
موصولة الاسناد والاخبــار

لتذكر الأبناء في مجد مضـى
لجدودنا ، في سالف الأعصار

وتبين للأقــوام آثار الألـى
سادوا ، وشادوا اعظم الآثار

وتذود عن حوض الشريعة ما طفا
في حوضها الصافي من الاكدار

وتحرك الهمم السواكن للعلا،
وتثير فيها كامــن الاسرار

وتنبه الأفكار مـن غفلاتهــا
بمواعظ التبشير والانــذار

للــه درك يا أبا عبــد الالا
ه المرتدي فينا رداء فخــار

ابشر لقد نلت الكرامة في شبا
بك،والشباب مطية الأوطار ...

ترنو بعين مفكر متبصــر ،
صافي البصيرة ، نافذ الأبصار

تهتم بالوطن العزيز ، وترتجي
انقاذه من وهـدة الأخطــار

وتود للوطني شأنا في التقــ
ـــدم ، والتقدم منية الأحرار

صدقت مطامحك التي أملتها ،
بالرغم من حسادك الأغمار...

والله يعلم ما تكن ، وقد كفى ،
والله مطلـع على الأســرار

وعليك في مسك الختام تحية
من خلك الأوفى أبي جنـدار

ويقول شاعرنا في قصيدة أرسلها الى شيخ الاسلام ومحيي السنة بهذه الديار شعيب الدكالي بمناسبة زفاف ولد الاديب موسى ، تحت عنوان : (لقــد اوتيت سؤلك يا موسى) :

اي وجه حيى ، فأحيا النفوسا
بابتسام ، وكان قبل عبوسا ؟

اعروس تبسمت ، أم عــروب
قد سقتنا من ثغرها خندريسا؟

أم صبيح اتى الرياض صباحا ،
فتعاطى مع الصباح كؤوسا ؟

كشموس تبدو بكف بــدور ،
فانظروا للبدور تبدي الشموسا!!!

هل لهذا وذاك وفد التهاني ،
للتداني ، اناخ عيسا فعيسا؟

او زمان قد جاد لي بالأماني
وجلاها بكرا عروبا عروسا ؟

كعروس قد اجتلاها شعيــب
لزفاف ابنه المهذب موسى؟!

الى ان يقــــول :

يا سقى الله ربعه من مقــام
دام بالعلم آهـلا مأنــوسا !

... اشهد الله أنني (لشعيب)
(ولموسى) مقدس تقديسا !

والقصيدة كلها درر يتيمة لا تقدر بثمن . وهي بحق على قدر من قيلت فيه . والهدايا تكون دائمــا على قدر مهديهــا !

ثم يروي لنا المؤلف نفحات زكية من شعــر الأديب النابغة احمد النميشي الــذي يقــول في قصيدة تحت عنوان (يا معشر الشباب) :

العلم أجمل حلية الانسان ،
فاسعوا اليه معاشر الشبان

وردوا بشوق مترعات حياضه،
متسابقين تسابق الظمئــان

واسعوا باسراع لقطف ثماره
من قبل فوت الوقت والابان

وتنافسوا فى نيل كل فضيلة ،
وتشبثوا باوامر القــرآن !

كم زل فى درك الشقاوة ملحد ،
ونجا المقر بوحدة الرحمــان

فالدين اس صلاحنا ونجاحنــا ،
والدين اصل سعادة الاوطان

ولهذا الشاعر ايضا قصيدة جميلة فى الغزل **تحت عنوان** (داء الصدود) يقول فيها :

جس الطبيب يدي،كي يدرك الألما،
وصاح بالسمع نحو القلب فابتسما

وقال : ماذا الذي تشكو؟فقلت له:
انت الطبيب الذي تستكشف السقما

فقال لي: قد فحصت الجسم منك فما
الفيت ضرا ، ولم الحظ به ألما

فقلت : دائي عياء لست تعرفه،
قد حار قبلك فى تشخيصه الحكما

دائي صدود الذي اهوى وجفوته،
ووصله نعمة قد فاقت النعمـا !

فقال: داء عضال قد اصبت به،
فودع العيش،وارقب بعده العدما!!

وتحدث لنا المؤلف كذلك عن نقيب اشراف مكناس **وزرهون** واحد علماء المغرب ومؤرخيهم ، **الشيـخ الجليل** عبد الرحمن بن زيدان ، صاحب **المؤلفـات القيمة** ، والمخطوطات النادرة ، والآثـار **النفيسة العديمة** المثيل . فهو الذي يقول فى ذكرى **المولد النبـوي** الشريف :

نزه الطرف فى رياض المعاني ،
وتنعم بنور تلك المغانــي

الى أن يقول بعد تشبيب ـ على العادة المتبعة **عند الشعراء** الأصلاء ـ فى منتهى الروعة والابداع :

قسما بالهوى ، فمالي مـلاذ
غير خير البريـة العدنانــي

رحمة الخلق،اجل الخلق،لب الـــ
ــرسل ، سر السريرة الحقاني

بهجة الكون،نكتة الخلق، روح الـــ
ــحق،فرد الوجود من غير ثان

طالع السعد،فى سماء سعود ،
برجه اليمن وهو فى الميــزان

نوره ، قد جلا الغياهب عنا ،
مذ تجلى لنا بكـل الأمانــي

وتحلى بحلة الفخـر فــردا
ما له فى الوجود ند مدانــي

مجتبى، مرتضى، مهيب، مطاع ،
مقتفى، منتقى منيف المكــان

قد رقى للسماء ليلا ، وحـلا
ه الاله بافخر التيجـــان

وله الجذع حن شوقا ، ولبتـــ
ـه الغصون تسعى بمرآى العيان

وبصاع غذى وروى جياعا ،
وأوامى ، والصاع فى رجحان

شهد الذيب بالرسالة والضـــ
ــب له فى مـلا من الاعيــان

وله العود جاء يشكو ظلومــا
قد سقاه الردى وطعم الهوان

وله ظبية أتت فى التجـاء ،
فى غدو لنسلها الغرثـــان

حبه الزاد فى المعاد ، وذخر ،
مدحه الحصن من كروب الزمان

عطفة عطفة ، ولطفا وامنــا ،
ونوالا فى سائـر الأحيــان

وسرورا ينفي الشرور، ويسري
لجميع الأنام فى كــل آن

يا رحيما رحماك لي ، وتفضل
يا حليما علي بالرضـــوان

فبكم أسال الاله يقينـــي
كل هول ، وشر ذي طغيــان

وبذات الفخار ، فاطمة الزهـ
ـراء ، والبعل، والبدر الحسان

جاهكم للورى ظليل ، وكـل
آمن فيه ، رافل في التهاني

قد انخت الرحال آمل عطفـا
سابغا كي يريح ما قد عراني

فافتحوا باب فضلكم لسؤالي ،
والي انظروا لدى كـل شان

يا رسولا للرسل جاء ختاما ،
وابتداء لجملـة الأكـوان ،

انني بالذنوب جئتك ارجـو
عفو ربي ، يا كعبة الاحسان !

ولو لم تكن للعلامة مولاي الرحمن بن زيدان سوى هذه القصيدة وحدها ـ مع ما له من عطاء مدرار في شتى فنون الادب والثقافة والعرفان ـ لكفاه ذلك فخرا واعتزازا ، وشاهدا على علو كعبه ، ومقدرته الفائقة في تبليغ خواطره وعواطفه الجياشة .

وننتقل الآن الى الحديث عن احد فحول شعراء المغرب ، وهو الأديب الكبير الاستاذ محمد الجزولي الذي يعتبر احسن حلقة ذهبيـة في السلسلـة الشعرية التي تصل بين شعرائنا الناهضين المفكرين، وبين تلك الطبقة الكبيرة الاولى ، التي ننحني اجلالا لمقامها الكريم ، وقدرها المنيف . ولـن ينسـى التاريخ أبدا آثار تلك الفكرة الصناع التي ترصع الشعر الغالي : فقد تناقلته الاسمـاع ، وتهـاداه الأخلاء ، وتنافس فيه المتنافسون ؛ ولئـن كـان الأديب في زمانه محل عقوق ونكران من الحاسدين ، بحيث يصدق عليه قول ابي العلاء المعري : (قلـم البليغ بغير جد مغزل) ، فان الآثار الحسنة تفرض نفسـها ، والبقاء للأصلح .

يقول شاعرنا في الرباط وختمة شيخ الاسلام ابي شعيب الدكالي :

رباط الفتح مأوى الفاتحينـا
بكعبته يطوف الناس حينـا

هو البلد الأمين ، ومن بنـاه
عظيم من ملوك المسلمينـا

الى (المنصور) نسبته ، وأعظم
به نسبا يزكـي الناسبينـا

بناه آية كبـرى بوضـع
يدل على اقتدار الواضعينـا

منار قام في الدنيا خطيبا ،
الى الآتين ينعي الذاهبينـا

اذا ذكرت بلاد الغرب أضحى الـ
ـرباط مدار ذكر الذاكرينا

بلاد لم تكن وطنا لهـم ،
وما برح السرور لها خدينـا

تفيض ربوعها لبنا وشهدا ،
وتؤتي أكلها عنبا وتينـا

الـى ان يقـول :

وعند الروض يحلو العتب ليلا ،
اذا ما الحب أضنى العاشقينا

تغيب الشمس غيرى حين تبدو
شموس فيه تعشي الناظرينا

الـى ان يقـول :

أباة الضيم ، عند الخطب أسد ،
اذا جاس العدو لنا عرينـا

فنحن القاصمون اذا غضبنا ،
ونحن القاسمون اذا رضينـا

فديتك ، هل يقاس بنا سوانا ،
ونحن من التجلة كيف شينا؟!

فشمس الملك تطلع من ذرانا
تضيء بها الغياهب والدجونا

ونور العلم ننشره لدينـا
امام ذوي المعارف اجمعينـا

عماد الدين ، بحر العلم ، قطب الـ
ـحديث ، منار هدي المهتدينا

فلا والله قبله مـا رأينـا ،
ولا والله بعـده ما لقينـا !

اذا ما قال : (اما بعد) يوما
تخر له جباه الخاطبينـــا

كذلك ينبغي ، وجلال ربي ،
لمن يبغي الفصاحة ان يكونا

هلم ترى العوالم ضمن شخص
أتاه الله تبيانـــا مبينـــا

ويا لله منـــه حين يملـــي
شروح كتاب رب العالمينا !

بتفسير يكاد يكـون وحيـــا
لعمرك من كرام كاتبينـــا

الـــى ان يقـــول :

وان الدين عنـد الله قـــول
وفعل ، لا كرقص الراقصينا

وان الذكر ليس بقرع طبل ،
ومزمار علا ذقنا لعينـــا

وان الدين من هذا بـــراء ،
وان الله يخـزي المدعينـــا

لبسنا الدين مقلوبا لبطن ،
وصيرنا الأعالي سافلينـــا

(أمور تضحك الجهلاء منها ،
وتبكي من عواقبها الفطينا)

وان ذوي التصوف من تخلوا
وكانوا بالتخلـي عاملينـــا

وان ولاية الصلحاء حـــق
متى لله كانـوا خائفينـــا

وان سؤالك المخلوق شرك ،
وقد لعن النبـي الفاعلينـــا

فلا تسال اذا احببـت سؤلا
سوى رب يجيب السائلينـــا

وان العبد مهما كان ، عبـد ،
وان الرب رب العالمينـــا

الـــى ان يقـــول :

لك البشرى فؤداي ، ان يومي،
يساوي ما مضى مني مئينـــا

رشفت رضاب ذاك الختم رشفا
فمن فرحي اسلت الدمع سينا

هنيئا للرباط وساكنـــه ،
لقد فزتم به فوزا مبينـــا

الـــى ان يقـــول :

اليك ابا المكارم من محـب ،
شذورا صاغها تاجا ثمينـــا

يقدمها كورد غب قطـــر ،
ونسرين يعانق ياسمينـــا

فيا شيخ العلوم ، ويا فتاها ،
واعلم من قرا هندا وصينـــا

جزاك الله عنا كل خيـــر
يكون به جزاء المحسنينـــا

ويقول شاعرنا فى الانتصار التركي :

ايا مصطفى من بين صفوة قومه ،
ويا منقذ الأوطان من قبضة العدى،

ويا بطل الاسلام، يا حاقن الدما،
بسفك دماء من على الوطن اعتدى

ليهنك ان قد قمت فردا بحمل ما
به ناء ذو تاج قصـــار مقيـدا

ومن عدم أبرزت جيشا وقوة ،
سحقت بها جيشا،وارهبت من عدا

خسفت بقسطنطين عرش جلاله،
واشقيته من بعد ما كان اسعدا

واضحكت ثغر الشرق بعد تجهم،
وانسيته من همه ما تكبـــدا!

سيذكرك التاريخ ذكرا مخلدا،
وحسبك مجدا أن تكون مخلدا!

ولنفس الشاعر قصيدة طويلة جدا تقع فى مائتــي بيت ، ضمنها تاريخ البخاري ، وترجمة حيتـــه . ونقتصر هنا على نشر هذه الأبيات القليلة منها :

ان لم تكن لي يد فى العلم ابديها
فان لي ذمة منه ارجيهـــــا

حسبي بها ذمة أني أمت بهـا
لحافظ السنة الغرا وحاميها

نظمت سيرته ذكرى أشير بها،
وللشباب ، شباب الغرب اهديها

لعل نابتة فى الغرب واعيـــة
يثير فيها كمين المجد تاليها

الى أن يقول فى آخر القصيدة :

يا امة رقدت فى كهف غفلتها،
متى يهب من الاحداق غافيها؟

طال المنام بكم حتى تقدمكم
من كان قبل ضعيف الحال واهيها

قوموا اسلكوا الارض،وامشوا فى مناكبها،
ثم انظروا كيف صارت حال من فيها

فى كل يوم ترون المعجزات،فلا
ينفك حاضرها يزري بماضيها

اليس هم بشرا فى الارض مثلكم،
وانتمو قبلهم كنتم مواليهـــا ؟

فما الذي عاقكم عن مثل سيرهمو،
وسرتمو ككسيح الرجل حافيها؟

العلم قدمهم ، والجهل اخركم ،
حتى نأوا شقة شسع فيافيها . . .

الـــى ان يقـــول :

فيا رعى الله أياما لنا سلفــت
تبكي معاهدها حزنا ونبكيها !

كانت دمشق وبغداد وقرطبة
من كل فج وفود العلم تأتيها

فلم نحافظ على ذاك التراث ولا
على مآثر شادتهـــا بأيديهـــا

لما فشت بدع لم تروها كتب
فينا ، ولا سنن تروي دعاويهـــا

ما انزل الله سلطانا بها أبدا ،
ولا نبي بمأثـــور يزكيهـــــا

قد سودت من جبين الدين غرته ،
وسربلته رداء من مخازيهـــا

يا قوم ان طريق الدين واحدة ،
ولن يظل الذي يمشي بواديها

سيروا على نهجها،نهج الصحاب،ومن
شادوا بعزمهمو اسمى مبانيها

هذي نصيحة مفتون بحبكمو،
والله يعلم من نفسي امانيهـــا

ومن بين الشخصيات اللامعة فى فنــون الكتابــة الرفيعة شعرا ونثرا ، الاستاذ محمد بن اليمانـــي الناصري الذي كان شعره الحماسي ينم عن اخلاص للدين ، وكانت اهازيجه توقد لهيب الغيرة والشعور بين الجوانح ، وتحض على التقدم وشحذ العزائم . يقول فى ذكرى المولد النبوي الشريف :

ارى دول الاسلام عاد سرورها،
بعود ربيع الفضل،بل زاد نورها

وقد ظهرت فى عيده بمظاهر،
بها دولة الاخلاق تم ظهورها

وقد نشرت فيها المحاسن سيرة
لخير نبي كان منه نشورهـــا

ولا غرو فالتوحيد وحد أمــة
تدين به حتى ترقى شعورها

طريقتها المثلى اجل طريقــة
على قمة التاريخ تملي سطورها

يعز علينا أن نراها تفرقــت ،
وقد اظلمت آصالها وبكورها

الـــى ان يقـــول :

لعمر الهدى ، لولا الأمير محمد
لما ابتسمت للمصلحين ثغورها

الم يقم الذكرى لمولد جــده
بليلة عيد قد تجلت بدورها ؟

واشرقت الدنيا بها وتجملت
وعم جميع الكائنات حبورها

فأكرم بها من ليلة نبويــــة
عن الفضل والاحسان كان سفورها

تجلى بها المولى الامام محمد
بهمة شهم ليس يخرق سورها

اقام لها الذكرى بداخل قصره
فحنت له من نجو طيبة دورها

اقر بها عين الهدى فتفتحت
له من رياض الذكريات زهورها

وقد بسطت فيها موائد فضله ،
ففاز بنيل المكرمات حضورها

وتم لمن قد زار حضرته المنى،
فيا فوز من قد جاء منا يزورها

يرى طلعة فيها السعادة أشرقت،
وسنة خير الخلق قام غيورها

ويدعو لها بالنصر والظفر الذي
تزيد به عند الاله اجورهـــا

وينفض هذا الجمع والكل قائل:
أرى دول الاسلام عاد سرورها

ويقول فى رثاء الأديب العربي الكبير مصطفى لطفي المنفلوطـــي :

ما للمعارف ترسل (النظرات)
نحو الثرى ، وتسلسل(العبرات)

هل (فى سبيل التاج) خان العهد من
باع الحمى بخسائس الشهوات؟

كلا ، ولكن مات سحار النهى
سلابها بروائع النفثـــات

المنفلوطي الـذي أقلامــــه
من دونهن رواعف القنـــوات

من يلق نظرته على (نظراتـه)
يلق المحاسن كلها فى الذات

بل يعتبر (عبراته) من خير ما
جاد النبوغ به من الحسنات

ان غاب عنا لم تغب آثــاره ،
فالسـر فى آثاره المظــرات

الـــى ان يقـــول :

يا مصطفى وليت عنـــا لابسا
حلل الثناء موفق الخطـوات

فعليك من أهل السلام تحية ،
تنداح بالريحان والرحمـــات

ولم يفت المؤلف أن يقدم لنا نماذج رائعة من شعـر الشاعر جعفر الناصري حفيد المصلح الديني الكبير سيدي محمد بن ناصر صاحب الزاوية التمكروتية . وغير خاف ان الأسرة الدلائية مع الأسرتين الفاسية والناصرية كان لها معا القدح المعلى فى الاصــلاح الديني بالمغرب ونشر العلم خلال أواسط القــرن الحادي عشر الهجري . ولا بدع فى ذلك ، مــا دام شاعرنا جعفر الناصري هو ولــد المؤرخ الشهيــر أحمد بن خالد صاحب الاستقصا . وقــد كان الى جانب ثقافته العربية الواسعة ، ضليعا فى اللغــة الفرنسية ، الشيء الذي اضفى على عرائس أفكـاره حلة جديدة من الجاذبية والرونق والجمال .

يقول فى قصيدة عنوانها (باريس) :

دع الوقوف على الأطلال والدمن،
وما يهيج من شجو ومن شجن

واذكر محاسن باريس وما جمعت
مما يسليك عن أهل وعن وطن

فكل شيء بها مستحسن حسن،
وكل نفس بها تسلو عن الحزن

لله أنهارها الملتف جانبهــا
ذات الخمائل والأدواح والفنن

أما القصور فقد اضحت مصافحة
نجم السماء ، وقد أربت على القنن

كم فى جوانبها من كل آنسة
بين الحسان أتت كالبدر فى الدجن

فالورد من خدها استعار حمرته،
والشمس فى وجهها تجري مدى الزمن

فى طرفها دعج يزينه غنـج ،
وثغرها جوهر در بلا ثمـن

باريس،قد حزتفى ذي العصر منزلة،
وتهت عجبا على الأحياء والمدن

وقال يصف جميلا فى حلـة :

وشادن فى حلـة
خضراء مثل السندس

كأنـه لما بـدا
يزهو بـذاك الملبس

شمس الضحى قد اقبلت
من فوق غصن مكتسي

ذو غـرة غـراء فـو
ق حاجب مقـوس

ووجهـه كقمـر
فى ليلـة من حنـدس

وخـده كـوردة ،
وعينـه كالنـرجس

وخالـه كعنبـر ،
او قطعـة من ابنـس

سبحان من جعلـه
جوهـرة فى مجلـس !

ثم يتحدث لنا المؤلف عن الشاعر الرقيق والكاتب البليغ ، محمد جنون الفاسي مولـدا ، والسلاوي نشأة ودارا ، فيروي لنا عنه قصيـدة عنوانهـا (سياحة فى نهر أبي رقراق) :

راق العشي على أبي رقراق ،
ورقى ، ورق بمائه الرقراق

وصفا الزمان، وتم انس جميعنا،
وسقاك من خمر المسرة ساقي

مع فتية طابت محاسنهم وقد
فاقوا بحسن الخلق والأخلاق

ما منهمو الا أديب شاعـر
ذو عفة ، ونزاهة ، ووفـاق

او مؤنس يتسيك طيب حديثه
ما فى بطون الكتب والأوراق

او منشد يشدو ، فيطربنا بما
يزري بابراهيم او اسحـاق

او بدر تم فى الملاحة مفرد ،
او فاتك يسبيك بالأحـداق

او اهيف يزهو بلين قوامه ،
او شادن يسطو على العشاق

والجو طلق ، والنسيم معطر ،
والوقت فى زهو وفى اشراق

والنهر ينساب انسياب النور فى
لمعانه ، وصفائه البـراق

والفلك تجري كالرياح ، وتارة
ترسو ، وتطرق ايما اطـراق

تدنو وتبعد بالمجاذف،فهي ما
بين افتـراق دائما وتـلاق

فكأنها صب يروم الوصل من
ظبي نفور ، غير ذي ميثـاق

وعن اليمين ترى رياضا أزهرت
وزهت بشدو الورق فى الأوراق

وعن الشمال ترى مروجا اينعت،
وسمت بطيب نسيمها البراق

يا حسنها من جلسة لو لم تكن
قد شيب صفو مزاجها بفراق

ان النوى سيف على اهل الهوى
ما زال مسلولا على الأعنـاق

ويخاطب بهذه القصيدة صديقه الشاعـر النابغـة عبد الرحمن حجي الذي كان متغيبا بلندرة اذ اذاك :

غبت عني ، فغاب بعدك انسي ،
واستوى فى الحياة يومي وأمسي

كنت مني كالروح أفضي اليها
بخفيات ما يجول بحـلسي

كنت لي كالسراج اعشو اليه،
ان دجا حالك الهموم بنفسي

كنت آوي الى جناب رحيب
منك فى حالتي نعيم وبؤس

كنت اسلو عن كل هم وغم
عند ما نلتقي ، ويعظم انسي

الى أن يقول :

لهف نفسي على زمان تقضى
مثل طيف سرى ، ولذة خلس

يالها من أيام أنس ولهو
خلتها فى السرور ايام عرس

ذقت فيها لذيذ عيش شهي
ولبست الأفراح اجمل لبس

ولئن غاب عن جفوني شخص
منك ، ما غاب عن ضميري وهجس

فقلوب الاحباب مهما تناءت
تتناجى بجهر سر وهمس

ليس عهد الاخاء منك مضاعا،
لا ولا ودك الصميم بمنسي

واذا فاتنا اجتماع بجسم ،
لم يفتنا الخطاب فى عرض طرس

ويقول عن رباط الفتح :

ان الرباط له فضل على المدن ،
لأن فيه سلو الروح والبدن

ما شئت من روضة غناء مونقة
فيها الطيور شدت زهوا على فنن

وفيه ما تشتهي فى كل غانية
حوراء تسبي فؤاد العاشق الشجن

لا زال ماوى الظباء الغيد قاطبة ،
هذا دعائي له فى السر والعلن

ومن شعره الحماسي :

افيقوا من سبات طال جدا ،
وصونوا ، واحفظوا للمجد عهدا!

اترقى ذروة العلياء يوما ،
ولم نقدح من الاصلاح زندا ؟

الا لا يبلغن المجد من لا
يكابد عمره تعبا وجهدا!

افيقوا ، واستعدوا ، واستقيموا ،
وردوا بالصرامة من تعدى

وكونوا مثل بنيان متين
تقاومه الرياح وما تردى

لعل الله يصلح ما فسدتم
ويدرا عنكم كيدا وحقدا

الى أن يقول :

بني قومي اجيبوا من دعاكم
ولبوا دعوتي ، فالجهل أردى

نرى أمم التمدن فى ارتقاء
ونحن كأننا ننحط عمدا

فآه ثم آه ثم آه
لشعب المغرب الأقصى المفدى!

تقدم غيرهم ، وهمو جثوم
كأن الباب دون الشعب سدا!

بني قومي ، أراكم فى ارتباك ،
وقد صيرتمو لله ندا

بني قومي أراكم فى انحطاط
وقد اخلفتمو لله وعدا

الى أن يقول :

بني قومي ، بني قومي اجيبوا ،
وخلوا واتركوا مهلا رويدا!

فنحن اليوم فى عصر جديد
بأصناف العجائب قد تبدا!

هلموا يا بني قومي ، هلموا
الى التعليم ، واتخذوه وردا!

وحيوا زمرة قامت بحــق ،
تبدل غيكم بالعلم رشــدا

تسير بكم الى سنن التآخي
تبلغكم بحسن الظن قصــدا

فحيوها بقصــد واحتساب ،
فقد قامت تكف المستبـــدا

فحيوها وبيوها جميعـــا
فقد نظمت شتات المجد عقدا

فحيوها ولبوا ان دعتكــم ،
وصونوا واحفظوا للمجد عهدا

وكما يرى القارىء الكريم ، فان هــذا الشعر مــن السهل الممتنع ، يفيض سلاسة وعذوبة ، كما يتدفق بروح وطنية اصلاحية صادقة .

ويروي لنا المؤلف نفحات شعرية رائعة مــن شعر الاديب اللامع محمد الناصري الذي يقول :

لسلا معال شأوها لا يلحــق
من دونها سور المهابة محدق

وبها ترى دوح المعارف مثمرا،
وبها بدا نور العلوم المشرق

بلد به حل الكرام وخيمــوا ،
بلد به أصل الفصاحة معرق

بلد لاهل العلم أضحى موطنا
من علمهم متلاطــم يتدفــق

اهل البلاغة والبراعة والندى،
ما منهمو الا فصيــح مفلــق

فهم الالى طاب المديح بذكرهم،
وبشعرهم جيد الزمان مطوق

واذا همو مدحوا،فذاك الشهد ، بل
در البحور ، على النحور يعلــق

واذا همو فخروا ، تقول تعجبا :
هذا السموال او حبيب ينطق !

ويتحدث الشاعر عن ذكرياته فى مدينة مكنـــاس ، فيقول فى غاية الرشاقة والخفة والبراعة :

امنازل الأحباب فى مكنـــاس ،
مأوى السرور ، ومعهد الايناس

افديك من مغنى فسيح آهل
بشموس انس او ظباء كناس

عذبت مناهلها ، وطاب هواؤها،
فغدا يفوق شذا عبير الآس

لله ايام تقضت لي بهـــا
مع فتية واحبــة اكيـــاس !

ايام افراح مضت لي خلتهـــا
لجمالها عرسا مــن الاعراس

والدهر يبسم عن ثغور مسرة ،
والعيش لدن ، والزمان مواسي

آه على تلك السويعات التـي
قصرت ومرت مثل طيف نعاس !

ما كان احلى الوصل فى تلك الربى ،
ما كان ابــرده على انفاسي !

نلت المنى ، وقضيت حقا للهوى
عن رغم انف الكاشح الجساس

فارقتها ، والدمع جار مرسل ،
والقلب فى وهج وفى وسواس

الله يعلم منذ شطت دارهــا
ماذا اكابد فى الهوى واقاسي!

لم انس يوم حللتها وجدي بها ،
كلا ، ولست لعهدها بالناسي

يا ليت شعري، هل يعود الوصل لي
واجدد اللذات فى مكناس ؟ !

حياك يا دار الهوى صوب الحيا
وسقاك وبل العارض البجاس

ويقذف الشاعر بانتقاده الساخر اللاذع ، فيقول عن (جيـــل التصـــوف) :

(أيا جيل التصوف شر جيل)
اضل وضل عن نهج السبيل

احلتم حال دين الله حتـــى
(لقد جئتم بأمر مستحيـــل)

(أفي القرآن قال الله فيكم) :
تغنوا وارقصين على الطبول ؟

أم الشيطان ناداكم يقـــول :
(كلوا اكل البهائم وارقصوا لي)؟!!

هذه هي الباقات التي عن لي أن اقتطفها مـــن الجزء الاول من هذا الكتاب ، وهذه هي العقود التي حلت جيل المغرب الاقصى في حقبة هامـــة مـــن أحقاب تاريخه الوطني ، وكفاحه البطولي من أجـــل الحفاظ على عراقته وأصالته . فشكرا للمؤلف رحمه الله على ما اسداه لهذا البلد الأمين من الجميـــل ، بحفاظه على هذا التراث النفيس الذي اثرى رصيدنا الهائل في الآداب . والى اللقاء ايها القارىء الكريم في الحلقة الثانية من هـــذه الجولـــة ، بحول الله وقوتـــــه .

محمد بن محمد العلمي

فيلسوف ينقد الشعراء

للأستاذ أحمد تسوكي

ولد الشعر العربي الحديث – الذي اصطلح على تسميته بالشعر الحر – معزولا عن الفنون الاخرى ، ولا يزال الى اليوم يعاني من هذه العزلة . والسبب الرئيسي والجوهري في هذه العزلة ، أن ميلاد الشعر العربي الحديث ونشأته وتطوره ، كل ذلك جاء تعبيرا عن غضب وسخط وتذمر عارم على الشعر العمودي – الذي اصطلح على تسميته بالشعر الكلاسيكي – ، وعلى شكله بالدرجة الاولى ، ثم على مضامينه ومعانيه بالدرجة الثانية . وهكذا ارتبطت حركة الشعراء العرب المحدثين بشكل القصيدة اكثر من ارتباطها بمحتوى القصيدة . فثورة شعرنا الحديث اذن ، هي ثورة التفعيلة على العمود ، اي ثورة معمار وشكل جديدين على معمار وشكل قديمين .

ومن ثم اتجهت الدراسات والكتابات النقدية التي صدرت عن حركة الشعر العربي الحديث ، منذ فترة الاربعينات حتى الآن ، الى ابراز هذا الفارق بين شعر جديد وشعر قديم ، أو قل بتعبير أصح بين شكل جديد وشكل قديم . ولم تستطع تلك الدراسات والكتابات أن تتجاوز هذا الفارق الشكلي الى ما هو اهم واخطر في التجربة الشعرية الحديثة ، كما لم يستطع اصحاب تلك الدراسات والكتابات والابحاث – الا في حالات نادرة – أن يرقوا بأفكارهم وآرائهم ومواقفهم الى مستوى المضمون والقيم الجمالية والاخلاقية والفلسفية والفنية التي ينطوي عليها شعرنا العربي الحديث .

وظل هذا الشعر عاجزا عن استقطاب أصحاب الفكر والفلسفة والتحليل النقدي الواضح والتقييم العقلي الصارم اليه ، اذ بامكان هؤلاء وحدهم أن يكشفوا لنا جوهر التجربة الشعرية وصدقها واصالتها بغير انفعال أو تعسف . ولقد حدث ذلك مثلا في الفنون الادبية الاخرى كالقصة والرواية والمسرحية – رغم انه فن أدبي حديث – ولكنه لم يلج دائرة الشعر ، بحيث توقفت الدراسات والبحوث التي تتناول الشعر العربي الحديث عند الشكل والتفعيلة فقط ، ولا تزال فئة كثيرة من النقاد العرب مولعة ولعا شديدا بهذا الاتجاه والضرب من الدرس والبحث .

ولسنا ندري بالضبط اسباب وبواعث هذه الفجوة التي فصمت بين الشعر الحديث وبين المفكرين العرب المعاصرين ، ولسنا ندري من يتحمل وزر هذه القطيعة بينهما ؟ هل الشعراء انفسهم ، أم النقاد ، ام المفكرون ؟ أو أن القضية لا تحتاج الى تفسير ، لان الشعراء يخاطبون العاطفة والمفكرين يخاطبون العقل ، فلكل اذن مجاله المرسوم الذي يتحرك ويبحث فيه ، ولا التقاء بينهما الا ما دبرته المصادفة البحتة .

ولقد تلقفت الاجيال الجديدة الشعر الحديث بمجرد ظهوره ، وتبنته وارتبطت به وبثورتـه على القديم . غير ان تجاوب جيل الرواد من الشعـراء والادباء والكتاب والمفكرين مع الشعر الحديث كان فاترا ان لم اقل باردا ، اذ اعرضوا عن هذا الوليد الجديد ، ونفروا منه ، وامسكوا عن قراءة نتاجـه الغزير الذي توالى كالسيل الجارف في نهـر عرف ركودا طويلا . حقا ، لقد كان الشعر الحديث تعبيرا حيا وقويا عن تطلع الاجيال العربية الشابة التي كانت تتوق الى عالم تسوده قيم جديدة في كل مجال من مجالات الحياة العربية المتوثبة المتطورة ، سيمـا بعد حرب عالمية طاحنة ، لم تسلم تلك الاجيال من الانفعال والتأثر بها وبما تمخضت عنه ؛ فاذا لم تكن تلك الحرب قد صهرت الانسان العربي في أتـون المعاناة والالم والحزن والمشاعر المتفجرة مثلمـا فعلت للانسان الاوروبي ، فلقد مست جلده بحروق، والهبت ضميره ، وارهفت احساسه وشعوره .

والحق انه كانت تحين بعض الفرص لواحد من هؤلاء الرواد الذين كانوا يمثلون – خير تمثيـل – الوجدان العربي الاصيل ليقترب من الشعر الحديث ويهضمه ويتمثله بطريقة صحيحة ، ويتفهم اسباب ظهوره وبواعث وجوده ، ويعترف بعد ذلك اعترافا ضمنيا او صريحا بهذا الهمس الجديد الذي لم يكن قد اكتسب في تلك الفترة مقومات الصوت الـذي يفرض نفسه فرضا . الا ان ذلك لم يحدث مطلقا ؛ فانقسم الناس في موقفهم منه الى ثلاث طبقـات تبنت ردود فعل متباينة ومتفاوتة ؛ فالاقلية وهـي معدودة على رؤوس الاصابع ، ايدت بدون تحفظ هذه الثورة الجديدة في الشعر واعتبرتها روحا جديـدة له وبعثا جديدا لشعرنا العربي ، وفئة ناهضتهـا وناوأتها بأعلى صوت في كل المنابر الادبية ، وبينهما فئة ثالثة آثرت الصمت ، لعلها كانـت تنتظر مـن سينتصر في النهاية لتؤيده وتمنحه صوتها .

وربما كانت اسوأ تلك الطبقات ، طبقة اختارت أن تحارب الشعر العربي الحديث بالسلاح الابيض ، أي بالمقالات والابحاث والاحاديث والتصريحـات القاسية والجارحة التي تتسم بالسخرية منه والتهكم عليه وازدراء دعاته واتهامهم بالانتماء الايديولوجـي لهذه الجهة او تلك . وكان هؤلاء الدعاة يستمعـون لذلك كله ، ويستقبلون أصوات المعارضيـن لهـم واحكامهم ومواقفهم بروح من الاستعلاء والاستخفاف والاستهزاء ، لانهم كانوا يعرفون مسبقا أن القديم لن يرحب بهم ، وأن هجمته على الجديد ستكون عنيفة وشرسة ، وان وقع الهجمة ودويها لن يكونا باقل من وقع ودوي الصاعقـة في الآذان ، فالمعركـة اذن ليست سهلة ، انها سنة الحياة ، فالقديم لا يخلـي الطريق للجديد بسهولة ، وسيقاوم طلائع التيـار الجديد ، فلا بد اذن أن تتعاظم وتنمو ثورة الجديـد على القديم ، حتى يثبت اقدامه على الارض ويرسي دعائم الرسالة الجديدة التي يدعو اليها .

وكانت النتيجة أن اتسعت الفجوة بين الجيل القديم والجيل الجديد ، واسوأ من ذلك ، ازدادت الهوة عمقا بين النقاد والشعراء . وهكذا حيل بيـن الشعر العربي الحديث وبين النقد الناضج الـذي يصحح خطوات الشعراء المحدثيـن في وثبتهـم الجديدة بفكر متزن وأدوات واعية متبصرة . وشاع وانتشر في الميدان النقد التهافتي الـذي ينهـج اصحابه ايسر واسهل الطرق والسبل ، مثل اختلاق الاتهامات وتوجيه الشتائم واصدار الاحكام الجاهزة واسداء النصائح ومحاولة انشاء جبهات ومحـاور نقدية هدفها مناصرة هذا الشاعر على ذاك بـدون اسباب منطقية . والمهم أن النقد الادبي لحركـة الشعر العربي الحديث نأى عـن وظيفتـه الاساس واصبح دمية يلهو بها الصغار في محراب الكلمة .

وهكذا خسر الشعر الحديث بمقدار ما خسر النقد الحديث او اشد ، وكانت خسارتهما كبيـرة وجسيمة ، ومن الصعب والعسير تعويـض هـذه الخسارة في سنة او في سنوات ، بل الامر يحتاج في رأيي الى جيل على الاقل يحمل مشعل النقـد الواعي ليضيء به المسالك ويحدد معالم الطريق .

الا أن الصورة لم تكن دائما قاتمة ومعتمة الى درجة توحي لنا بالتشاؤم من مستقبل النقد تجـاه حركة الشعر الحديث ، فلقد كانت ساحة النقـد لا تعدم – بين الحين والآخر – واحدا او اثنين او ثلاثة على الاكثر يحاولون بصدق واخلاص وحسن نيـة أن يضعوا حركة الشعر الحديث في مسارها واطارها الحقيقيين ، وأن يشكلوا – على غير اتفاق بينهم –

موقفا معتدلا يدعو أو يتبنى رايا نقديا وسطا ، ليس فيه القبول التام أو الرفض التام .

بيد أن واحدا من جيل الرواد ابى الا ان يواكب ثورة الشعر العربي الحديث ، وان يتأبى الانسياق مع الآخرين في اصدار الاحكام والمواقف النهائية ، بل فضل ان يقرأ جيدا وبعمق أجود واحسن نماذج ذلك الشعر ، وان يخضعها للتحليل والنقد والتشريح الدقيق ، بعيدا عن السخرية والتهكم والتجريح ، وذلك هو الطريق السليم الذي تفرد به شيخ المفكرين العرب في العصر الحديث الدكتور زكي نجيب محمود ، الذي بسط آراءه وافكاره حول الشعر في كتابه القيم « مع الشعراء » .

ولعلي لست في حاجة الى تعريف القارىء الكريم بهذا المفكر الكبير الذي اغنى المكتبة العربية الفلسفية والادبية بالمؤلفات الجادة والعميقة ، ويكفي القول عنه انه يكتب منذ أزيد من خمسين سنة في الفلسفة والنقد وفروع المعرفة الانسانية ، علاوة على قيامه بتدريس الفلسفة في عدد من الجامعات العربية . وقد جمع آراءه ومواقفه في الحياة والانسان والادب والمجتمع والتراث والحضارة في كتب هي من احسن وامتع الكتب التي يلوذ بها المرء اليوم بعدما اقفرت واوحشت المكتبة العربية الحديثة من الفكر الجاد والجريء والعميق الذي يثري العقل ويغذيه تغذية صحيحة ، ويرقى بوجدان القارىء الى مستوى العصر ومستوى قضاياه ومشاكله التي نعيشها . واذا كانت مؤلفات الدكتور زكي نجيب محمود لم تصنع له بين جماهير القراء في الوطن العربي شهرة واسعة وعريضة يحسد عليها بين المشاهير ، فلأن العقل العربي الحديث انجرف مع تيارات ونتاج ودعوات الفكر الساذج والفج والبسيط الذي يدغدغ الحواس والعواطف ، ولا يسبر اعماق الانسان ، ولا يحرك وجدانه ، ولا يهز عقله ، ولا يلمس منه الا الظاهر والسطح .

والحق اننا حين ننتهي من قراءة كتاب « مع الشعراء » نحس بأن الشعر العربي الحديث قد كسب عقلا غنيا بالافكار والنظرات الثاقبة والصائبة، سيما وان صاحب هذا العقل لم يتعسف على نقد الشعر ، ولم يقتحم ممالكه وعوالمه اقتحاما ، بل تزود أولا بثقافة شعرية ونقدية غزيرة وواسعة ومزدوجة ، حيث اغترف منذ اتصاله بالشعر من معين التراث الشعري عربيا كان أو غربيا ، تعينه — علاوة على ذلك — ثقافة فلسفية عميقة وجادة تسعفه على اصابة المعنى والهدف ، وعلى اصدار الحكم الصائب .

والحق ايضا اننا نحس ونستمتع بالقيم الجمالية والفنية والاخلاقية والفلسفية في الشعر ، حينما يتصدى لنقد الشعر فيلسوف عميق في نظرته ، نزيه في حكمه ، موضوعي في تحليله ودراسته، بسيط وواضح في اسلوبه وعبارته ، مثل الدكتور زكي نجيب محمود . وهذه ظاهرة بارزة في شخصية الدكتور الفلسفية والنقدية ، لانه اذا كان نقاد الشعر يثبتون عادة من الفنون الادبية ، فالدكتور زكي نجيب محمود جاء الى نقد الشعر من خلال الفلسفة . وقد ساعده تطوره الفكري والنظري في مجال الفلسفة على الاحتكاك والتمرس بنقد الشعر وممارسته من ابوابه الواسعة .

لقد اتجه الدكتور زكي نجيب محمود في مطلع حياته الفكرية وبداية انتاجه الفلسفي اتجاها ميتافيزيقيا مثاليا ، ثم انقلب على الميتافيزيقا حتى أصبح من خصومها الالدة ، ودعا الى الوضعية المنطقية دعوة شديدة لا هوادة فيها حتى بات رائدا من روادها . ولذلك يلح الدكتور زكي نجيب محمود على ضرورة مراعاة الدقة في استخدام الالفاظ وتحديد معانيها واستعمال العبارة الواضحة التي تؤدي معنى بعينه .

ومن البديهي ان ينعكس انتماء الدكتور زكي نجيب محمود الفلسفي على اسلوبه وطريقته في النقد الادبي ، وان يتأثر هذا بذاك ، وفي ذلك يقول :

« لا يجوز للناقد أن يسأل عن لوحة مثلا قائلا : ما مغزاها ؟ وما معناها ؟ لانه لا مغزى ولا معنى في الفنون ، ان الفن (خلق) لكائن جديد . هل نسأل عن جبل او عن نهر او عن شروق او غروب قائلين : ما مغزى وما معنى ؟ او هل ترانا ننظر الى التكوين وحده معجبين أو نافرين ؟ وهكذا ينبغي أن يكون موقفنا ازاء العمل الفني . لانه خلق وانشاء وليس كشفا عن أي شيء كان موجودا بالفعل ثم جاء الفن ليصوره » .

ويحصر الدكتور زكي نجيب محمود وظيفة الناقد ـ بناء على تفسير مدرسة الوضعية المنطقية للفن ـ فيما يلي : « ان مهمة الناقد انما تنصب على تحليل العمل الفني نفسه ، دون الاهتمام بشخصية الفنان ، أو العمل على دراسة الظروف التي احاطت بانتاجه الفني » .

ومهما اختلفنا مع هذه النظرة الجديدة وأصحابها الى النص الادبي ، فان حاجتنا شديدة اليها واليهم . اذ اننا واجدون فيها رأيا جديدا حول الشعر يختلف عن الآراء السائدة حوله ، وواجدون فيها نقدا وتفسيرا وتحليلا يضيف الى تذوق النص الادبي متعة جديدة قائمة على اعمال العقل لا على العاطفة وحدها .

نحن اذن في كتاب « مع الشعراء » أمام فيلسوف ينقد الشعراء وشعرهم ، وهي ظاهرة حرية بالتسجيل ـ فضلا عن التحليل ـ ، لان القارىء العربي لم يتعود منذ ميلاد حركة الشعر الحديث الا على قراءة ومتابعة ما تكتبه فئة من النقاد عرفت بميلها الى نقد النص الادبي وربطه بصاحبه وبحياته وبظروفه النفسية والاجتماعية والسياسية .

ومما لا مراء فيه أن القارىء سيغتبط لهذا النقد الجديد الذي يكتبه ويتزعمه الدكتور زكي نجيب محمود ، لان الشعر العربي الحديث كتب عنه الشيء الكثير والكثير جدا بلغة العطف والتعاطف ، أما ما كتب عنه بلغة العقل والتحليل فقليل وقليل جدا . اذ تكاد لا نجد كتابات ودراسات نقدية عن شعرنا الحديث خالية من الصراخ والصوت العالي الذي يؤذي الشعر والشعراء في اغلب الاحيان .

وان الشعر عند الدكتور زكي نجيب محمود ـ الفيلسوف والناقد الادبي ـ ليس نصا أدبيا جامدا لا حراك فيه ، بل هو خبرة وجدانية شفافة تنطوي على الحياة وعلى التغير والاستمرار والتأثير حتى في معزل عن صاحبه ، وهو ايضا تجربة نفسية غائرة تملك من الدلالات الشديدة الخصوصية ما يجعلها (مادة) تخضع لنظر العقل وصرامة احكامه ، وتنصهر في أتونه ، وتثير الدهشة والتساؤل ، وتستثير الفكر ، وتبحث عن التفسير الخاص بها .

ومن هنا يكتسب نقد الشعر عند زكي نجيب محمود ابعادا ومعاني جديدة ، فهو باعتباره فيلسوفا لا ينسى انه أمام (ظاهرة فنية) تعبر عن تجربة شعرية خاصة ومتفردة قد تتعدد تفسيراتها بتعدد نقادها وقرائها ، على خلاف التجربة العقلية التي لا تقبل أكثر من تفسير واحد لها . ولا ينسى كذلك ان تلك التجربة النفسية تسلك في سبيل التعبير عن ذاتها طرقا معقدة وشائكة ، تختلف عن المسالك التي يشقها العقل في بحثه ونظره للوصول الى فروضه .

وسيدهش القارىء ـ ولا شك ـ لهذه الحياة الخصيبة التي ملأها صاحبها الدكتور زكي نجيب محمود بالفكر العلمي والتأمل الجاد والكتابة العميقة والابداع الصادق ، وسيدهش ايضا أمام تنوع وتعدد قراءاته الشعرية المتأنية ، وأمام قدرته على تمثل التجارب والنماذج الشعرية واستشفافها ، وأمام بحثه الدائب والمستمر عن الرؤية الخالصة للشاعر حتى يستخلص للقارىء حقيقتها ويستخرج له جوهر العمل الشعري ولبه الكامن فيه ، و وينضو عنه ستوم واردية الغموض والابهام التي تغلفه .

ان وضع الشعر في غربال الفلسفة سيعرض كثيرا من الشعراء الى السقوط بسرعة من ثقوبه ، فلا يصبحون سوى نيازك محترقة بعد ما كانوا نجوما تشع بالبريق واللمعان في سماء الشعر . وهذه الحقيقة ـ الى جانب حقائق أخرى عديدة ـ ستطالع القارىء في أجلى صورها حين يطوي معي الغلاف الاخير من كتاب « مع الشعراء » للدكتور زكي نجيب محمود .

الرباط : احمد تسوكي



للأستاذ : عبد القادر زمامه

801 — لولا انقطـــاع الوحـــي ... !

وجدت في كتاب « البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان » لمؤلفه ابن مريـــم ص 218 . ط. الجزائر سنة 1908 .

«قال أبو عبد الله الآبلي المتوفى في منتصف القرن الثمن :

« لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل في بني اسرائيل ... !! لاننا اتينا أكثر مما أتوا ... !!»

802 — مـــن الغرائـــــب ... !

وجدت من الغرائب التاريخية عند أبي القاسم السهيلي دفين مراكش المتوفى بها سنة 581 هـ في كتابه : « الروض الانف » ص 158 . ط. القاهرة ، 1914 م .

« ... وعبد الله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس . وهم : محمد ، ويحيى ، وادريس ... مات ادريس بافريقية فارا من الرشيد ... ومات مسموما في دلاعة أكلها .. !! » .

803 — ناظـــم ناثـــر ... !

وجدت هذه القطعة من شعر الامام أبي بكر بن العربي المعافري دفين فاس 543 هـ — 1151 م .

وهي في كتاب « الروض الفتيـــق الفالـــق ومؤنس الكئيب العاشق » تأليف محمد بن عبد الوهاب بـــن داود الهمداني . ط. بيروت دون تاريخ ص 119 .

« اقدك ام غصن ناضـــــر
ووجهـك ام قمر زاهـــــر

وعطفك ام اسمر ذابـــل
ولحظك ام أبيـض باتـــر

وجفنك منكسر بالفتـــور
ولكـن ناظـره كاســـر

فهاروت لو كان في عصرنـــا
لحيره طرفك الساحـــــر

ومنظوم ثغرك لمـــا بـــدا
تعلم من نظمـه الشاعـــــر

وبي بدرتم اذام ا سعـــى
يحار لخطراتـه الخاطـــر

تحكم في مهجتي ناظـــــر
له فاتـك فاتـن فاتـــر

وفي ثغره شاعـر ناظـــم
وفي مقلتي كاتب ناثر ...!! »

804 — وهـــي مشـــواك ... !

ووجدت فى كتاب « الروض الفتيق الفائـــق ومؤنس الكئيب العاشق» من شعر الحكيم الفيلسوف ابن باجة دفين فـــاس 533 هـ — 1138 م هـــذه القطعـــــة ص 189 :

كيف الخلاص وقلبي بعض اسراك
صادته اجفانك الوسنى بأشـــراك

يا سلم ابن لبالينا بذي سلـــــم
مرت ، وما كان احلاها واحـــلاك

تفنى الليالي وما انسى عهود هوى
وثقتنا بعهـــود مـــن ثنايـــــاك

حاشاي آنس بروقـا بالثنيـــة من
تلك الثغور وحاشا القلـــب ينسـاك

أكاد من صدق ما تدنيك من فكري
أرى جمالك فاستجليه حيـــــــاك

ولست اعرف ما السلوان عنك ولا
يمر بالبـــال ذكر غير ذكـــــراك

لولاك ما كنت اصبو عند كل صبـــا
لها مرور بذاك السفح لـــــولاك

ءاه على السفح من عيني ومن وطني
أو ليت « آها » تروي غلة المـــاك

اوليت من مهجتي نار الانس خمدت
فانها من حشائي . وهي مشـــواك

805 — جفاؤهـــم بـــــر ... !!

ووجدت فيها هذه الابيات لابن بسام البغدادي فى زائر غير مرغوب فيه ...

« اذا زرتني زرت المنية طائعا
ولم يصف لي عيش . ولم يرض لي دهر

وضاقت علي الارض بعد اتساعهـا
واظلمت الاقطار وانقطـع الظهـــر

فجد لي باعراض ..! وصلني بهجرة
لتسلم لي نفس ..! فيبقى لك الشكر ..!

وان كنت تبغي البر فاقطع زيارتي
ففي الناس اقوام جفاؤهم بر ..! »

806 — بين المنصور الموحدي وكاتبيه ... !

وجدت فى ترجمة ابي عبد الله محمد بن عبد العزيز ابن عياش كاتب الخلافة الموحدية من الاحاطة ج 2 ص 484 ط. عنـــــان :

« وحدثني شيخي ابو الحسن ابن الجياب عمن حدثه من اشياخه ، قال : عرض ابو عبـــد الله ابن عياش والكاتب ابن القالمي على المنصور كتابين وهو فى بعض الغزوات . وفى كلب البرد . وبين يديـــه كانون جمر ... وكان ابن عياش بارع الخط . وابن القالمي ركيكه . ويفضله فى البلاغة . أو العكس .

الشـــك منــــــي ...
وقال المنصور : اي كتب لو كان بهذا الخط .!

واي خط لو كان بهذا الكتب ... !
فرفض ابن القالمي . وسخط ابن عيـــاش .

فانتزع الكتاب من يد المنصور . وطرحه فى النار . وانصرف ... !

قال : فتغير المنصور ، وابتدر احد الاشياخ فقال : يا امير المومنين : طعنتم له فى الوسيلة التي عرفته ببالكم فعظمت غيرته لمعرفته بقدر السبـــب الموصل اليكم . فسري عن المنصور . وقال لاحد خدامـــــه :

اذهب الى السبي فاختر اجمل نساء الابكـــار وآت ابن عياش فقل لـــه :

هذه تطفىء من خلقك ...

قال ابن عياش يخاطب ولده ، وقد حـــدث الحديـــــث :

— هي امك يا محمد ... أو فلان ... ! »

807 — من شعر ابي عنان فى بسكرة ... !

وجدت فى مخطوطة كتاب « فيض العباب » لابي اسحاق ابن الحاج النميري . الخزانة الملكية .

« ان ابا عنان جلس بظاهر بسكرة مع اهل مجلسه العالي مجيلا في ميدان المذاكرة ، ناظما ما شاء من فرائد فوائد المحاضرة . واستحالت الحال الى ذكر بسكرة وهوائها وما لقيه من الجهد في ارجائها .. ! فتقدم قاضي الجماعة . وخطيب الحضرة العلية الحاج أبو عبد الله محمد بن أحمد المقري مؤثرا الارتجال . ولم تسمح خواطره الا بهذا البيت المنفرد فقال :

دخلت بلاد الله شرقا ومغربا
فلم ترعيني مثل بسكرة بيسا

فزاد عليه مولانا الخليفة بأسرع من ارتداد الطرف :

ويا قبح ما اسود القتام بوجهها
فمذ غشي الابصار لم تبصر الشمسا

فخسرا وسحقا لابن هان لقد غوى
بمدح بلاد «الزاب» اذ عدم الحسا»

808 — تريش . وتبري ... !

وجدت في أوراق مجموعة عدة فوائد اخترت منها ما يأتي :

« وقال بعض الاجلة من حذاق الوقت :

اهديت وردة بر
ابغي صنيعة بر
كانها خد خود
بوسطه خط تبر
لا زلت قطب المعالي
تريش قوما وتبري

809 — شياه وديكة ... !

ووجدت فيها هذين البيتين :

« اجيرتنا الاحبة قد قرمنا
فهل شاة لنا تهدي وديكه
ايجمل ان تكون لكم شياه
وليس لجاركم بالشارع ديكه»

810 — عندي ... !

ووجدت فيها هذين البيتين :

« ولقد سألت الدار عن اخبارهم
فتبسمت عجبا ولم تبدي
حتى مرت على الكنيف فقال لي
اموالهم . ونوالهم . عندي »

811 — ضاحكا مسرورا ... !

ووجدت فيها هذين البيتين :

« ولدتك اذ ولدتك امك باكيا
والقوم حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم تكون فيه اذا بكوا
في يوم موتك ضاحكا مسرورا »

812 — فاضرب به لجج البحر ... !

ووجدت فيها قول الشريشي في شيخ التربية

« وللشيخ ءايات فان لم تكن له
فما هو الا في ليالي الهوى يسري
اذا لم يكن لديه علم بظاهر
ولا باطن، فاضرب به لجج البحر »

813 — والحديث شجون ... !

وجدت في ديوان أبي علي اليوسي هذين البيتين :

« تمنى بأوباش فتوح مدائن
وذاك لعمري ضلة وجنون
فاضحى كعمرو ترجى مراده
بجيش مراد. والحديث شجون»

814 — اضاءة كشتام بسايس (*)

ووجدت في ديوان أبي علي اليوسي أبياتا يصف بها اضاءة كشتام جاء فيها :

« انظر الى اضاءة كشتام
فلك فيها منظر سام
محفوفة بزهر اصفر
يعلو على ابيض بسام
ضحاك ابرز بها لؤلؤ
لم يعتلق بكف نظام »

815 — مناظرة الحسود ... !

وجدت في ترجمة الامام شهاب الدين القرافي (الصنهاجي الاصل) المصري الدار انه كان كثيرا ما ينشد هذين البيتين :

واذا جلست الى الرجال واشرقت
في جو باطنك العلوم الشرد
فاحذر مناظرة الحسود فانما
تغتاظ انت ... ! ويستفيد ويحرد

816 — في افتتاح موسم المسامرات بالرباط ...!

وجدت في نشرة مطبوعة بالرباط 1343 هـ ـ 1925 م تتضمن المسامرات التي القيت في موسم افتتاح المسامرات بالمعهد العلمي كلمة لمندوب المعارف اذ ذاك جاء فيها :

« ان هذا المعهد . وهذه المكتبة . وأن كان ابن فكرة فرانساوية . وبناء ايد فرانساوية . وقد كان قبلهم كمعدن ماس . لم يمسه ماس . ولا ضرب بفاس . في الرباط أو فاس . فهو مغربي وطني لنفع المغاربة . وترقية شؤونهم ومعارفهم ومن ميزانيتهم .... !!!! »

817 — المداد الاسود و المداد الاحمر ...

وجدت في كتاب « صفحات في تاريخ الجزائر » تأليف نور الدين عبد القادر . نشر كلية الآداب الجزائرية سنة 1965 م ص 86 . ط. قسنطينة .

« وكان قاضي الحنفية يمضي الرسوم والاحكام بالمداد الاسود وقاضي المالكية يمضيها بالمداد الاحمر ... ! ولعل ذلك للتمييز في اول نظرة بين ما صدر من المحكمة الحنفية أو المحكمة المالكية ... »

818 — برؤيا الروح في النوم اقنع ...

ووجدت في الكتاب المذكور منتجات من مرثية الشيخ أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري المتوفى سنة 884 هـ في شيخه عبد الرحمن الثعالبي المتوفى سنة 875 هـ جاء فيها :

« فيا سيدي اني رثوتك راجيا
سلو قليب من فراقك موجع
ولي فيك حب زائد متمكن
حوته سويداء الفؤاد واضلع
لئن كان حظ العين منك فقوته
فاني برؤيا الروح في النوم اقنع»

819 — لما به ... !

وجدت في كتاب « الحكايات العجيبة » تحقيق المستشرق : هنس وير ص 501

« ثم قالت « من الرجز »
أو ليتني (لما به) بليتا
صاحبة أو ليتني عميتا
أو ليتني في لحده هويتا

820 — كالعسيلة في الكاس ... !

وجدت في بطاقات بها تقاييد ملحونة من جملتها هذا الكلام الذي يظهر انه اغنية نسوية للاطفال :

راريت بك وطار الحمام
وعلى على قبة فاس
هذا سيدي احمد
كالعسيلة في الكاس

فاس : عبد القادر زمامة

(*) تعرف بالضاية . جمعها (الضويات) والمكان معروف الآن باسم (الضويات) .

● من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

مباراة لتجويد القرءان الكريـــم :

● شهدت رحاب مسجد السنة بالرباط مؤخـرا المباراة الوطنية النهائية لتجويد القرءان الكريـــم برئاسة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتـــور احمد رمزي وبمشاركة 12 مجودا تم اختيارهم فى الرباط من بين 60 مرشحا كانوا قـــد تفوقـــوا فى مباريات اقليمية نظمتها الوزارة فى جميع اقاليـــم المملكة وعمالاتها .

وبهذه المناسبة القى الدكتور احمد رمزي كلمة حلل فيها المغزى العميق لتنظيم هـــذه المبـــاراة القرآنية كما ابرز التعليمات التي لم يفتأ صاحـــب الجلالة الملك الحسن الثاني يعطيها للاهتمام بتحفيظ القرءان الكريم لناشئتنا ونشر علومه . وقال السيد وزير الاوقاف فى كلمته أن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية توخت من تنظيم هذه المباراة تشجيـــع حفظ القرءان وقواعد تجويده وقراءته وترتيله نظرا لما للقرءان الكريم من مكانة فى قلـــوب المغاربـــة وتشبثهم بالقرءان منذ ان عرفوا الاسلام .

وأضاف السيد الوزير بأنه لا يمكن ان تصلح هذه الامة الا بالقرءان الكريم لا سيما فى هذه العصور الاخيرة التي تتقاذفها أمواج الالحاد والحيرة . ولذلك فتشجيعنا للناشئة على حفظ القرءان ما هو الا رجوع الى ما كان اجدادنا يدأبون عليه فى تعليم ابنائهـــم وتشجيعهم ودفعهم الى التشبث بهذا الكتاب العظيم .

وقال : ان فى القرءان الكريم دستور المسلمين منذ كانوا وسيبقى دستورهم الى ان يرث الله الارض ومن عليها . ففي القرءان الاحكام وقواعد السلـــوك والطريق التي تؤدي الى سعادة الدنيا والآخرة وهو كتاب جامع . وما دمنا متشبثين بالقرءان سنكـــون سعداء فى الدنيا والآخرة ، فاذا زغنا عنه فلن نجد فى اي كتاب آخر بديلا له ، ولهذا يجب علينـــا ان نشجع القرءان الكريم فى معاهدنا وفى مدارسنا وفى مقررات ومناهج التعليم فى بلدنا .

واشار السيد الوزير الى مدى تشجيع اميـــر المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني لقراءة القرءان وتحفيظ القرءان . واكد ان جلالة الملك قد امـــر بتحفيظ القرءان فى الكتاتيب القرآنية قبل ولـــوج المدرســـــة .

واعرب السيد الوزير فى الاخير عن امله فى ان يكون تنظيم هذه المباراة بداية عهد جديد بالنسبـــة لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميـــة وبالنسبـــة للوزارات الاخرى التي تعني بالتعليم لدعم كتاب الله العزيـــز .

هذا وقد خصصت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية جوائز نقدية وادبيـــة هامة للفائزيـــن فى المباراة النهائية على المستوى الوطني فى تجويـــد القرءان . كما سبق ان قدمت جوائز للفائزيـــن على الصعيد الاقليمي .

حضر المباراة النهائية الكاتب العـــام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد محمد المرابط والسيد محمد يسف مدير الشؤون الاسلامية وعدد من سفراء الدول الاسلامية المعتمديـــن بالربـــاط يتقدمهم سفير المملكة العربية السعوديـــة وعميـــد السلك الديبلوماسي السيد فخـــري شيـــخ الارض وممثل عن عامل الرباط وسلا .

الدكتور أحمد رمزي يستقبل وفدا من علماء السينفـــــال

● استقبل الدكتور احمد رمزي وزير الاوقـــاف والشؤون الاسلامية بمقر وزارته وفدا من السنغال على رأسه الشيخ محمد دم أحد علمـــاء السنغـــال واحدى شخصياته الدينية الهامة . وهو نجل العالم المرحوم احمد دم المؤلف المشهـــور صاحـــب « مطلع النيرين فى تفسير القرءان الكريم » .

وقد عبر العالم السنغالي عن متانة الروابـــط الدينية العريقة الموجودة بين الشعبيـــن المغربـــي والسنغالي وعن العلاقات الاخوية التي تربط صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصـــره الله وفخامـــة الرئيس ليبولود صيدار صنغور .

ودرس السيد الوزير مع الوفـد طرق دعم الروابط الدينية والعلمية لما فيه خير البلدين الشقيقين .

تنصيب ناظر جديد للاحباس بمكناس

● اشرف الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية رفقة السيد عامل اقليم مكناس مؤخرا بمقر عمالة اقليم مكناس على تنصيب السيد محمد الحوزي ناظرا للاحباس بمكناس .

وبهذه المناسبة القى السيد محمد الدبي القدميري عامل الاقليم كلمة اكد خلالها أن اشراف السيد الوزير بنفسه على تنصيب ناظر للاحباس يدل على مدى العناية الخاصة التي توليها حكومة صاحب الجلالة للشؤون الاسلامية بصفة خاصة وللاوقاف بصفة عامة .

ومن جهة اخرى أبرز وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاهمية التي تحظى بها مدينة مكناس على الصعيد التاريخي والديني والاقتصادي مشيرا الى ان المشاكل التي تم طرحها اثر زيارته للمدينة فى العام الماضي هي فى طريق الحل .

ودعا اعضاء المجلس الاقليمي ، واعضاء المجلس البلدي ونواب الاقليم فى البرلمان ، واعضاء مجلس العلماء ومختلف رؤساء المصالح الاقليمية الى مساعدة السيد الحوزي فى اداء مهمته .

وبعد ان استعرض الوضع الذي تجتازه بلادنا طلب السيد الوزير من الناظر الجديد ان يقدم كل المساعدات الضرورية لأسر شهداء الصحراء . وتمنى السيد الوزير للناظر الجديد التوفيق فى مهامه .

من موضوعات العدد القادم

الايديولوجية الاجتماعية

عند الشيخ سيدي عبد السلام ابن ريسون

للأستاذ محمد العربي الشاوش

المغـــــــرب :

● اعلنت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية عن جائزة المغرب لعام 1979 . وتقرر ان تعين لجان التحكيم من بين الاساتذة المختصين وذلك بناء على محتويات الكتب المرشحة لنيل الجائزة .

وسيقفل باب الترشيحات فى الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين 15 اكتوبر المقبل بدلا من فاتح اكتوبر الذي أعلنت عنه الوزارة فى بلاغاتها السالفة فى هذا الموضوع .

وترجو الوزارة كل من يرغب فى الاطـلاع على الشروط المطلوبة قانونا ان يعود الى القرار الوزاري رقم 75474 المؤرخ بـ 7 شعبان 1394 (5 شتنبر 1974) والصادر بالجريدة الرسمية عدد 3230 ، او ان يتصل بمصلحة المكتبات والنشر والتوزيع لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ــ شارع غاندي ــ الربـــاط .

● صدر للاستاذ محمد العلمي كتاب قيـم فى تاريخ المقاومة المغربية بعنــوان « حركة تحريــر الاطلس » يؤرخ فيه للكفاح المسلح البطولي الـــذي خاضه المغاربة على جبال الاطلس من اجل التحرير والاستقـــلال .

● كشف الاستاذ زين العابدين الكتانـي مؤلـف كتاب « الصحافة المغربية نشأتها وتطورها » عــن وجود وثيقتين مهمتين تتصلان بدور المغـــرب فى تأسيس حركة الثورة التحريرية الجزائرية برفـــع الستار عنهما لاول مرة وهما :

1) وثيقة رسمية موقعة من طرف الرئيس الراحل هواري بومدين تؤكد ان المغرب فتح جميع الجهات المغربية لاقامة « قيادة الحدود » التابعـــة لجيش التحرير الوطني الجزائري بمساعدة السلطات المحلية بالخصوص ايمانا من : « المغرب ملكا وحكومة وشعبا بأن القضية الجزائرية قضيته الرئيسية » . الوثيقة مؤرخة فى سنة 1961 .

2) الكشف عن وجود نشرة (الأسير الحر) التي صدرت بأحد السجون الفرنسية من طـــرف المجاهدين . وكان لأحد أبناء المغرب وهـــو لا يزال حيا يرزق ــ الفضل فى تأسيسهـــا والاشراف على نسختها العربية .

وحتى صورة النسخة التي يتوفر عليها المتحف الجزائري اليوم (جريدة (الشعب) الجزائرية ــ عدد فاتح نونبر 1974) كانت هدية من الاستاذ الكتاني الذي يحتفظ بكثير من وثائقها .

● سجلت فى منتصف سبتمبر من السنة الجارية زيادة الاقبال على قطاعي الطباعة والنشر فى المغرب حيث ارتفعت الاستثمارات المنجزة خلال التصميم الخماسي لسنة 1972 ــ 1977 فى قطاعـــي النشر والطباعة فى المغرب الى 45 مليون درهم ومكنـــت بذلك من خلق 200 فرص عمل جديدة .

وجاء فى دراسة اعدها مؤخرا (مكتب التنمية الصناعية) ان 60 فى المائة من المؤسسات المعنية توجد فى محور الدار البيضاء والربـــاط ، ومعدل استخدام طاقتها تقدر بنسبة 70 فى المائة . ويمكن القول ان السوق الوطني للطباعة قد اصبح الاقبـــال عليـــه كبيـــرا .

● انشأ رجال الصحافة بعمالة الـدار البيضـــاء جمعية للصحافيين الذين يزاولون مهامهم بالعاصمـــة الاقتصادية للمملكة المغربية .

● قرر ابناء الفقيد محمد حسن الوزاني بمناسبة مرور سنة على وفاته انشاء مؤسسة تحمل اسم : (مؤسسة محمد حسن الوزانـــي) ستعمـــل على استمرارية واحياء المدرسة الفكريـــة والاعلاميـــة والتراث والرسالة التي كان يحملها والدهم طـــوال المعركة الوطنية الكبرى ، كما تهدف هذه المؤسسة

الدفاع عن الاسلام وكرامة الانسان ومناصـرة القضية العربية واستقـلال المغـرب ومناهضـة الاستعمــــار .

● حلت يوم الاثنين 19 رمضان 1399 الذكرى السابعة والسبعون بعد المائة لوفاة الولي الصالـح سيدي احمد ابن عجيبة صاحب تفسيـر القرءان الكريم (البحر المديد) . وصاحب الذكرى ولـد سنة 1161 هـ بمسقط راسه مدينة سبتة الاسيرة وتوفى سنة 1222 هـ . وقد اهتم طـوال حياتـه بالاضافة الى التاليف بالدعـوة الى الله بالموعظـة الحسنة والهداية حتى قيل عن حركته هذه انها كانت « نهضة اسلامية فى ذلك العصر » .

● ستصدر قريبا مجموعة قصصيـة للاستـاذ رضوان احدادو بعنوان « البحـر يحتـرق » عن مطبعة الرسالة بالرباط . وستصدر للمؤلف ايضـا مسرحية (الارض والزيتون) عن مطبعة (ديسبرس) بتطـوان .

● صدر للاستاذ محمد الدحروش مسرحيـة بعنوان : « الوارثون والدار » من الحجم الصغير . والمؤلف من رواد الحركة المسرحية بالمغرب .

● صدر للاستاذة ليلى بوزيد كتـاب بعنـوان « بضع سنابـل خضـر » عن احدى دور النشر التونسية . وهو من ادب الرحلات .

● الطبعة الثالثة من رواية « دفنا الماضـي » للاستاذ عبد الكريم غلاب صدرت مؤخرا عـن دار الثقافة بالدار البيضاء .

تـــــونس :

● « تاصيلا لكيان » كتاب جديـد صدر عن دار عبد الله للنشر والتوزيع فى تونس من تاليف وزير الثقافة التونسي السابق محمود المسعدي . ويضم الكتاب مجموعة من المقالات التي كتبها المسعدي فى فترات متفرقة وتتناول هـ القضايا المطروحـة فى الساحة الثقافية العربية من منظور عربي اسلامي اصيـــل .

● انتهت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من اعداد مشروع اتفاقية حماية حقـوق المؤلـف العربي . المستندة الى ميثاق الوحـده الثقافيـة العربية . ومن البنود التي ينص عليها المشروع ان حقوق المؤلف المنصوص عليها تسري لمدة حياتـه ولمده خمسين عاما بعد وفاته ، اما الافلام والصور والفنون التطبيقية فتسري عليها الحماية لمدة 25 عامـا فقـط .

المملكـة العربية السعوديـة :

● تجري الاتصالات بين الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي وبين جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض بشأن اقامة معرض دائم للكتاب الاسلامـي بمكـة المكرمـة.

سوف يدعي للاشتراك فى المعرض عدد كبير من دور النشر . يهدف المعرض الى انعاش حركـة التاليف الاسلامي وتقديم الكتاب الى القارىء بسعر مناسـب .

● اصدر الشاعر السعـودي الكبيـر طاهـر زمخشري ديوان شعر بعنوان « نافذة على القمر » .

● سيفتتح فى المنطقة الشرقية مـن المملكـة العربية السعودية متحف للاثار والتراث الشعبي . كما سيفتتح متحف مماثل فى مكة المكرمة .

كما سيقام كذلك فى المملكة العربية السعودية معهد للبحوث التطبيقية باشراف جامعـة البترول والمعادن بالظهران .

● صدر ضمن سلسلة « المكتبة الصغيرة » كتاب « مدائن صالح : تلك الأعجوبة » للرحالة السعودي الكبير محمد عبد الحميد مرداد .

مصـــــر :

● صدر للدكتور يوسف عز الدين عيسى رواية بعنوان : « الرجل الذي باع نفسه » .

● صدر الجزآن الاولان من « موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين » عن دار روز اليوسف بالقاهـرة .

تؤرخ هذه الموسوعة الفريدة التي تصدر مع بداية القرن الخامس عشر الهجري للعلوم الاسلامية ولاكثر من 800 عالم من ابرز علماء الحضارة الاسلامية بدون أن تتعرض لعلوم الدين واللغة الا باقل من القليل وهي تحاشى او تحاول ان تتحاشى أخطاء كثيرة وقع فيها كتاب الموسوعات الغربية .

وقد أشرف على تحقيق الموسوعة ومراجعتها كل من بول غليونجي ـ د. حسين مؤنس ـ محمد محمود الصياد ـ رؤوف سلامة موسى ـ جواد شوقـــي .

وستصدر الموسوعة فى 15 جزءا أسبوعيا .

● نال الدكتور شوقي ضيف جائـزة الدولـة التقديرية فى الادب .

● صدر كتاب « تلخيص كتاب الجدل لابن رشد » حققه وقدم له وعلق عليه « وتشارلس بتروورث » بمشاركة د. أحمد عبد المجيد هريري .

● « قراءات فى علم النفس الاجتماعي فى الوطن العربي » صدر المجلد الثالث من هـذا الكتـاب للدكتور لويس كامل مليكة .

● « سينما الاطفال » صدر ضمـن « سلسلـة الثقافة السينمائية » بقلم احمد فؤاد درويش .

● الدكتور محمد عبد المنعم خاطر أصدر كتابا عن محمد فريد ابو حديد وهو دراسات تحليلية فى الرواية والاقصوصة وأدب الاطفال والشعر المرسل.

● من جمع وتقديم وتحقيق د. محمد السيد الجليند صدر كتاب « دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية » (جـ 2) .

● مجمع اللغة العربية يصدر قريبا « المعجم الوجيز » وهو اول معجم عربي أعد على نظام حديث وترتيب جديد مزود بالصور والتعريف بالمصطلحات العلمية والحضارية .

● « ادباء القرن العشرين » كتاب جديد للدكتور نبيل راغب صدر ضمن سلسلة المكتبة الثقافية .

● « اطلال ورسائل من لندن » ديوان شعر جديد للشاعر د. محمد مصطفى بدوي .

● « اخلاق النبـــي » كتاب جديد للدكتور أحمد الحوفـــي .

● د. محمد عبد المنعم خفاجى صدر له كتابان عن « السيرة النبوية » و « الأدب العربي الحديث » فى طبعـة جديدة .

● « علم المنطق » كتاب جديد صـدر ضمـن سلسلة « كتابك » للدكتور محمد مهران .

● صدر للدكتور محمد احمد العرب « الاعجاز القرآني من الوجهة التاريخية » من سلسلة «كتابك»

● صدرت عن دار المعارف طبعة جديـدة مـن « معجم لسان العرب » فى أجزاء يقع كل جـزء فى 96 صفحة ويصدر دوريا كل اسبوعين وتمتاز هذه الطبعة عن الطبعات السابقة بانها مرتبة ترتيبا حديثا بترتيب الحروف الهجائية المألوفة كما تمتاز بالضبط

الكامل وسيكون لهذا المعجم فهارس مستفيضة تعين القارىء فى الرجوع الى ما يريده من مادة .

● ظهرت الطبعة الثانية من كتاب « شعر الطبيعة فى الأدب العربي » للدكتور سيد نوفل . كانت الطبعة الاولى قد صدرت قبل 35 سنة .

● صدر للدكتور ابراهيم دسوقي اباظة كتاب يحمل عنوان « كيف نبدأ البناء » فى سلسلة « اقرأ » ويضم الأبواب التالية :

كلام للجياع ـ بؤس الشعارات ـ ضمير الذئاب ـ من نصدق ؟ ـ حسبة برما ـ مدرسة الاعتذار ـ تقول الحكمة ـ الديمقراطية ابدا ـ لنبن انسانا .

● « الدعوة الاسلامية : اصولها ووسائلها » كتاب جديد للدكتور احمد أحمد غلوش اصدرته دار الكتاب المصري ـ اللبناني فى القاهرة .

● صدرت فى القاهرة مجلة اسلامية جديدة بعنوان « المختار الاسلامي » برأس تحريرها الاستاذ حسين عاشور .

● حصل الشيخ سليمان درويش ابو عامر عضو المكتب الفني بالاوقاف المصرية على رسالة الدكتوراة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الاولى من كلية أصول الدين .. موضوع الرسالة (الامام سفيان الثوري وأثره فى الدعوة) .

العراق :

● تسلمت المكتبة الوطنية العراقية مؤخرا القسم الثاني من الكتب المهداة من مكتبة المرحوم انور قليان والتي تضم مجموعة قيمة من الكتب الحقوقية والسياسية وباللغتين العربية والانكليزية .

● « الى اللقاء فى منفى آخر » مجموعة شعرية جديدة للشاعر العراقي كاظم السماوي وتضم 29 قصيدة .

لبنان :

● صدر لجبرا ابراهيم جبرا كتابان ، الاول بعنوان : « ينابيع الرؤيا » ، والثاني ترجمة لمسرحية « هاملت » لشكسبير .

● صدرت فى بيروت الطبعة الثالثة من كتاب « اعمدة الحكمة السبعة » تأليف ف. الورنس . وكانت الطبعة الاولى من ترجمته العربية قد صدرت سنة 1962 .

● « الصهيونية » كتاب جديد صدر عن دار المسيرة لمنير ماشوش .

● صدر عن مؤسسة الرسالة ببيروت كتاب « حجة القراءات » للامام ابي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة بتحقيق الاستاذ سعيد الافغاني الذي مهد له بمقدمة فى القراءات وتاريخها ومدخل فى اصحاب القراءات الأربع عشرة ورواتهم ، كما علق على حواشيه .

● « شعراء الدعوة الاسلامية فى العصر الحديث» كتاب جديد من تاليف الاستاذين أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني ادهم جرار .

● « سبعون جمرة » ديوان جديد لفؤاد كحل صدر عن دار الطليعة .

● صدر للدكتور محمد علي البار كتاب جديد بعنوان « العدوى بين الطب وحديث المصطفى » .

● صدر عن المكتب الاسلامي « صحيح الجامع الصغير وزيادته ـ الفتح الكبير » فى ستة أجزاء ـ 3 مجلدات ، كما صدر « ضعيف الجامع الصغير

وزيادته ـ الفتح الكبير » فى ستة أجزاء 3 مجلدات من عمل الاستاذ محمد ناصر الدين الألباني .

● صدر فى بيروت كتاب جديد فى النقد بعنوان « دراسات فى النقد والشعر » تناول فيه مؤلفه الناقد الياس خوري ثلاثة من الادباء والشعراء البارزين فى الشعر الحديث وهم بدر شاكر السياب ومحمود درويش والدكتور احسان عباس . وتطرق المؤلف فى مقدمة الكتاب الى النقد عامة والنقد الشعري خاصة .

● صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت عدة كتب منها .. « بلزاك » ترجمة منى النجار ، و « تشيخوف » ترجمة الدكتور ضياء نافع و « الارامية » ترجمة حسيب نمر . كما صدر لمحمد عمارة كتابان ، الاول بعنوان « عمر بن عبد العزيز » والثاني « الاسلام والوحدة القومية » فى طبعتين جديدتين .

● « أدلة التشريع المختلف فى الاحتجاج به » كتاب جديد صدر عن مؤسسة الرسالة للدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمان بن علي الربيعة .

الكويت :

● أعدت الكويت برنامجا واسعا للاحتفال بمرور 14 قرنا على الهجرة النبوية الشريفة وبداية القرن الخامس عشر الهجرى . ويتضمن البرنامج عقد « مؤتمر للطب الاسلامي » وانجازات العلماء المسلمين فى هذا المجال .. واعداد برامج اذاعية وتلفزيونية متنوعة عن الاسلام عقيدة وتاريخا وحضارة ، واقامة ندوات للمسرحيين العرب لمناقشة دور المسرح فى التوجيه نحو القيم الاسلامية ، بالاضافة الى تنظيم مواسيم ثقافية اسلامية يدعى اليها عدد من المحاضرين المرموقين ، ثم طبع المحاضرات فى كتاب كما تتضمن البرنامج اصدار طابع بريد تذكاري وعملة ذهبية وفضية تذكارية بهذه المناسبة وتنظيم مسابقات علمية وثقافية وفنية تخصص لها جوائز لاظهار مختلف جوانب عظمة الدين الاسلامي .

السودان :

● حصل الباحث السوداني حسن الشيخ على درجة الماجستير من جامعة الأزهر بتقدير ممتاز عن رسالته « التيار المحافظ فى الشعر السوداني المعاصر » . ويذكر الباحث انه اختار هذا الموضوع نتيجة للظلم الذي وقع على الشعراء المحافظين من النقاد من جهة ، ونتيجة لعدم اهتمام المناهج الادبية بالجامعات العربية بدراسة الشعر السوداني من جهة اخرى .

● نقام فى الخرطوم ابتداء من منتصف اكتوبر الجاري معرض الكتاب العربي الاول تعرض فيه 15 دارا بنانية للنشر حوالي 30 الف كتاب .

اليمن ج :

● صدر للشاعر اليمني عبد الرحمان فخري ديوان شعر بعنوان « نقوش على حجر العصر » .

سوريا :

● أصدر الشاعر سليمان العيسي ديوان للاطفال بعنوان « احكي لكم طفولتي يا صغار » .

● « النزف تحت الجلد » الديوان السادس للشاعر علي الجندي صدر عن اتحاد كتاب العرب .

الهند :

● ظهر للكاتب الهندي الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوى الطبعة الثانية من كتابه القيم « السيرة النبوية » .

الصيـــــــــن :

● اعلنت وكالة الأنباء الصينية انه عثر مؤخرا على كتاب عن الطب الصيني التقليدي عمره اربعمائة عام ولا يزال في حالة جيدة .

ويتناول هذا الكتاب في اسلـوب مبسط 54 نوعا من الامراض ويصف 324 دواء ويتحدث في مجالات طبية متخصصة مثل الامراض الباطنية والجراحـة وامراض النساء وطب الاطفال وطب العظام والامراض الجلدية وامراض الانف والاذن والحنجرة .

● وقعت كل من جامعة الصين الرسمية وجامعة اكسفورد البريطانية اتفاقا لنشر قاموس : صينـي انجليزي بصورة مشتركة يشترك فيه عدد كبير من اساتذة علم اللغة في البلدين ، ينتهي العمل منه خلال ثلاثـة اعـوام .

فـــــرنسا :

● صدرت في باريس مؤخرا ترجمـة جديـدة للمعلقات السبع من وضـع المستشرق الفرنسـي جان جاك شميـت .

ويقول « شميت » ان السبب الـذي دفعـه لترجمتها هو اقتناعه الكامل بان هـذه المعلقـات بالنسبة للعرب تعتبر كالالياذة بالنسبة لليونـان ، وانها تشهد على زمن كبير وواسـع عاشه العـرب وتلقي اضواء مهمة لمعرفة الحياة والعلاقات الانسانية وتصور انسان تلك المرحلة تصويرا كاملا .

● الفلاسفة الجدد في فرنسا ، الماركسيون سابقا، الذين يعتبرون الماركسية افيون الشعوب في هـذا العصر ، عادوا من جديد الى الظهور في باريس عبر مجموعة جديدة من الكتب .

اشهر اعضاء المجموعة برنارد هنري ، ليفـي وجان بول دولي ، وميشال لوبريه ، وجـان ماري بينوا ، وفيليب نيموا .

الفلاسفة الجدد ساخطون على كـل شيء ، ومصابون بخيبة الامل بعد فشل احداث مارس 1968 في فرنسا ، ويرفعون شعارات من نوع : تحويـل التأمل الاساسي للفلسفة من التأمل الخالـص في ماهية الكينونة الى التأمل في وضعيـة المجتمـع والسياسة . بطلان الماركسية كنظرية ثورية ، انتظار الاستثنائي . افلاس اليسار .

● صدر في باريس كتاب جديـد عن الشاعـر الالماني (هولدرين) للناقد الفرنسي جان تابول . ويتحدث المؤلف في كتابه عن حياة هذا الشاعـر وقصة اصابته بالجنون وهو في السادسة والثلاثين من عمره وكيف قضى باقي حياته مـع عائلة احـد العمال . كما تحدث عن شعره الذي كتبه خلال تلك الفترة . والكتاب بعنوان « هولدريـن : مجموعـة دراسات » .

والجدير بالذكر أن « هولدرين » ولد عـام 1770 وتوفي عام 1843 وعاصر الرومانسيين الالمان وكان صديقا حميما للفيلسوف الالماني « هيجـل » واصيب بالجنون في عام 1802 وظل مريضا حتـى وفاته . والى جانـب اشعـاره كتـب روايـة « هيبريون » عام 1199 وكان لاعمالـه الشعريـة تأثير كبير على الشعر الحديث .

اتحاد الصحافة الاسلامى

— ❊ —

● اعلن المجلس الاسلامي بأوربا الذي يتخذ من لندن مقرا لـه ان منظمة جديدة للمساعدة على تطوير الاعلام فى العالم الاسلامي قد شكلت باسم (اتحاد الصحافة الاسلامي) .

وقال ان العضوية ستكـون مفتوحة امام الصحفيين والناشرين وغيرهم ممن يكون عملهم متصلا بالصحافة والفن والادب والخدمات الاعلامية والنشر والتلفزيون والراديـو .

وسيساعد الاتحاد فى تطوير وسائل الاعلام الجماهيري فى البلدان الاسلامية وتنظيم التدريب لرجال الاعلام المسلمين .

اما السكرتير العام للاتحاد فهو (السيد معظـم علـي) الرئيس السابق لوكالة انبـاء (برس انترناشيونال) الباكستانية وهو ايضـا مساعد السكرتير العام للمجلس الاسلامـي لاوربـا .

ويرأس المجلس الذي يرعى اتحاد الصحافة الجديد الامين العام للمجلس الاسلامي بأوربا الاستاذ سالم عزام . ومهمته تنسيق النشاطات فى اوربا التي تهدف الى مساعدة البلدان الاسلامية .

اقرأ في العدد القادم

الفهرس العام
لموضوعات السنة
20
من
دعوة الحق

بمناسبة السنة الدولية للطفل

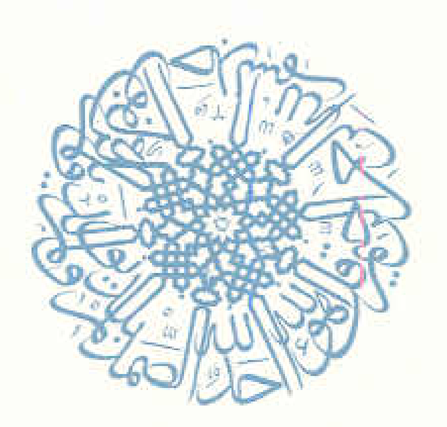
سَارِقُ السَّمَكَة

"هذه قصة واقعية نشرتها الصحف إثر وقوعها بإحدى ضواحي مدينة الرباط، وهي عبرة لمن يعتبر..."

خَطَفَ السّارِقُ يوماً سَمَكَةْ
من فقيرٍ عائشٍ بالبركةْ
واهِنِ العظْمِ مريضٍ عاجزٍ
ظلّ طُولَ اليومِ يرمِي الشَّبَكَةْ
ومضَى يغسِلُها فانغرزَتْ
شوكةٌ في يدِهِ المُرْتَبِكَةْ
فإذا لسَعتُها مسمومةٌ
أفقدَتْ كفَّ الشَّقِيِّ الحَرَكَةْ
فمضَى عندَ طبيبٍ يشْتَكِي
وَرَمَ الكفِّ الّذي قدْ أنْهَكَهْ
وإذا التحليلُ يُبْدِي أنّهُ
بِسِوَى القَطْعِ سَيَلْقَى التَّهْلُكَةْ!
وانتهَى اللّصُّ بكفٍّ قُطِعَتْ
كجزاءٍ ظنَّهُ لنْ يُدْرِكَهْ!

أحمد عبد السلام البقالي
الرباط - 5/9/1979

مطبعة فضالة — المحمدية (المغرب)



الثمن : 5 دراهم